

آيَاتُ مَبَشِّرَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ

(وهي خمسة وعشرون مبشرة كلها في الدنيا إلا واحدة وهي الجنة)

تأليف

الدكتور: أحمد خضر حسنين الحسن

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى أهل الإيمان الذين امتلأت قلوبهم ثقة بالرحمن الرحيم .
إلى مَنْ تشتت أذهانهم وحارت أفكارهم وتلاعب بهم الشيطان الرجيم .
إلى مَنْ حملوا همَّ الصلاح والإصلاح وطال بهم الليل المهيوم .
إلى مَنْ غابت عنهم سنن الله تعالى في الابتلاء فساءت ظنونهم .
أقول لهم : أبشروا بالخير وأملوا بالفرج وثقوا بربنا المعطي الكريم .

المقدمة

الحمدُ لله فاطرِ الأرضِ والسمواتِ، عالمِ الأسرارِ والخفياتِ، المطلعِ على الضمائرِ والنياتِ، أحاطَ بكلِّ شيءٍ علماً، ووسع كلَّ شيءٍ رحمةً وحلماً. وقهر كلَّ مخلوقٍ عزةً وحكماً، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علماً.

فلك المحامدُ والثناءُ جميعُهُ والشكرُ من قلبي ومن وجداني

فلأنت أهلُ الفضلِ والمنِّ الذي لا يستطيعُ لشكره الثقلانِ

أنت القويُّ وأنت قهارُ الورى لا تُعجزنَّكَ قوةُ السلطانِ

فلك المحامدُ والمدائحُ كُلُّها بخواطري وجواني ولساني

اللهم صلِّ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه كلما ذكرك الذكرون وغفل عن ذكرك الغافلون وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد : فإن من الموضوعات القرآنية الهامة التي يحتاج كل مسلم إلى الإلمام بها وتطبيقها عملياً في حياته اليومية ما **بَشَّرَ اللهُ به عباده المؤمنين** ، وقد وردت فيه عدد من الآيات ، وقد تنوعت في موضوعاتها كما تعددت أسبابها - المبشرات - وصفات المستحقين لها .

فمن الآيات ما جاءت مبشرة للمؤمنين في الدنيا : كقوله تعالى : (وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ) آل عمران (١٢٦) وقوله تعالى (يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ) آل عمران (١٧١) ونحوهما من الآيات .

ومن الآيات ما جاءت مبشرة للمؤمنين في الآخرة : كقوله تعالى : (وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ) البقرة (٢٥) وقوله تعالى : (يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ) التوبة (٢١) ونحوهما من الآيات .

ومن الآيات ما جمعت بين البشارة في الدنيا والآخرة : كقوله: { وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا } (الأحزاب - ٤٧) .

قال السعدي رحمه الله : ذكر في هذه الجملة، المبشّر، وهم المؤمنون، وعند ذكر الإيمان بمفرده، تدخل فيه الأعمال الصالحة.

وذكر - الله تعالى - المبشّر به، وهو الفضل الكبير، أي : العظيم الجليل، الذي لا يقادر قدره، من النصر في الدنيا، وهداية القلوب، وغفران الذنوب، وكشف الكرب، وكثرة الأرزاق الدّارة، وحصول النعم السارة، والفوز برضا ربهم وثوابه، والنجاة من سخطه وعقابه.

وهذا مما ينشّط العاملين، أن يذكر لهم، من ثواب الله على أعمالهم، ما به يستعينون على سلوك الصراط المستقيم، وهذا من جملة حُكم الشرع، كما أن من حُكمه، أن يذكر في مقام الترهيب، العقوبات المترتبة على ما يرهّب منه، ليكون عونًا على الكف عما حرم الله.

كقوله تعالى : (لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) يونس (٦٤) . ، وقد سئل أبو الدّرّداء رضي الله عنه عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : (لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) [يونس: ٦٤] فَقَالَ: (مَا سَأَلَنِي عَنْهَا أَحَدٌ غَيْرُكَ، إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ مُنْذُ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَقَالَ:) مَا سَأَلَنِي عَنْهَا أَحَدٌ غَيْرُكَ، مُنْذُ أُنْزِلْتُ؛ هِيَ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ، يَرَاهَا الْمُسْلِمُ أَوْ تُرَى لَهُ) [الترمذي (٢٢٧٣) الصحيحة (١٧٨٦)].

أسباب اختيار الموضوع :

السبب الأول : وجود تلك النصوص القرآنية المبشرة للمؤمنين والمؤمنات - المشار إليها أعلاه - رفع همتي وأطمعني في تدبرها والتأمل فيها ، لا لأنني عند علم بالتفسير ولكن لما بين أيدينا من كلام أهل التفسير وغيرهم ممن آتاهم الله فهمًا في

كتابه ، فأحببت أن أنقّب عن دررهم وجواهرهم لأنتفع بها وأنفع بها أمة الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم .

السبب الثاني : مما هو معلوم أن من أهم وظائف الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام- بعد بيان الإيمان بالله تعالى البشارة والندارة، البشارة للمؤمنين الموحدين، والندارة للكافرين المشركين، قال سبحانه: (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ) [البقرة: ٢١٣]. وقال تعالى : (رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ) [النساء: ١٦٥].

السبب الثالث : أَنَّ الله تعالى أمر نبيّه صلى الله عليه وسلم أن يبشر المؤمنين **بالفضل الكبير**، فقال سبحانه: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا * وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا) [الأحزاب: ٤٥ - ٤٧].

ولا يخفى على مسلم ما جاء على لسان النبي صلى الله عليه وسلم من البشارات وهي ماثورة في كتب السنة المطهرة .فهذا زيد بن أرقم رضي الله عنه كتب إلى أنس بن مالك رضي الله عنه يُعزّيه فيمن أُصيب من أهله وبني عمه يوم الحرة، فكتب إليه: إِنِّي أَبَشِّرُكَ بِبُشْرَى مِنَ اللَّهِ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ، وَلِلذَرَارِيِّ الْأَنْصَارِ، وَلِلذَرَارِيِّ ذَرَارِيهِمْ) رواه الترمذي (٣٩٠٢) وأصله عند البخاري ومسلم.

ويبشر النبي صلى الله عليه وسلم من يصلي عليه من أمته، عن عبد الله بن أبي طلحة عن أبيه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- جَاءَ ذَاتَ يَوْمٍ وَالْبُشْرَى فِي وَجْهِهِ، فَقُلْنَا: إِنَّا لَنَرَى الْبُشْرَى فِي وَجْهِكَ! فَقَالَ: "إِنَّهُ أَتَانِي الْمَلَكُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّ رَبَّكَ يَقُولُ: "أَمَا يُرْضِيكَ أَنَّهُ لَا يُصَلِّي عَلَيْكَ أَحَدٌ إِلَّا صَلَّيْتُ عَلَيْهِ عَشْرًا! وَلَا يُسَلِّمُ عَلَيْكَ أَحَدٌ إِلَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ عَشْرًا؟!)" [رواه النسائي (١٢٨٣) حسن، التعليق على الرغيب (٢/٢٧٩)].

السبب الرابع : تصحيح مفهوم العمل الصالح وثوابه : إن كثيرا من المسلمين قد حصروا العمل الصالح في ناحية ضيقة وهي الشعائر التعبدية كما أن البعض حصر الثواب في الآخرة وظن أن لا أجر في الدنيا البتة .

يقول أحد الباحثين: إن القراءان الكريم والسُّنة المطهرة يؤكدان على تمازج المسلم مع الحياة ، إننا انشغلنا بالعمل الصالح الذي حصرناه في الشعائر التعبدية، لأننا فقدنا الهوية الفكرية عن معنى العمل الصالح في واقع الحقيقي بالامتزاج بالحياة لنمائها.

ولا أخفيك سرًا أن حجم المؤلفات في دولة إسرائيل على قلة تعدادها أضعاف مثيلاتها في الأمة الإسلامية جمعاء على كثرة جماهيرها، وما ذلك إلا لأننا ارتكبنا الفحشاء الفكرية حين لم نتصور أن القراءة من العمل الصالح، بل إنني وجدت من يحضون الناس على القراءة بشعار **(القراءة للجميع)**، ولم أسمع أحدا ينادي بأن ذلك الأمر من المبادئ الأساسية للشريعة الإسلامية.

إننا نشاهد كل يوم مولد متدين جديد يزدان في علوم الشعائر الإسلامية بينما هو مُتخلف حضاريا في ذات الوقت، وكأن التدين علامة على التخلف الحضاري والعلمي والثقافي والعملي!!؛ وهكذا تراكم تخلفنا جيلا بعد جيل لأننا حصرننا بفكرنا مفهوم العمل الصالح في أداء شعائر العبادات .

أين من يتدبرون كتاب الله؟؟، أين من يُبدعون في العلوم الإنسانية؟؟، وأين من يتفوقون في الزراعة، والصناعة، والطب، والهندسة والمحاسبة، وعلوم التاريخ، والفلسفة، والفلك، والجيولوجيا.... وغيرها؟ أليست جميعها من صالح الأعمال الذي تهض به المجتمعات؟ ألا تُحسب فيها الحسنه بعشر أمثالها؟

إن مفهومنا عن العمل الصالح جعل من أهل المهن مسخًا وسط الناس، وبفضل حصر مفهوم العمل الصالح في الشعائر أصبح العامل والمهني والموظف في بلاد

الإسلام أقل ضميرًا وإخلاصًا وفكرًا من نظيره في بلاد الغرب، وما ذاكم إلا لانعدام البصيرة، فلم يجد الناس من ينههم إلى أن التخصصات المهنية التي تخدم المجتمعات وتساهم في تطورها من العمل الصالح، وذلك دون التفات عن أداء الشعائر بدعوى أن العمل عبادة، فالانحراف عن جادة الصواب له دروب ذات اليمين وذات الشمال، لكن الله أرادنا أمة وسطا، بلا دروب للتفتت هنا أو هناك. فأين نحن من قوله تعالى: (وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) التوبة ١٠٥؟

السبب السادس : إن إعلاء شأن العمل في الأمة الإسلامية كان من ضرورات القربى لله، ولا بد من تدعيم ذلك في نفوس أهل الإسلام، ولا بد من إعادة صياغة فكرهم ليرعوا الحقيقة الغائبة عن معنى العمل الصالح.

إن المسلم المصلي الورع هو الذي ينهض بمن حوله، فيبدع لهم كما أبدع ابن سينا في الطب، وكما أبدع ابن البيطار في علم الصيدلة، وكما أبدع الخوارزمي وأبو الحسن بن العطار في علم الجبر والرياضيات، وكما أبدع يعقوب بن إسحاق الكندي وجابر بن حيان في علم الكيمياء، وكما أبدع الإدريسي والاصطخري في علم الجغرافيا، وكما أبدع الخليل بن أحمد الفراهيدي وابن دريد في علوم اللغة والنحو والبلاغة، وكما أبدع القزويني وابن البناء وابن المجدي في علم الفلك، فهؤلاء كان لهم حظ وافر في نفع البشرية والنهوض بالحضارة الإسلامية وتفوقها على سائر الحضارات السابقة وغيرهم كثير.

والمسلم الذي يخدم بإخلاص معتركه الوظيفي، إنما هو يضع لبننة في تقدّم العمل الخدمي الجماهيري وتقدّم دولاب العمل الإداري في أمة فسدت فيها هذه الأعمال. وهي تدعى إلى الإسلام، فهل حض الإسلام على خراب الذمم والكسل العقلي؟؟.

لابد لأهل الوظائف والمهن أن يعلموا أن أماكن عملهم مثل محراب الصلاة، وأن عملهم هو بمثل قيمة سجودهم، وأن تكاسلهم المشهور في أداء الأعمال إنما هو إفساد في الأرض بغير حق، بينما إخلاصهم في أعمالهم إنما هو من أعمال العبادات التي يُثاب فيها المرء بأضعاف ما يمكن أن يناله من الشعائر.

أقول لك أخي الحبيب: كل هذه الأسباب دفعتني إلى البحث في هذا الموضوع الهام فوجدت أن البشارات كثيرة جدا في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ولكن اقتصر بحثي على ما ورد في الكتاب الحكيم وحده.

منهجي في كتابة الموضوع:

١/ تتبع ما ورد من الآيات القرآنية التي ذكرت المبشرات فتوصلت إلى أنها تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: آيات مبشرات لأفراد المؤمنين من هذه الأمة أي أن تلك المبشرات يستطيع أن ينالها كل فرد من الأمة المحمدية بحسب كسبه لأسبابها وشروطها المنوطة بها فعلى سبيل المثال: إن الله تعالى بشر المتقين بحبه لهم في قوله تعالى ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ٧٦] ، فكل من كان تقيا فهو من المبشرين بنيل محبة الله له ولو كانت البلد مليئة بالفساق والكفار ، وكذلك بشر الله تعالى الأتقياء بالفرج بعد الشدة في قوله تعالى ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٢ - ٣]، فينال هذه البشارة كل فرد بحسب كسبه للتقوى .

القسم الثاني: آيات مبشرات للأمة في مجموعها ببشارات بعينها فما لم تحقق الأمة الصفات والشروط المطلوبة فلن تتحقق لها تلك البشارات، وهذا يعني أن تحقق هذه الصفات في بعض أفراد الأمة لن يحقق لها تلك البشارة ، وأوضح مثال

على ذلك : النصر على الأعداء والتفوق عليهم ، قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) سورة محمد (٧) ^١.

٢/ اقتصر في كتابي هذا على المبشرات الفردية ، وذلك لأنني وجدت أن غالبية الباحثين يركزون على المبشرات العامة للأمة كلها وهناك من يقتصر على المبشرات بانتصار الإسلام .

وقد بلغت تلك المبشرات خمس وعشرون مبشرة، أربع وعشرون منها في الدنيا وهي تخاطب كل فرد من المسلمين وأما العشرون فهي عامة لكل الأمة وهي ما يتعلق بالنصر والهزيمة ، وأما الأخيرة فهي في الآخرة وهي البشارة بالجنة جعلنا الله وإياك من أهلها.

وأرى أنَّ من فضل الله تعالى علي أن ألهمني تتبُّع هذه المبشرات الفردية من خلال نصوص القرآن الكريم - وأرجو الله أن ييسر لي تتبعها في السنة النبوية - ففي ذلك ما يرفع همة كل واحد من المسلمين ويحفزه على العمل الصالح لنصرة الإسلام فلعل ذلك مما يؤدي إلى رفع الأمة الإسلامية بين الأمم ، وما ذلك على الله بعزيز، إن أخلصنا الأعمال واتبعنا فيها خير الأنام عليه الصلاة والسلام .

٣/ لتوضيح المبشرة اخترت آية واحدة جعلتها هي العمدة ، لكي يعتمد عليها القارئ في فهم ما يليها من فقرات ، ثم بينت وجه البشارة فيها ثم قمت بتفسيرها تفسيراً مختصراً ثم اتبعت ذلك بما ورد حول البشارة من كلام العلماء والباحثين.

١/ قال القرطبي في تفسيرها : "أي إن تنصروا دين الله ينصركم على الكفار" اه وأيضاً وردت هذه السنة الإلهية والبشارة الربانية في قوله تعالى (وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ) الحج (٤٠) .

وقال الطبري في تفسيرها : يقول تعالى ذكره: وليعيننَّ الله من يقاتل في سبيله لتكون كلمته العليا على عدوه ، فنصر الله عبده: معونته إياه ونصر العبد ربه : جهاده في سبيله لتكون كلمته العليا. وقوله : (إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ) يقول تعالى ذكره : إن الله لقويٌّ على نصر من جاهد في سبيله من أهل ولايته وطاعته، عزيز في ملكه، يقول: منيع في سلطانه ، لا يقهره قاهر، ولا يغلبه غالب .

٤/ ذكرت في بعض البشارات مجموعة من القصص وذلك لما للقصة من أثرها في رفع الهمة للعمل الصالح إذ بها ينشد انتباه الناس على اختلاف مستوياتهم العلمية، ويتقبل ذهن السامع التدرج مع المتحدث فيها لما فيها من عنصري الجذب والتشويق. ومن ناحية أخرى القصص محببة للنفس لأن فيها متعة، والقارئ لها يرتاح لها ويُسرُّ، وتنبسط نفسه .

٥/ جمعت مادة الموضوع من كتب التفسير حيث تتبعْتُ آيات البشارات في القرآن الكريم - كما سبق ذكره - إضافة إلى عدد من البحوث المنشورة لبعض العلماء والباحثين في المواقع الإسلامية كصيد الفوائد والألوكة الشرعية والشبكة الإسلامية وموسوعة النابلسي الإسلامية وغيرها ، ثم قمت بالاختصار أو الزيادة أو إضافة ما يقتضيه البحث ، ثم قمت بعمل التنسيق والترتيب حسب المقام وذكرت صاحب المقال أو صاحب البحث وقلما يفوتني ذلك، لأن العلماء يقولون : من بركة العلم نسبة القول إلى قائله .

هذا وقد سميت هذا الكتاب بـ آيَاتُ مَبَشِّرَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ

وختاماً : أسأل الله باسمه الأعظم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دُعي به أجاب : أن يتقبل مني كتابي هذا بأحسن قبول ، وأن يرزقني والقراء الكرام كلَّ ما جاء في القرآن الكريم والسنة المطهرة من بشارات في الدنيا وفي الآخرة .

وكتبه أخوكم ومحبتكم

أحمد خضر حسنين الحسن

يوم الجمعة

٢٥ / رجب / ١٤٤١ - الموافق : ٢٠ / مارس / ٢٠٢٠

تمهيد

مفهوم المبشرات وعلاقتها بالسنن الألهية

مفهوم البشارة والبشرى في القرآن الكريم^١

يختار القرآن الكريم من الألفاظ ما هو أوقع في القلوب، وأدل على المطلوب؛ إذ اللفظ هو صلة الوصل بين المتكلم والمخاطب، وبقدر ما يكون هذا اللفظ واضحاً ومشرقاً، بقدر ما يحدث أثراً في النفس، فتسرع لقبوله، والأخذ بمضمونه ومدلوله.

ومن الألفاظ القرآنية المتصفة بما ذكرنا لفظ **(البشارة)**، فما دلالة هذا اللفظ في القرآن، نعرف ذلك بعد أن نطل سريعاً على تحديد المعنى اللغوي لهذا اللفظ.

تفيد معاجم العربية أن الجذر **(بشر)** يدل على ظهور الشيء مع حسن وجمال. ف**(البشرة)** ظاهر جلد الإنسان، ومنه باشر الرجل المرأة، وذلك إفضاؤه ببشرته إلى بشرتها. وسمي البشر بشراً؛ لظهورهم. و**(البشير)** الحسن الوجه.

و**(البشارة)** الجمال. قال الأعشى:

ورأت بأن الشيب جانبه البشاشة والبشارة

أي: جانبه الحسن والجمال.

ويقال: بَشَرْتُ فلاناً أَبَشَرَهُ تبشيراً، وذلك يكون بالخير، ويقال: أَبَشَرْتُ الأرض، إذا أخرجت نباتها. ويقال: بَشَرْتُ الأديم، إذا قشرت وجهه.

و**(البشارة)** أصلها: الخبر بما يُسَرُّ به المُخَبَّرُ، إذا كان سابقاً به كل مخبرٍ سواه. و**(التبشير)** الإخبار بما يظهر أثره على البشرية، وهي ظاهر الجلد؛ لتغيرها بأول خبر يرد عليك. والغالب أن يستعمل في السرور مقيداً بالخير المبشر به، وغير مقيد أيضاً.

^١ / لفظ (البشارة) في القرآن الكريم - موقع الشبكة الإسلامية - ركن المقالات ، ومقال بعنوان القرآن «بشرى» بالخير والنعيم في الدنيا والآخرة - لعدد من المشاركين - صحيفة الاتحاد - ٢٨ أبريل - ٢٠١١ .

ولا يستعمل **(التبشير)** في الغم والشر إلا مقيداً منصوباً على الشر المبشر به؛ قال تعالى: {فبشرهم بعذاب أليم} (آل عمران: ٢١).

ويقال: **بَشَّرْتُهُ وَبَشَّرْتُهُ بِشَارَةً فَأَبَشَّرَ وَاسْتَبَشَّرَ**. وبشر يبشر، إذا فرح. ووجه بشير، إذا كان حسناً بَيْنَ الْبَشَارَةِ.

ولفظ **(بشر)** ومشتقاته ورد في القرآن الكريم في **ثلاثة وعشرين ومائة موضع**، ورد في **ثمانية وأربعين موضعاً بصيغة الفعل**، من ذلك قوله تعالى: {وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ} البقرة (٢٥)، وهذا الفعل هو أكثر أفعال هذه اللفظ وروداً في القرآن الكريم، حيث ورد في **ثلاثة عشر موضعاً**.

وورد هذا اللفظ بصيغة الاسم في خمسة وسبعين موضعاً، منها قوله سبحانه: {وهدى وبشرى للمؤمنين} (البقرة: ٩٧)، وأكثر الأسماء وروداً لهذا اللفظ لفظ **(البشر)**، حيث ورد في **سبعة وثلاثين موضعاً**، منها قوله عز وجل: {وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا} (يوسف: ٣١).

وُحْصِيَ في القرآن كل موضع اعتبر من الإنسان جثته وظاهره بلفظ **(البشر)**، نحو قوله تعالى: {وَوَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا} (الفرقان: ٥٤).

وأما كلمة (البشرى): ما يعطاه المُبَشِّر. وتبشير الشيء : أوله.

وجاءت في القرآن : باعتبارها واحداً من أسماء القرآن الكريم، سماه الله تعالى به، وذهب إلى ذلك صاحب البرهان والسيوطي في الإتيان وغيرهما استناداً إلى قوله تعالى: (قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ) سورة البقرة (٩٧) .

وقوله عز وجل: (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ) سورة النحل (٨٩) وقوله سبحانه: (قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ

لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ) سورة النحل (١٠٢)، وقوله: (طَسَّ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ * هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ) سورة النمل (١-٢)، وقوله تعالى: (وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِّسَانَا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ) سورة الأحقاف (١٢).

إن الاسم «بشرى» ورد في القرآن الكريم في المواضع الخمسة السابقة، وأن هذا الاسم جاء نكرة في جميع الآيات التي ورد فيها هذا اللفظ، وسمي به القرآن الكريم للدلالة على عظيم شأنه وعلى أنه بشرى عامة جامعة، وأنه لم يسم أو يوصف بهذا الوصف أي كتاب سبقه كالتوراة والإنجيل والزبور وغيرها، مع أن بعض هذه الكتب وصفت بأنها هدى ورحمة ونذير وكتاب وغيرها من الأسماء المشتركة مع أسماء القرآن الكريم.

ومع أن اسم «هدى» لصيق لاسم «بشرى» في أربع آيات من الآيات الخمس؛ لأن القرآن كانت خصوصيته البشري؛ لأنه آخر الكتب، وبالتالي أقربها إلى تحقق الجزاء والثواب في الآخرة، وهو آخر أنباء الخير للبشر، والتصاق لفظ «بشرى» بلفظ «الهدى» في الآيات الأربع يوحي بأن البشري لا تتحقق إلا بالهداية، فإن الكتاب فيه التشريع وأوامر الله ونواهيه وطريق الرشاد، فمن ألزم نفسه بها وهدى إليها كان القرآن له بشرى، أما من ضل أو من خلط إيمانه بظلم فليس القرآن بشرى له، بل هو نذير وإنذار بالوعيد والقرآن الكريم «بشرى»؛ لأنه بركة وخير وهدى وسبب الفرح والسرور.

العلاقة بين هذه المبشرات والسنن الإلهية :

السنن الإلهية هو علم من العلوم التي بدأ العلماء ينشطون للتأليف فيها ومن أسهل التعريفات وأوضحها ما قاله الدكتور عبد الكريم زيدان رحمه الله : **سنة**

الله هي الطريقة المتبعة في معاملة الله تعالى البشر بناءً على سلوكهم وأفعالهم وموقفهم من شرع الله وأنبيائه وما يترتب على ذلك من نتائج في الدنيا والآخرة^١.

ولعله من الواضح من خلال هذا التعريف أن الآيات المبشرات جزء من السنن الإلهية التي يعامل الله بها عباده المؤمنين يؤخذ ذلك من قوله : (معاملة الله تعالى البشر بناءً على سلوكهم وأفعالهم).

وسبق لي - بفضل الله تعالى وتوفيقه - أن كتبت كتاباً في هذا العلم يبصّر الأمة بمسارها نحو التغيير للأفضل لتنهض الأمة من سباتها وتفيق من نومها لتأخذ مكانها الطبيعي في قيادتها للبشرية نحورفاهيتهم في الدنيا وسعادتهم في الآخرة .

ومن فصول ذلك الكتاب^٢ فصل بعنوان : السنن الإلهية في الأنفس وتحدثت فيه حول أربعة مباحث مهمة وهي سنة الله تعالى في الابتلاء ، وسنة الله تعالى في الجزاء من جنس العمل . وسنة الله تعالى في التغيير الاجتماعي . وسنن الإلهية الفاعلة في تغيير الأمة الإسلامية^٣.

وهي كما ترى تخاطب الأمة في عمومها وهي قوانين ثابتة لا تتبدل ولا تتغير، فجاءت هذه المبشرات مخصّصة للعموم ومكملة لسنن الله تعالى في المؤمنين والمؤمنات في جانب معين وهو ثوابهم على فعل الطاعات .

وكل ما كان العبء ثقيلاً والعمل شاقاً كان العامل في حاجة إلى ما يُخفف عنه المشاق بشئ من المحفزات وهي هذه المبشرات ، كيف لا تكون محفزة للعمل

١/ السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية / للدكتور / عبد الكريم زيدان - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط ٢ / ١٩٩٣ ص (١٣).

٢/ التغيّرات في الأمة الإسلامية في ضوء السنن الإلهية (بين الماضي والحاضر) - وهو من شور في موقع صيد الفوائد .

٣/ المرجع السابق - الفصل الثالث - ص (٦٦) وما بعدها .

مخففة للألم وهي من الله جل جلاله وتباركت أسماؤه الذي نسعى في مرضاته ونشتاق لرؤيته ، والتنعيم في جناته .

وهذه المبشرات ما هي إلا مبادئ وأهداف نعمل على تحقيقها ونشرها للوصول إلى الغاية الكبرى التي أشرت إليها ، ومن يعيش بلا أهداف ولا مبادئ عاش حياة ضائعة لا طعم لها ولا نتائج لها ولا ثمار لها لا لنفسه ولا لأمته .

وهنا علينا أن نتذكر: أن الله تعالى لما كان قوله حق ووعد صدق كان ذلك عند أهل الإيمان بمثابة البشارات : قال تعالى: (أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ) [القصص (٦١)] ، فالحال: وعدٌ حسن.. فهو لاقيه، أو متاع الدنيا ووعد الشيطان.. فهو من المحضرين! قال تعالى: (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) [البقرة (٢٦٨)] .

الوعد الحسن يحرك في الإنسان الشوق لبلوغه كما هي طباع البشر، فكيف إن كان من رب البشر لقلب مؤمن متيقن صدقه وتحققه؟! لذا يتباين ردُّ الفعل تجاهه بين مؤمن وكافر أو ظالم ومظلوم أو ضالٍّ ومهتد!

والعجيب أن الكفار يسمونه وعدًا رغم أنه لهم وعيد؛ ربما للتقليل من شأنه.. وما علموا أنهم بذلك يرفعون شأنه فالرحمن لا يتوعد بمفهوما البشري الضيق بل يعد ووعد حقه واقع! وقد يسمونه فتحًا يسخرون قال تعالى (وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ) (السجدة: ٢٨-٢٩) وهو فتحٌ وأنوفهم راغمة.. إنما للمؤمنين!

فسبيلنا في الحياة على أنه محفوف بالشهوات والمزاليق، إلا أنه بفضل الله وتحذير وتبشير رسله محميٌّ بالفطرة السليمة، مستقيم بتشريعه ومنهاجه، قائم ومقوم بمغفرته وطاعته، وتأتي تلك الوعود للمؤمن لتجعل مسيره يشرق بالنفحات والطيبات

وَلِيُحَلِّقْ بِالْأَنْسِ رَبُّ رَحِيمٍ؛ قَالَ تَعَالَى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ
الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا
يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ) [فاطر (٥-٦٩)] ، والعاقل من يثق بوعد الرحمن
ويتخذ الشيطان عدوًّا.. والشقي من يرتد على أعقابِه!

المقال الأول

بشارات رب العالمين لعباده المؤمنين إجمالاً^١

في هذه الحياة الدنيا التي فيها من صنوف الملذات والشهوات المحرمة ما يملأ قلوب المؤمنين خوفاً ووجلاً من الاقتراب منها، تأتي البشارة من الله تعالى لهؤلاء المؤمنين بأن لهم في الجنة من النعيم المقيم ما يسعدون به ولا يشقون أبداً.

تبشير الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم للمؤمنين:

جاء القرآن الكريم لتبشير المؤمنين؛ فقد قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ [مريم: ٩٧]. وقال الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]. وقال الله تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ * هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل: ١، ٢].

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩٧].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ١٠٢].

وعلى نهج القرآن كان النبي صلى الله عليه وسلم؛ فلقد كان يعلم أصحابه رضي الله عنهم أن يستبشروا بالخير والفضل.

وجاءت الرؤيا الصالحة من الله لتبشير المؤمنين؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا اقترَبَ الزمان، لم تكُ رؤيا المسلم تكذب، وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثاً، ورؤيا المسلم جزء من خمس وأربعين

١/ مقال للأستاذ أبي حاتم سعيد القاضي - موقع طريق الإسلام - (بتصرف).

جزءًا من النبوة، والرؤيا ثلاثة: فرؤيا الصالحة بُشِّرَ من الله، ورؤيا تحزين من الشيطان، ورؤيا مما يُحدِّث المرء نفسه، فإن رأى أحدكم ما يكره، فليقم فليصل، ولا يُحدِّث بها الناس)) أخرجه البخاري ومسلم، واللفظ له.

وفي لفظ: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((لم يبقَ من النبوة إلا **المبشِّرات**))، قالوا: وما المبشِّرات؟ قال: ((**الرؤيا الصالحة**)) أخرجه البخاري.

وأمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه رضي الله عنهم أن يستبشروا بالخير دائماً؛ فعن أبي موسى رضي الله عنه قال: كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم وهو نازل بالجعرانة بين مكة والمدينة ومعه بلال، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم أعرابي فقال: ألا تُنجز لي ما وعدتني؟ فقال له: **(أبشر)**، فقال: قد أكثرَ عليَّ من أبشر، فأقبل على أبي موسى وبلال كهيئة الغضبان، فقال: **((ردَّ البُشرى، فاقبلَا أنتما))**، قالوا: **(قَبِلْنَا)** أخرجه البخاري ومسلم.

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: جاء نفر من بني تميم إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: **(يا بني تميم، أبشروا)**، قالوا: بشَّرتنا فأعطينا، فتغيَّر وجهه، فجاءه أهل اليمن، فقال: **((يا أهل اليمن، اقبلوا البشري إذ لم يقبلها بنو تميم))**، قالوا: **(قبلنا)** أخرجه البخاري.

بل كان صلى الله عليه وسلم يحثُّهم على تبشير الناس بالخير؛ فعن أبي موسى رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بعثَ أحداً من أصحابه في بعض أمره، قال: **(بشِّروا ولا تُنفِّروا، ويسِّروا ولا تُعسِّروا)** أخرجه مسلم.

أصناف المُبشِّرين في كتاب الله تعالى : بشَّر الله تعالى في كتابه الكريم صنوفًا من الناس:

أولهم : المؤمنون: لقد بشَّر الله عباده المؤمنين في عدد من الآيات في كتابه الكريم - وسيأتي ذكرها - ولكن هناك آيات أربع منها تنتهي بقول الله تعالى: **﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾**،

على الاطلاق دون تحديد لنوع البشارة ولا لمانها ولا لحقيقتها ليدل على عِظَم البشارة.

الآية الأولى : قول الله تعالى: ﴿ نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا
لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة: ٢٢٣].

والآية الثانية : قوله سبحانه: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ
السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ
الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة: ١١٢].

والآية الثالثة : قوله سبحانه: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّأَا لِقَوْمِكَ مِمَّنْ
بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ٨٧].

والآية الرابعة : قوله سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ
مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُمْنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ
وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَأُخْرَى
تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الصف: ١٠ - ١٣].

ومن الآيات المبشرة للمؤمنين ببشارة مطلقة - أيضاً - :

قوله الله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ
الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ
اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر: ١٧، ١٨].

وبشّرهم الله تعالى بالفضل الكبير منه سبحانه وتعالى : فقال سبحانه: ﴿ وَبَشِّرِ
الْمُؤْمِنِينَ بِأَن لَّهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٤٧]. وقد سبق ذكرها في المقدمة .

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٩].

وبشرهم سبحانه وتعالى بالخير في الدنيا والآخرة: فقال جل شأنه: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ [يونس: ٦٣، ٦٤].

ثانيهم: المختبتون: قال الله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ * الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ [الحج: ٣٤، ٣٥].
الآية لم تتحدث عن طبيعة هذه البشارة، لكن يستفاد من آيات أخر أنها بشارة بالجنة التي أعدت للمتقين، وبشارة برضا الله عنهم.

ثالثهم: الصابرون: قال الله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٥ - ١٥٧].

رابعهم: المحسنون: قال الله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [الحج: ٣٧] وقال الله تعالى: ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانِ عَرَبِيٍّ لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأحقاف: ١٢].

خامسهم: بشارة المجاهدين بالرضا والعناية: قال سبحانه: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمَ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ ۚ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ * يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ ﴾ { (التوبة: ٢٠-٢١).
فالمجاهدون في سبيل الله أعظم فضيلة عند الله من الذين افتخروا بسقاية الحاج، وعمارة المسجد الحرام، ويبشرهم ربهم برحمة منه يوم القيامة، ورضوان من الله أكبر، والنعيم المقيم في جنات الخلد.

سادسهم: بشارة المستقيمين بتأييد الله لهم، وتثبيتهم على الحق: قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ { (فصلت: ٣٠).

أي: الذين أخلصوا العمل لله، وعملوا بطاعته على ما شرع الله لهم، فلا خوف عليهم مما يقدمون عليه من أمر الآخرة، ولا يحزنون على ما خلفوه من أمر الدنيا، من ولد وأهل ومال، فإن الله يخلفهم فيه، وتبشرهم الملائكة بذهاب الشر وحصول الخير .

سابعمهم : بشارة المتقين بالفوز والحماية : قال سبحانه: { أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } (يونس: ٦٢-٦٤)، فالآية تبشر المتقين بخيري الدنيا والآخرة .

ثامنهم : بشارة المذنبين بالمغفرة والوقاية : قال تعالى: { قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ } الزمر (٥٣). **قال ابن كثير رحمه الله تعالى :** هذه الآية الكريمة دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلى التوبة والإنابة ، وإخبار بأن الله يغفر الذنوب جميعا لمن تاب منها ورجع عنها ، وإن كانت مهما كانت وإن كثرت وكانت مثل زبد البحر . ولا يصح حمل هذه [الآية] على غير توبة ؛ لأن الشرك لا يغفر لمن لم يتب منه .

أنواع البشارات في القرآن والسنة :

١/ البشارة بالنصر والتمكين للمؤمنين :

من بشرى الخير التي بشر الله بها عباده المؤمنين في الدنيا تبشيرهم بالنصر والتمكين، قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾ [النور: ٥٥]

فلقد وعد الله بنصر عباده المؤمنين، وإعزاز دينه؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ
كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ * وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾
[الصفات: ١٧١ - ١٧٣]. وقال سبحانه تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

وبشّر النبي صلى الله عليه وسلم هذه الأمة بالنصر والظفر، قال خباب بن الارت رضي الله عنه: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو متوسّد بردةً، وهو في ظل الكعبة، وقد لقينا من المشركين شدةً، فقلت: يا رسول الله، ألا تدعو الله، فقعد وهو محمر وجهه، فقال: (لقد كان من قبلكم ليمشطُ بمشاط الحديد، ما دون عظامه من لحم أو عصب، ما يصرفه ذلك عن دينه، ويوضع المنشار على مفرق رأسه، فيشق باثنين ما يصرفه ذلك عن دينه، وليتمنّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله، والذئب على غنمه)، وفي رواية: ((ولكنكم تستعجلون)) أخرجه البخاري .

وعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلَغُ مَلَكُهَا مَا زَوَى لِي مِنْهَا..) أخرجه مسلم.

وعن تميم الداري رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (لِيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكِ اللَّهُ بَيْتَ مَدْرُولا وَبَرًّا إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ، بَعَزَ عَزِيزًا أَوْ بَذَلَ ذَلِيلًا، عَزًّا يُعَزُّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذَلًّا يَذُلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ) إسناده صحيح؛ أخرجه أحمد (١٠٣ / ٤).

وقوله : **أهل المدر** : سكان البيوت المبنية، **أهل الوبر**: أهل البادية؛ لأنهم يتخذون بيوتهم من الوبر، وهو الصوف. وعن أبي بن كعب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (بشّر هذه الأمة بالسّناء، والنصر، والتمكين، فمن عمل منهم عمل

الآخرة للدين، لم يكن له في الآخرة نصيب) إسناده حسن: أخرجه أحمد (٥ / ١٣٤)، والحاكم (٤ / ٣١١)،
والسنة: العلو والارتفاع.

٢/ البشارة بأن مع العسر يسرا، وبعد الشدة فرجا:

لا بد في الحياة الدنيا من بلايا وملهمات، ومحن واختبارات، فهذه طبيعتها، وتلك سنتها،
وما خلق الله الحياة إلا لابتلاء العباد بمقارعة الدهر ونوائبه؛ قال الله تعالى: ﴿أَحْسِبَ
النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ٢].

لكن المؤمنين لما حلت بهم الشدائد، استبشروا بقرب الفرج، وعلموا أن بعد العسر
يسرا، ولكل ضيق مخرجًا، ولكل هم فرجًا؛ قال الله تعالى: (فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ
مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا) [الشرح: ٥، ٦]، ففيها بشارة عظيمة، أنه كلما وجد عسر وصعوبة، فإن
اليسر يقارنه ويصاحبه، حتى لو دخل العسر جحر ضب لدخل عليه اليسر، فأخرجه
كما قال تعالى: (سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا) وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن
الفرج مع الكرب، وإن مع العسر يسرا".

وتعريف "العسر" في الآيتين، يدل على أنه واحد، وتنكير "اليسر" يدل على
تكراره، فلن يغلب عسر يسرين.

وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾ [يوسف: ١١٠].

فالصالحون دائماً إذا أصابتهم بلية، علموا أنها لا تدوم؛ قال الله: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ
نُدَّاءُ لَهَا﴾ [آل عمران: ١٤٠]، فالله يكشف البلايا، ويعلم الخفايا، قال الله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ
لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [فاطر: ٤٤].

فدوماً تفاعل خيراً، وأبشربراً، واعلم أن الله رحيم بعباده، لطيف بهم، وقد قال
صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضي الله عنهما: ((ألا أعلمك كلمات ينفعك الله
بهن؟))، فقلت: بلى، فقال: (احفظ الله يحفظك، واعلم أن في الصبر على ما تكره

خيرًا كثيرًا، وأن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً) إسناده حسن؛ أخرجه أحمد (١ / ٣٠٧)، وبعض أهل العلم بالحديث يعلّ زيادة: (واعلم أن في الصبر على على ما تكره خيرًا كثيرًا).

قال الشافعي رحمه الله:

ولرب نازلة يضيق لها الفتى ذرعًا، وعند الله منها المخرج

ضاقَت فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكنْتَ أظنّها لا تُفرجُ

3 / البشارة بالمغفرة للمؤمنين: قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ [يس: ١١].

4 / البشارة بالجنة للمؤمنين: بَشَّرَ الله تعالى المؤمنين بأعظم بشارة لهم؛ وهي دخول جنات النعيم؛ قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [البقرة: ٢٥]، وقال الله سبحانه: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [يونس: ٢].

قال الطبري في تفسيره: اختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿قَدَمَ صِدْقٍ﴾، قال: وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب، قول مَنْ قال: معناه أن لهم أعمالًا صالحةً عند الله يَستوجبون بها منه الثواب.

وقال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ* ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهَ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [الشورى: ٢٢، ٢٣]،

وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ* نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ﴾ [فصلت: ٣٠، ٣١].

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: خرجتُ ليلةً من الليالي ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي وحده، وليس معه إنسان، قال: فظننتُ أنه يكره أن يمشي معه أحد، قال: فجعلت أَمْشِي فِي ظِلِّ الْقَمَرِ، فالتفتَ فرآني، فقال: ((**من هذا؟**))، قلت: أبو ذر، جعلني الله فداءك، قال: ((**يا أبا ذرٍّ، تعاله**))، قال: فمشيت معه ساعةً، فقال لي: ((**اجلس ها هنا**))، قال: فأجَلَسَنِي فِي قَاعٍ حَوْلَهُ حِجَارَةً، فقال لي: ((**اجلس ها هنا حتى أرجع إليك**))، قال: فانطلقَ فِي الْحَرَّةِ حَتَّى لَا أَرَاهُ، فلبث عني فأطال اللبث، ثم إنني سمعته وهو مقبل وهو يقول: ((**وإن سرق، وإن زنى**)) قال: فلما جاء لم أصبر حتى قلتُ: يا نبي الله، جعلني الله فداءك، مَنْ تَكَلَّمَ فِي جَانِبِ الْحَرَّةِ، مَا سَمِعْتُ أَحَدًا يَرْجِعُ إِلَيْكَ شَيْئًا؟ قال: ((**ذلك جبريل عليه السلام، عرض لي في جانب الحرة، قال: بِشْرَ أَمَّتِكَ أنه من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، قلت: يا جبريل، وإن سرق، وإن زنى؟ قال: نعم، قال: قلت: وإن سرق وإن زنى؟ قال: نعم، وإن شرب الخمر**)) أخرجه البخاري (٦٤٤٣)، ومسلم (٩٤).

٥/ البشارة بالنار للكافرين والمنافقين سخرية منهم: قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣]، والبشارة إنما تكون بالمسرات، وإنما جاء هذا على سبيل التهكم بهم؛ بَشِّرْ هَؤُلَاءِ الْكَفْرَةَ بِالْعَذَابِ الْأَلِيمِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وقال سبحانه وتعالى: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: ١٣٨].

المقال الثاني

بشارات رب العالمين لعباده المتقين إجمالاً^١

قبل البدء بمنح وعطايا الله التي أعدها للمتقين لا بد من تعريف التقوى ، حيث يغلب استعمال التقوى على اجتناب المحرمات كما قال أبو هريرة رضي الله عنه ، فقد سئل عن التقوى فقال للسائل : هل أخذت طريقا ذا شوك ؟ قال : نعم ، قال : فكيف صنعت ؟ قال : إذا رأيت الشوك عزلت عنه أو جاوزته أو قصرت عنه ، قال : ذاك التقوى .

كما أن العلامة ابن رجب الحنبلي رحمه الله بين أصل التقوى فقال : أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويحذره وقاية تقيه منه ، فتقوى العبد لربه أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من ربه من غضبه وسخطه وعقابه وقاية تقيه من ذلك ، وهو فعل طاعته واجتناب معاصيه .

إذن حقيقة التقوى: هي فعل الأوامر، وترك النواهي ، مع الإخلاص لله تعالى في ذلك ونسبة الفضل إليه لا إلى نفسك .

لقد رتب الله جل وعلا على طاعته أمورا كثيرة فيها فلاح العبد وفوزه بالدنيا والآخرة؛ قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٢ - ٣] ، وقال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ [البقرة: ١٩٧] .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: (اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى)؛ رواه مسلم.

١/ مقتبس من مقالين : الأول : للأستاذ الدكتور عبدالله بن محمد الطيار والثاني : للدكتور : ناصر العمر – شبكة الألوكة الشرعية – بتصرف .

خمسة وعشرون بشارة لعباد الله المتقين :

إن من الأمور التي تَسُرُّ المسلمَ تلك البشارات التي بَشَّرَ الله بها المتقين، ومن ذلك:

١/ **البُشرى بالكرامات**؛ قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى﴾ [يونس: ٦٣ - ٦٤].

٢/ **البُشرى بالعون والنصرة**؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ [النحل: ١٢٨] ومن كان الله معه فمن عليه ، ومن كان الله عليه فمن معه ، ولعل هذه المنحة من أعظم وأجل المنح الإلهية للمتقين .

٣/ **البُشرى بالعلم والحكمة**؛ قال تعالى: ﴿إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩].

٤/ **البُشرى بكفارة الذنوب وعِظَم الأجر**؛ قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ [الطلاق: ٥].

٥/ **البُشرى بالمغفرة**؛ قال تعالى: ﴿وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٩].

٦/ **البُشرى باليسر والسهولة في الأمر**؛ قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤]. وهي منحة عظيمة لكل من يشتكي من عسر في أموره وحياته ، فتقوى الله تعالى خير دواء لذلك بنص بيان الله في القرآن الكريم.

٧/ **البُشرى بالخروج من الغمِّ والمحنة**؛ قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢].

٨/ **البُشرى بالرزق الواسع دون تعب أو نصَبٍ**؛ قال تعالى: ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٣]. وهي منحة يغفل عنها كثير من المسلمين اليوم حين يشتكون من ضيق الرزق وانسداد أفق المخرج من الأزمات والمحن التي يمرون بها ، بينما علاج

ذلك ودواؤه جلي في القرآن الكريم متمثل بتقوى الله تعالى الذي يفرج الكروب وينهي الأزمات ويفتح أبواب الرزق من حيث لا يحتسب الإنسان .

وفي حق عامة المتقين فتح بركات السماء والأرض : قال تعالى : (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) الأعراف(٩٦) **إنه قانون إلهي لعباده على مر العصور وكر الدهور ، بأن عاقبة التقوى والإيمان بالله فتح خيرات السماء بالماء المنهمر ، وإنبات خيرات الأرض مما لذ وطاب ، فهل يعي المسلمون هذه الحقيقة في أيام القحط والجفاف التي تمر بها الأمة كل فترة .**

٩/ البُشرى بالنجاة من العذاب والعقوبة : قال تعالى: ﴿ ثُمَّ نُنجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًا ﴾ [مريم: ٧٢] . إذا مر الخلائق كلهم على النار ، وسقط فيها من سقط من الكفار والعصاة ذوي المعاصي بحسبهم ، نجي الله تعالى المؤمنين المتقين منها بحسب أعمالهم . فجوازهم على الصراط وسرعتهم بقدر أعمالهم التي كانت في الدنيا .

١٠/ البُشرى بالفوز بالمراد، وحصول المرغوب : قال تعالى: ﴿ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [الزمر: ٦١] . وذلك لأن معهم آلة النجاة، وهي تقوى الله تعالى، التي هي العدة عند كل هول وشدة .

١١/ البُشرى بالتوفيق والعصمة : قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ } الأعراف(٢٠١) فالأتقياء من عباد الله تعالى لا يصرون على الذنوب والأخطاء إن وقعوا فيها ، بل يسارعون إلى التوبة والإنابة والرجوع إلى الله إن قارفوا ذنبا أو وقعوا لحظة في حبال الشيطان^١ .

١/ وقد ذكر ابن كثير عدة أقوال للمفسرين لكلمة "طائف" فمنهم من فسر ذلك بالغضب، ومنهم من فسره بمس الشيطان بالصرع ونحوه، ومنهم من فسره بالهم بالذنب، ومنهم من فسره بإصابة الذنب .

وكون الآية تشير إلى العصمة مأخوذ من وصفهم بالتقوى ، والمراد بالعصمة هنا حفظ الله تعالى لهم عن الوقوع في المعاصي في غالب أحوالهم .

١٢ / الشهادة لهم بالصدق؛ قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧] .

١٣ / البشارة بالأكرمية على الآخرين؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] . قال قتادة في هذه الآية : إن أكرم الكرم التقوى، ولأم اللؤم الفجور .

١٤ / البشارة بالمحبة؛ قال تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ٧٦] .

١٥ / البشارة بالفوز والفلاح؛ قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١٨٩] .

١٦ / البشارة بالقرب ونيل المطلوب، ووصول ثمرة العمل؛ قال تعالى: ﴿وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾ [الحج: ٣٧] .

١٧ / نيل الجزاء بالمحنة ووصول ثمرتها؛ قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠] .

١٨ / البشارة بقبول العمل الصالح؛ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧] . قال ابن كثير: أي : ممن اتقى الله في فعله ذلك .

١٩ / البشارة ببلوغ كمال العبودية : قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ [البينة: ٥] . قال العلماء : فمن كان قائماً لله بالعبوديتين في حال السراء والضراء، وحال المحبوب والمكروه، فهو من عباد الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وليس لعدوه سلطان عليه.

٢٠ / البشارة بالجنات والعيون : قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الحجر: ٤٥] .

٢١/ **البشارة بالأمن من البليّة:** قال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴾ [الدخان:

٥١]. ولم يقتصر الأمر على دخول الجنة فحسب ، بل هناك وصف دقيق لما أعده الله للمتقين من نعيم هناك ، بدءاً من لحظة استقبالهم على أبواب الجنة، قال تعالى :
﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ { الزمر(٧٣).

٢٢/ **البشارة بالفوقيّة على الخلق يوم الفزع:** قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [البقرة: ٢١٢].

٢٣/ **البشارة بزوال الخوف، وذهاب الحزن من العقوبة:** قال تعالى: ﴿ فَمَنْ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [الأنعام: ٤٨] وقال تعالى { وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ * وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } { الزمر (٦٠-٦١) .

قال ابن كثير رحمه الله : أي: ولا يحزنهم الفزع الأكبر، بل هم آمنون من كل فزع، مزحزون عن كل شر، مؤملون كل خير .

وأورد القرطبي رحمه الله في تفسيره حديثاً عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال في تفسير هذه الآية : (**يَحْشُرُ اللَّهُ مَعَ كُلِّ امْرِئٍ عَمَلَهُ فَيَكُونُ عَمَلُ الْمُؤْمِنِ مَعَهُ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ وَأَطْيَبِ رِيحٍ فَكُلَّمَا كَانَ رُغْبٌ أَوْ خَوْفٌ قَالَ لَهُ لَا تُرَعْ فَمَا أَنْتَ بِالْمُرَادِ بِهِ وَلَا أَنْتَ بِالْمَعْنَى بِهِ فَإِذَا كَثُرَ ذَلِكَ عَلَيْهِ قَالَ فَمَا أَحْسَنَكَ فَمَنْ أَنْتَ فَيَقُولُ أَمَا تَعْرِفُنِي أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ حَمَلْتَنِي عَلَى ثِقَلِي فَوَاللَّهِ لَأَحْمِلَنَّكَ وَلَأُدْفَعَنَّ عَنْكَ فَبَيَّ الْيَاقَالَ اللَّهُ " وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)**.

٢٤/ البشارة بالقرب من الرحيم الرحمن، واللقاء الذي يتمناه كل مسلم على ظهر الأرض؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَهَّجٍ * فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ [القمر: ٥٤ - ٥٥] .

٢٥/ البشارة بالنور ومغفرة الذنوب؛ قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ [الحديد: ٢٨] .

لقد ضمن الله بهذه الآية لعباده المتقين ثلاثة أمور:

١/ أعطاهم نصيبين من رحمته؛ نصيباً بالدنيا، ونصيباً في الآخرة.

2/ أعطاهم نوراً يمشون به في الظلمات .

3/ مغفرة ذنوبهم وهذا غاية التيسير على الخلق .

قال ابن القيم رحمه الله: (وإذا حدث خللٌ في التقوى، كانت النتيجة قلة التوفيق، وقسوة القلب، ومحق البركة في الرزق والعمر، ولباس الذل، وإهانة العدو، وضيق الصدر، وطول الهم والغم).

بُشِّرِ الْإِلَهَ عَلَى التَّقْوَى مَنَازِلُ لَا يَرْقَى إِلَيْهَا سِوَى الْمُحْفَوفِ بِالنَّعَمِ

مَنْ بَاتَ يَسْعَى إِلَى مَرْضَاةِ خَالِقِهِ يَبْدُلُ مَعْرُوفِهِ بِالْفِعْلِ وَالْكَلِمِ

يُقَالُ أَبْشِرْ بِجَنَاتٍ وَمَغْفِرَةٍ أَعْظَمُ بَعْفُو مَلِكِ الْكَوْنِ مِنْ غَنَمٍ

يَا رَبِّ إِنِّي ضَعِيفٌ فَاحْبُبْنِي مَدَدًا وَسَدِّدِ الْخَطْوَةَ فِي النَّاجِينَ بِالْكَرَمِ

قال محمد بن إسحاق رحمه الله: { فُرْقَانًا } أي: فصلا بين الحق والباطل ، فإن من اتقى الله بفعل أو امره وترك زواجه ، وفق لمعرفة الحق من الباطل ، فكان ذلك سبب نصره ونجاته ومخرجه من أمور الدنيا وسعاده يوم القيامة .

قال الدكتور ناصر العمر: هذا غيظ من فيض ما وعد الله تعالى به عباده المتقين من منح وعطايا في الدنيا والآخرة، استعرضتها لأستنهض بها همتي وهمم وعزائم من يقرأ هذه الكلمات لتحصيل التقوى التي أمرنا الله بها ، ولتفتح لنا آفاق تدبر كلام الله في كل مرة نتلو بها كتاب الله.

قلت : ومن حيث انتهى هذا المقال نبدأ تدبرنا للآيات المبشرات للمؤمنين والمؤمنات ، ونسأل الله الهداية والسداد والتوفيق لما يحب ويرضى .

البشارة الأولى

سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أعظم بشارات الله تعالى لنا

عمدة هذه البشارة : قوله تعالى : (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) آل عمران (١٦٤).

وجه البشارة فيها : افتتح كلامي بضرب مثل من واقع حياتنا - ولله المثل الأعلى - لوقال لك صديقك إنني سأعطيك هدية ثمينة ، فحتمًا لن يخطر ببالك إلا شيء قيم ككتاب علم كنت تبحث عنه أو ساعة ثمينة أو مبلغ كبير من المال أو ما شابه ذلك .. ففوجئت به يعطيك شيئًا تافها رخيص الثمن أو مبلغًا يسيرًا من المال ، ستقول حينها في نفسك - ولا بد - خيب أمني فيه ، ثم ليس له أن يمتن عليك فيما بعد أنه أهداك يوما ما تلك الهدية .

ولكن إن جاءك هذا الصديق بما توقعته وبما جال في خاطرك فحينها ستقول في نفسك له المنّة عليّ .

بناءً على هذا المثل نقول : إن الله عز وجل أخبرنا بأن بعثة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم منّة امتن بها علينا ولا يمتن عليك أحد من البشر إلا بشيء غال وقيم وفي نفس الوقت محبب إليك ، فكيف إذا كان المانُّ عليك هو الله تعالى ؟

إنَّ المانَّ عظيمٌ فلا تبد أن تكون المنّة عظيمة لعظمته تبارك وتعالى .. فهل عرفنا مكانة هذه البشارة وعظمة تلك المنّة أعني سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

ومن هنا كانت هذه الآية دليل على أن بعثته صلى الله عليه وسلم أعظم بشارة للمؤمنين حيث جعله الله تعالى من أعظم ما أنعم به على البشرية عامة وعلى أهل الإيمان خاصة .

وقد افتتحتُ هذه المبشرات بهذه المنة الإلهية علينا لأنه صلى الله عليه وسلم ليس بشارة في نفسه فقط بل هو أصل جميع البشارات لأنه جاءنا بالقرآن الكريم وبسنته الشريفة وفيهما من البشارات الشئ الكثير ، كما قال تعالى ﴿ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٤٧].

وبيان هذه الآية وما فيها من معان غزيرة يحتاج إلى كلام شيق وجميل وكثير والكتاب لا يحتمل التطويل أحببت أن أختصره في نقاط:

أولاً: هذه المنة غيرت حال الناس مما كانوا عليه قبل بعثته الشريفة :

لقد حولت البعثة النبوية البشر من شقاء الدنيا إلى سعادة الدنيا والآخرة ، ولا يخفى على أحد حال الناس وخصوصا العرب قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم إليهم إذ كانوا في ضلال بين واضح لا يخفى أمره على أحد من ذوى العقول السليمة والأذواق المستقيمة.

وحقا لقد كان الناس قبل أن يبرز نور الإسلام الذي جاء به صلى الله عليه وسلم من عند ربه في ضلال واضح، وظلام دامس، فهم من ناحية **العبادة** كانوا يشركون مع الله آلهة أخرى، ومن ناحية **الأخلاق** تفشت فيهم الرذائل حتى صارت شيئا مألوفاً، ومن ناحية **المعاملات** كانوا لا يلتزمون الحق والعدل في كثير من شئونهم. فكان من **رحمة الله** بالناس ومنته عليهم أن أرسل فيهم نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم لكي يخرجهم من ظلمات الكفر والفسوق والعصيان إلى نور الهداية والاستقامة والإيمان .

ثانياً: بشر الله تعالى بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قبل بعثته :

لما كانت البشارة به صلى الله عليه وسلم عظيمة وتغيير تاريخ البشرية الذي سيجري علي يديه لا مثيل له سطر الله تعالى البشارة ببعثته في الكتب السابقة وعلى السنة الأنبياء قبله صلى الله عليه وسلم **وبيان ذلك في ثلاث نقاط:**

الأولى: ورد في الحديث الذي رواه أبو أمامة رضي الله عنه قال : قلت يا نبي الله ما كان أول بدء أمرك ، قال : **(دعوة أبي إبراهيم ، وبشرى عيسى، ورأت أمي أنه يخرج منها نور أضاءت منه قصور الشام)** رواه أحمد ، واسناده حسن ، وله شواهد تقويه ، ورواه الطبراني (إسناده حسن) .

- **ودعوة إبراهيم عليه السلام وردت** في قوله تعالى **وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** البقرة (١٢٧-١٢٩) .

ودعوته عليه السلام مستجابة بلا شك ومن ثم كانت هي بشارة ببعثته صلى الله عليه وسلم .

- **وبشرى عيسى عليه السلام ببعثة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وردت في قوله تعالى** **(وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ)** الصف (٦) .

الثانية : جاء النص في حق جميع الأنبياء في قوله تعالى : (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَضْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَضْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ) آل عمران (٨١) .

قال ابن كثير رحمه الله : فالرسول محمد خاتم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه ، دائما إلى يوم الدين ، وهو الإمام الأعظم الذي لو وجد في أي عصر وجد لكان هو الواجب الطاعة المقدم على الأنبياء كلهم ، ولهذا كان إمامهم ليلة الإسراء لما

اجتمعوا ببیت المقدس ، وكذلك هو الشفيع في يوم الحشر في إتيان الرب لفصل القضاء ، وهو المقام المحمود الذي لا يليق إلا له ، والذي يحيد عنه أولو العزم من الأنبياء والمرسلين ، حتى تنتهي النبوة إليه ، فيكون هو المخصوص به .

وقال صاحب أضواء البيان رحمه الله: وقد خص عيسى بالنص على البشرى به صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه آخر أنبياء بني إسرائيل ، فهو ناقل تلك البشرى لقومه عما قبله (أي من النبيين عليهم السلام) .

الثالثة : قال الإمام الماوردي في (أعلام النبوة) : تقدمت بشائر من سلف من الأنبياء ، بنبوّة محمد . صلى الله عليه وسلم . مما هو حجة على أممهم ، ومعجزة تدل على صدقه عند غيرهم ، بما أطلعه الله - تعالى - على غيبه ، ليكون عوناً للرسول ، وحثاً على القبول ، فمنهم من عينه باسمه ، ومنهم من ذكره بصفته ، ومنهم من عزاه إلى قومه ، ومنهم من أضافه إلى بلده ، ومنهم من خصه بأفعاله ، ومنه من ميزه بظهوره وانتشاره ، وقد حقق الله - تعالى - هذه الصفات جميعها فيه ، حتى صار جلياً بعد الاحتمال ، ويقينا بعد الارتياب ^١ .

- وجاء في (منية الأذكىاء في قصص الأنبياء) : " إن نبينا - عليه الصلاة والسلام - قد بشر به الأنبياء السابقون ، وشهدوا بصدق نبوته ، ووصفوه وصفا رفع كل احتمال ، حيث صرحوا باسمه وبلده وجنسه وحليته وأطواره وسمته ، ومع أن أهل الكتاب حذفوا اسمه من نسخهم الأخيرة إلا أن ذلك لم يجد لهم نفعاً ، لبقاء الصفات التي اتفق عليها المؤرخون من كل جنس وملة ، وهي أظهر دلالة من الاسم على المسمى ، إذ قد يشترك اثنان في اسم ، ويمتنع اشتراك اثنين في جميع الأوصاف . لكن من أمدٍ غير بعيد قد شرعوا في تحريف بعض الصفات ليبعد صدقها عن النبي . صلى الله عليه وسلم . فتري كل نسخة متأخرة تختلف عما قبلها في بعض المواضع اختلافاً

١/ نقلاً عن موقع إسلام ويب - المقالات - مقال : بشارات الأنبياء بالحبيب صلى الله عليه وسلم .

لا يخفى على اللبيب أمره، ولا ما قصد به، ولم يفدهم ذلك غير تقوية الشبهة عليهم، لانتشار النسخ بالطبع وتيسير المقابلة بينها^١.

ثالثاً: لا بد من شئ من التعريف بمنة الله اللطيف (صلى الله عليه وسلم)^٢:

١/ المرجع السابق.

٢/ مما هو معلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم له من الفضائل ما لا يكاد يحصى ومن المناقب ما لا يُستقصى وهي مبثوثة في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية. فأما استخراج تلك الفضائل من الأحاديث النبوية فقد أَلَّف العلماء فيها كتباً كثيرة سواء أكانت كتباً عامة ككتب السيرة النبوية أو كتباً خاصة ككتب الخصائص النبوية أو كتب الدلائل النبوية أو كتب الشمائل المحمدية.

أما كتب السيرة النبوية : فهي أشهر من أنوه عليها لأن المؤلفات فيها أكثر من المؤلفات في غيرها ، وذكر الفضائل النبوية فيها قليل لأنها تهتم بالحوادث والغزوات .

وأما علم الخصائص: فالخصائص هي جمع خصيصة: وهي ما كان مختصاً بشيء أو مختصاً به ذلك الشيء، والخصائص هي ذكر ما انفرد به النبي صلى الله عليه وسلم. ومن الكتب المؤلفة في الخصائص والفضائل : منية السؤل في فضل الرسول صلى الله عليه وسلم - لسلطان العلماء العز بن عبد السلام (ت ٦٦٠هـ) والأنوار بخصائص النبي المختار - للحافظ ابن حجر (ت ٨٥٢هـ) وخصائص سيد العالمين - للعلامة يوسف بن محمد بن مسعود العبادي الدمشقي (ت ٧٧٦هـ) واللفظ المكرم بخصائص النبي صلى الله عليه وسلم - للعلامة محمد بن محمد بن عبد الله الخيضري (ت ٨٩٢هـ) ومن أشهرها كتاب الخصائص الكبرى - للسيوطي (ت ٩١١هـ). ومن الكتب المعاصرة : من معين الخصائص النبوية - لصالح الشامي ، وكتاب الجامع في الخصائص - لموسى بن راشد العازمي . وعلو قدره صلى الله عليه وسلم عند ربه للأستاذ الدكتور خليل إبراهيم العزامي ، ووقد وفقني الله تعالى وكتبت في ذلك : فتح الودود ببيان آيات الدفاع عن النبي صلى الله عليه وسلم بأحكام الردود ، وكتابي الآخر بَدْرُ التَّمَامِ الْجَامِعُ لِأَحَادِيثِ فَضَائِلِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ (وهو يحتوي على ٢٨٠ فضيلة من الفضائل المحمدية) وكلاهما مطبوع بحمد الله تعالى .

وأما كتب الدلائل : فهي تتناول المعجزات والدلائل التي تُبَيِّنُ صدقَ النبي صلى الله عليه وسلم، وأقدم من أفردها محمد بن يوسف الفريابي (ت ٢١٢هـ)، وهو محدِّثٌ ثقةٌ ثبتٌ، في كتابه: (دلائل النبوة)، ثم جاء بعده داود بن علي الأصبهاني (ت ٢٧٠هـ) في كتابه: (أعلام النبوة)، وابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) في مؤلفه: (أعلام رسول الله صلى الله عليه وسلم)، وابن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ) في كتابه: (أعلام النبوة)، وغيرهم .

مما لا شك فيه أنَّ كل مسلم يفرح بمنة الله تعالى عليه وبشارته له بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأقل واجباته تجاهه أن يتعرف عليه ومن هنا كان لا بد من ذكر نذري سير يعرفنا بحبيبنا وقرّة أعيننا وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

وهذه المعرفة تتم من خلال الاطلاع على سيرته وآدابه وأخلاقه وشمائله ودلائل نبوته وما اختصه الله تعالى به دون الأنبياء والمرسلين عليهم السلام .

ومما يقوي المعرفة به صلى الله عليه وسلم الاطلاع على فضائله الواردة في القرآن الكريم ، ومن هنا أحببت أن أقف مع ثلاث فقط ليتبصر المؤمن ببعض ما امتدحه الله تعالى به صلى الله عليه وسلم في قرآنه المجيد .

الآية الأولى : قوله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا * وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا) الأحزاب (٤٥-٤٧).

وأما كتب الشمائل فهي : تتناول أخلاق وآداب وصفات النبي صلى الله عليه وسلم، وأقدم من أفردتها بالتأليف : أبو البخري وهب بن وهب الأسدي (ت ٢٠٠هـ) في مؤلفه (صفة النبي صلى الله عليه وسلم)، ومن أبرز كتب الشمائل وأوسعها شهرة كتاب الشفا للقاضي عياض (ت ٥٤٤هـ) وكتاب الشمائل النبوية والخصائص المصطفوية - للحافظ الترمذي (ت ٢٧٩هـ) .

وأما المؤلفات في فضائل خير البريات عليه أفضل الصلوات وأتم التسليمات المستخرجة من القرآن خاصة فهي شحيحة جدا وقد طال بحثي في هذا المجال فلم أعثر إلا على كتابين :

أحدهما : كتاب دلالة القرآن المبين على ان النبي صلى الله عليه وسلم أفضل العالمين - من تأليف العلامة عبد الله بن الصديق الغماري الحسني وأما الآخر : فهو المدحة الكبرى من الكلام القديم في حق سيدنا محمد المصطفى على أفضل الصلاة وأتم التسليم - تأليف : أبو المكارم پير محمد دده أفند . نقلا عن مقدمة كتابي (تهذيب كتاب فضائل النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم - لمؤلفه العلامة أبو المكارم پير محمد دده أفندي) .

موضع الشاهد حسب المقام من هذه الآيات أن الله تعالى أثنى عليه بأنه (مُبَشِّرًا) **يقول السعدي رحمه الله** : فالمبشِّر هم: المؤمنون المتقون، الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح، وترك المعاصي، لهم البشرى في الحياة الدنيا، بكل ثواب دنيوي وديني، رتب على الإيمان والتقوى، وفي الأخرى بالنعيم المقيم. وذلك كله يستلزم، ذكر تفصيل المذكور، من تفاصيل الأعمال، وخصال التقوى، وأنواع الثواب.

وأورد ابن كثير عند تفسير هذه الآية قول وهب بن منبه^١ : إن الله أوحى إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل - يقال له : شعيا - أن قم في قومك بني إسرائيل ، فإني منطلق لسانك بوحى **وأبعث أميا** من الأميين ، أبعثه مبشرا ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق ، لو يمر إلى جنب سراج لم يطفئه من سكينته ، ولو يمشي على القصب لم يسمع من تحت قدميه ، أبعثه مبشرا ونذيرا ، لا يقول الخنا ، أفتح به أعينا كمها ، وآذانا صما ، وقلوبا غلفا ، أسدده لكل أمر جميل ، **وأهب له كل خلق كريم** ، وأجعل السكينة لباسه ، والبر شعاره ، والتقوى ضميره ، والحكمة منطقه ، والصدق والوفاء طبيعته ، **والعفو والمعروف خلقه** ، والحق شريعته ، والعدل سيرته ، والهدى إمامه ، والإسلام ملته ، وأحمد اسمه ، أهدي به بعد الضلالة . **وأعلم به بعد الجهالة ، وأرفع به بعد الخمالة ، وأعرف به بعد النكرة ، وأكثر به بعد القلة ، وأغني به بعد العيلة ، وأجمع به بعد الفرقة ، وأؤلف به بين أُمم متفرقة ، وقلوب مختلفة ، وأهواء متشتتة** ، وأستنقذ به فئاما من الناس عظيمة من الهلكة ، وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس ، يأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر، موحيين مؤمنين مخلصين، مصدقين لما جاءت به رسلي، ألهمهم التسبيح والتحميد ، والثناء والتكبير والتوحيد ،

١/ الأثر ذكره بعض المفسرين دون تعليق على إسناده ولا على متنه منهم ابن كثير وعزاه لاب أبي حاتم وذكره الزمخشري ، كما ذكره الزرقاني في المواهب اللدنية ، وقال ابن حجر : أخرجه ابو نعيم في الدلائل . وأقول : الأثر سواء أصح أم لم يصح فقد اشتمل مجامع صفاته صلى الله عليه وسلم وصفات أمته هذه الأمة المرحومة ببركاته صلى الله عليه وسلم .

في مساجدهم ومجالسهم ، ومضاجعهم ومنقلبهم ومثواهم ، يصلون لي قياما وقعودا ، ويقاتلون في سبيل الله صفوفًا وزحوفًا ، ويخرجون من ديارهم ابتغاء مرضاتي ألوفًا ، يطهرون الوجوه والأطراف ، ويشدون الثياب في الأنصاف ، قربانهم دماؤهم ، وأناجيلهم في صدورهم ، رهبان بالليل ليوث بالنهار ، وأجعل في أهل بيته وذريته السابقين والصديقين والشهداء والصالحين ، **أمته من بعده يهدون بالحق وبه يعدلون** ، أعز من نصرهم ، وأؤيد من دعا لهم ، وأجعل دائرة السوء على من خالفهم أو بغى عليهم ، أو أراد أن ينتزع شيئًا مما في أيديهم . أجعلهم ورثة لنبيهم ، والداعية إلى ربهم ، يأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ، ويوفون بعهدهم ، أختم بهم الخير الذي بدأته بأولهم ، ذلك فضلي أوتيته من أشاء ، وأنا ذو الفضل العظيم .

وَأَحْسَنُ مِنْكَ لَمْ تَرَ قَطُّ عَيْنِي وَأَجْمَلُ مِنْكَ لَمْ تَلِدِ النِّسَاءُ

خُلِقْتَ مُبَرَّءً مِنْ كُلِّ عَيْبٍ كَأَنَّكَ قَدْ خُلِقْتَ كَمَا تَشَاءُ

الآية الثانية : قوله تعالى : (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ) التوبة (١٢٨) .

جاء في تفسيرها^١ :

قوله تعالى : (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ) يمتن تعالى على عباده المؤمنين بما بعث فيهم النبي الأمي الذي من أنفسهم، يعرفون حاله، ويتمكنون من الأخذ عنه، ولا يأنفون عن الانقياد له، وهو . صلى الله عليه وسلم . في غاية النصح لهم، والسعي في مصالحهم.

قوله تعالى : (عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ) أي : يعز عليه الشيء الذي يعنت أمته ويشق عليها ؛ ولهذا جاء في الحديث المروي من طرق عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال :

١/ مأخوذ من السعدي وابن كثير والقرطبي .

(بعثت بالحنيفية السمحة) وفي الصحيح : (إن هذا الدين يسر) وشريعته كلها سهلة سمحة كاملة ، يسيرة على من يسرها الله تعالى عليه .

قوله تعالى : (حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ) أي : على هدايتكم ووصول النفع الدنيوي والأخروي إليكم . فيحب لكم الخير، ويسعى جهده في إيصاله إليكم، ويحرص على هدايتكم إلى الإيمان، ويكره لكم الشر، ويسعى جهده في تنفيركم عنه.

قوله تعالى : (بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) أي: شديد الرأفة والرحمة بهم، أرحم بهم من والديهم.ولهذا كان حقه مقدماً على سائر حقوق الخلق، وواجب على الأمة الإيمان به، وتعظيمه، وتعزيه، وتوقيره وقال الحسين بن الفضل : لم يجمع الله لأحد من الأنبياء اسمين من أسمائه إلا للنبي محمد صلى الله عليه وسلم ، فإنه قال : بالمؤمنين رءوف رحيم وقال : إن الله بالناس لرءوف رحيم .

الآية الثالثة: قوله تعالى : (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) القلم (٤).

جاء في تفسيرها^١: سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالت : كان خلقه القرآن .

وتفصيل كلامها رضي الله عنها أن يقال : خُلُقاً عَالِيّاً به، مستعليّاً بخلقك الذي من الله عليك به، وحاصل خلقه العظيم، وذلك نحو قوله تعالى له: (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) وقوله تعالى (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ) وقوله تعالى : (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) وما أشبه ذلك من الآيات الدالات على اتصافه صلى الله عليه وسلم بمكارم الأخلاق، والآيات الحاثات على الخلق العظيم فكان له منها أكملها وأجلها، وهو في كل خصلة منها، في الذروة العليا، فكان صلى الله عليه وسلم سهلاً ليناً، قريباً من الناس، مجيباً لدعوة من دعاه، قاضياً لحاجة من استقضاه،

١/ ملخص من تفسيري ابن كثير والسعدي .

جابرًا لقلب من سألَه، لا يحرمه، ولا يرده خائبًا، وإذا أراد أصحابه منه أمرًا وافقهم عليه، وتابعهم فيه إذا لم يكن فيه محذور، وإن عزم على أمر لم يستبد به دونهم، بل يشاورهم ويؤامرهم، وكان يقبل من محسنهم، ويعفو عن مسيئهم، ولم يكن يعاشر جليسًا له إلا أتم عشرة وأحسنها، فكان لا يعبس في وجهه، ولا يغلظ عليه في مقاله، ولا يطوي عنه بشره، ولا يمسك عليه فلتات لسانه، ولا يؤاخذ به بما يصدر منه من جفوة، بل يحسن إلى عشيره غاية الإحسان، ويحتمله غاية الاحتمال صلى الله عليه وسلم.

رابعاً: مظاهر هذه المنة والفضل ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم^١:

بَيَّنَّا لَنَا رَبَّنَا وَجَلَّ وَعَلَا فِي قَوْلِهِ (يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ) (آل عمران ١٦٤) :

١- (يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ) التلاوة قراءة القرآن وتسمى القراءة تلاوة لأنها آية تتبعها آية ، وهكذا فلتتابع وتوالي القراءة سميت قراءة القرآن تلاوة فهو أول مهامه أن يتلو آيات الله المنزلة عليه .

ولو تأمل الإنسان هذه المنة وحدها لراعتة وهزته حتى ما يتمالك أن ينصب قامته أمام الله، حتى وهو يقف أمامه للشكر والصلاة!.

ولو تأمل العبد لرأى أن الله الجليل - سبحانه - يتكرم عليه، فيخاطبه بكلماته. يخاطبه ليحدثه عن ذاته الجليلة وصفاته، وليعرفه بحقيقة الألوهية وخصائصها. ثم يخاطبه ليحدثه عن شأنه هو - هو الإنسان - هو العبد الصغير الضئيل - وعن حياته، وعن خوالجه، وعن حركاته وسكناته. يخاطبه ليدعوه إلى ما يحييه، وليرشده إلى ما يصلح قلبه وحاله، ويهتف به إلى جنة عرضها السماوات والأرض.

١/ مأخوذ من تفاسير السعدي والرازي والظلال .

فهو إلا الكرم الفاضل الذي يجري بهذه المنة، وهذا التفضل، وهذا العطاء؟ إن الله الجليل غني عن العالمين. وإن الإنسان الضئيل لهو الفقير المحوج.. ولكن الجليل هو الذي يحفل هذا الضئيل، ويتلمسه بعنايته، ويتابعه بدعوته! والغني هو الذي يخاطب الفقير ويدعوه ويكرر دعوته! **وقيل المراد بها الآيات الكونية.**

٢- (وَيُزَكِّهِمْ) أى يطهرهم من الكفر والذنوب، أو يدعوهم إلى ما يكونون به زاكين طاهرين مما كانوا عليه من دنس الجاهلية والاعتقادات الفاسدة.

قال الرازي رحمه الله : واعلم أن كمال حال الإنسان في أمرين : في أن يعرف الحق لذاته ، والخير لأجل العمل به .

وبعبارة أخرى : للنفس الإنسانية قوتان ، نظرية وعملية ، والله تعالى أنزل الكتاب على محمد عليه السلام ، ليكون سببا لتكميل الخلق في هاتين القوتين ، فقوله : (**يتلو عليهم آياته**) إشارة إلى كونه مبلغا لذلك الوحي من عند الله إلى الخلق ، وقوله : (**ويزكهم**) إشارة إلى تكميل القوة النظرية بحصول المعارف الإلهية " **والكتاب** " إشارة إلى معرفة التأويل .

٣- (وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ) بأن يبين لهم المقاصد التي من أجلها نزل القرآن الكريم، ويشرح لهم أحكامه، ويفسر لهم ما خفى عليهم من ألفاظه ومعانيه التي قد تخفى على مداركهم. فتعليم الكتاب غير تلاوته: لأن تلاوته قراءته مرتلا مفهوما أما تعليمه فمعناه بيان أحكامه وما اشتمل عليه من تشريعات وآداب.

وقال بعض المفسرين : المراد بالكتاب -هنا- الكتابة، فيكون قد امتن عليهم، بتعليم الكتاب والكتابة، التي بها تدرك العلوم وتحفظ.

٤- ويعلمهم كذلك (الْحِكْمَةَ) أى الفقه في الدين ومعرفة أسرار وحكمه ومقاصده التي يكمل بها العلم بالكتاب.

وقيل :هي: السنة، التي هي شقيقة القرآن، أو وضع الأشياء مواضعها، ومعرفة أسرار الشريعة. فجمع لهم بين تعليم الأحكام، وما به تنفذ الأحكام،

وما به تدرك فوائدها وثمراتها، ففاقوا بهذه الأمور العظيمة جميع المخلوقين، وكانوا من العلماء الربانيين.

خامساً: مظاهر الشكر على نعمة النبي صلى الله عليه وسلم :

مما هو معلوم أن كل نعمة تحتاج إلى شكر ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم أعظم منة امتن الله تعالى بها علينا معشر المؤمنين وجب علينا أن نشكره تعالى عليها ، وإنما يكون ذلك بالقيام بحقه صلى الله عليه وسلم فالحقوق النبوية قد ألفت فيها المؤلفات ^١ ، وأنا سأذكر بعضها هنا باختصار لأن الكتاب لا يحتمل التناول :

١/ **محبتة صلى الله عليه وسلم** : إن محبة المؤمن للنبي صلى الله عليه وسلم ليست هي من فضائل الأعمال أو نوافل الخيرات بل هي من أوجب الواجبات بل لا يتم الإيمان إلا بها دلت على ذلك أدلة كثير من الكتاب والسنة.

ومن ذلك قوله تعالى: (قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) (التوبة: ٢٤) لقد استدل أهل التفسير بهذه الآية على وجوب محبة النبي صلى الله عليه وسلم، وسأكتفي هنا بذكر أقوال بعضهم.

١/ مما أُلّف في هذا المجال : الشفا بتعريف حقوق سيدنا المصطفى صلى الله عليه وسلم - لمؤلفه العلامة القاضي العياض المالكي، وقد أفاد رحمه الله وأجاد ، ولكن كتابه يقع في مجلد كبير وقد لا يناسب عوام المسلمين . وكتاب : حقوق النبي صلى الله عليه وسلم على أمته في ضوء الكتاب والسنة - لمؤلفه الشيخ : محمد بن خليفة التميمي ، وهو أيضا كتاب ضخم يقع في (٨٥٤) صفحة، وهو من المعاصرين . وما سطرته أعلاه مقتبس من رسالة مختصرة لي بعنوان : مُخْتَصَرُ الْكَلَامِ فِي حُقُوقِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .

قال القاضي عياض رحمه الله: كفى بهذه الآية حُضاً وتنبهاً ودلالة وحجة على الزام محبته صلى الله عليه وسلم ووجوب فرضها وعظم خطرهما، واستحقاقه لها صلى الله عليه وسلم إذ قرّع - وبّخ - الله تعالى من كان أهله وماله وولده أحب إليه من الله ورسوله، وأوعدهم بقوله: (فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ) ثم فسقهم بتمام الآية وأعلمهم أنهم ممن ضل ولم يهده الله " اهـ.

ومن الأحاديث ما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **(والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده)** .

فُولُوا مَعِيَ فَخَرًا لِأَعْظَمِ مُرْسَلٍ بِالْشَّرِّ نَدَدُ

إِنَّا نَحِبُّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ حُبًّا لَا يُبَدَّدُ

فَلْتَشْهَدِي يَا أَرْضُ هَذَا وَالسَّمَاءُ وَالْكُونُ يَشْهَدُ

٢/ توقيره صلى الله عليه وسلم : ذلك بلفظ التوقير الذي هو الإجلال والاحترام والإعظام، ولفظ التعزيز الذي هو التوفير والتعظيم والنص في آيتين من كتاب الله تعالى: (فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (الأعراف: من الآية ١٥٧).

وقوله تعالى: (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) (الفتح: ٨-٩) .

قال الخطيب الشربيني في تفسير : " قوله تعالى: (وَتُعَزِّرُوهُ) أي وقروه وعظموه وأصل التعزيز المنع والنصرة، وتعزيز النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه وإجلاله ودفع الأعداء عنه " اهـ.

وقال القاضي عياض رحمه الله: (فأوجب الله تعالى تعزيره صلى الله عليه وسلم وتوقيره وألزم إكرامه وتعظيمه) قال ابن عباس: تعزروه : تجلوه، وقال المبرد تعزروه: تبالغوا في تعظيمه" اهـ .

٣/ الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم : إن من أعظم الواجبات التي يجب على المسلم مراعاتها تجاه النبي صلى الله عليه وسلم أن يصلى عليه صلى الله عليه وسلم وإن استطاع الإكثار منها فذلك أحسن وهو من أعظم القربات التي تزيد في الحسنات وتكفر السيئات وترفع الدرجات وتقرب الإنسان من النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة يوم القيامة كما سيأتي بيانه إن شاء الله .

قال الشافعي رحمه الله في الأم: "فرض الله الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) الأحزاب (٥٦) .

صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ يَا خَيْرَ الْوَرَى تَعْدَادَ حَبَاتِ الرَّمَالِ وَأَكْثَرَا

صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ مَا غِيْثٌ هَمِي فَوْقَ السَّهَوِلِ وَبِالْجِبَالِ وَبِالْقُرَى

صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ فِي عَلِيَّائِهِ مَا صَاحَ دَاعٍ لِلْأَذَانِ وَكَبَّرَا

يَا رَبِّ صَلِّ عَلَى النَّبِيِّ وَآلِهِ مَا فَاضَ نَبْعٌ بِالْجَدَاوِلِ أَوْ جَرَى

يَا رَبِّ صَلِّ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ مَا شَجَّ جُرْحٌ فِي سَبِيلِكَ وَانْبَرَى

صَلُّوا عَلَى الْمُخْتَارِ أَحْمَدَ إِنَّهُ أَزْكَى الْأَنَامِ وَخَيْرٌ مَنْ وَطِئَ الثَّرَى

البشارة الثانية

الشَّرَفُ والوَافِرُ والعِزُّ الظاهرُ لِمَنْ كَانَ لِلَّهِ تَعَالَى ذَاكِرٌ

عمدة هذه البشارة : قوله تعالى : (كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ * فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ) سورة البقرة (١٥١-١٥٢) .

وجه البشارة : وهي قوله تعالى (فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ) ، لا أحد من أهل الإيمان إلا وهو يعلم أن أعظم شرف يناله في هذه الحياة - بعد الإيمان - هو أن يذكره الله تعالى ، فذكره تعالى لك أيها المؤمن أعظم من أن تُذكر في مجالس الملوك والوزراء أو أن تنال الحظوة لدى أي أحد كائن من كان بل لا مقارنة أصلاً ولكن هذا لتقريب المعنى ولله المثل الأعلى .

قال الله تعالى: ﴿ ائْتِلْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٥]. **قال مجاهد في قوله تعالى ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ :** «لذكر الله عبده أكبر من ذكر العبد ربه، في الصلاة وغيرها!». .

وقال يحيى بن معاذ رحمه الله: «يا غفول يا جهول! لو سمعت صرير الأقلام في اللوح المحفوظ وهي تكتب اسمك عند ذكرك لمولاك؛ لمتَّ شوقاً إلى مولاك».

وكما قيل: ذكر الله تعالى غاية الصالحين ومنتهى أمل الصادقين، من لزمه فهو في أنس دائم وخير عميم! إذا نزلت بهم النوازل فهو حصنهم، وإذا أحاطت بهم المصائب فهو كفهم.

وقال ابن القيم رحمه الله: «به يستدفعون الآفات، ويستكشفون الكربات، وتهون عليهم به المصيبات، إذا أظلم البلاء فإليه ملجؤهم، وإذا نزلت به النوازل؛ فإليه مفزعهم، فهو رياض جنتهم التي فيها يتقلبون ورءوس أموال سعادتهم؛ التي بها يتجرون، يدع القلب الحزين ضاحكاً مسروراً، ويوصل الذاكر إلى المذكور، بل يدع الذاكر مذكوراً».

ورحم الله القائل:

ومما زادني شرفاً وتيهاً وكدت بأخمصي أطأ الثريا

دخولي تحت قولك يا عبادي وأن صيرت أحمد لي نبيا

ثم أقول وفي هاتين الآتين بشارتين:

إحداهما: أن الله جعل إرسال نبيه صلى الله عليه وسلم نعمة منه تعالى تستحق الشكر، وقد سبق الكلام عليها في البشارة الأولى.

الثانية: أرشدنا إلى كيفية تعظيم هذه النعمة ومعرفة قدرها بألا ننسى ذكره يقول الشيخ الشعراوي رحمه الله: أي كل هذه النعم والفضل عليكم يجب ألا تنسوها.. أن تعيشوا دائماً في ذكر من أنعم عليكم.. فالله سبحانه وتعالى يريد من عباده الذكر وهم كلما ذكروه سبحانه وشكروه شكرهم وزادهم.

أولاً: من الدلائل على عظم مكانة هذه العبادة - الذكر - وشرف منزلتها:

١ / كثرة تكرار كلمة الذكر في القرآن الكريم فلفظ (الذكر) من الألفاظ المتواترة الحضور في القرآن، فقد ورد هذا اللفظ في ثمانية وستين ومئتي (٢٦٨) موضع، جاء في أربعة وخمسين ومائة موضع بصيغة الفعل بتصريفاته المتنوعة، من ذلك قوله سبحانه: {وذكر الله كثيراً} (الأحزاب: ٢١)، وجاءت أكثر صيغ الأفعال وروداً في القرآن صيغة الأمر، نحو قوله سبحانه: {واذكروا الله} (البقرة: ١٠٣)، حيث وردت هذه الصيغة في واحد وثلاثين موضعاً.

وورد لفظ (الذكر) بصيغة الاسم وتصريفات متنوعة في مئة وأربعة عشر موضعاً، من ذلك قوله تعالى: {ذلك نتلوهُ عليك من الآيات والذكر الحكيم} (آل عمران: ٥٨).

٢ / اشتملت كلمة (ذكر) في القرآن على معانٍ جليلة وعظيمة ، منها :

- الذكر بمعنى (العبرة والعظة)، من ذلك قوله سبحانه: {فلما نسوا ما ذكروا به} (الأنعام: ٤٤)، أي: ما وُعِظُوا به. ومنه قوله تعالى: {وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين} (الذاريات: ٥٥). و(الذكر) على هذا المعنى كثير في القرآن أيضاً.
- الذكر بمعنى (التذكر)، من ذلك قوله تعالى: {والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله} (آل عمران: ١٣٥)، يعني بذلك: ذكروا وعيد الله على ما أتوا من معصيتهم إياه، فسألوا ربهم أن يستر عليهم ذنوبهم بالصفح عنهم، وعدم معاقبتهم عليها. ونحو ذلك قوله سبحانه: {واذكر في الكتاب مريم} (مريم: ١٦).
- الذكر بمعنى (الطاعة)، من ذلك قوله تعالى: {فاذكروني أذكركم} (البقرة: ١٥٢)، أي: أطيعوني فيما أمرتكم به ونهيتمكم عنه، أثبكم بالأجر والمغفرة. وهذا على أحد التفسيرين للآية.
- الذكر بمعنى (القرآن)، من ذلك قوله سبحانه: {وهذا ذكر مبارك أنزلناه} (الأنعام: ٥٠)، أي: هذا القرآن الذي أنزلناه إلى محمد صلى الله عليه وسلم ذكر لمن تذكر به، وموعظة لمن اتعظ به. ومن هذا القبيل قوله سبحانه: {ما

يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون { (الأنبياء: ٢)، فالمراد بـ (الذكر) هنا: القرآن.

- الذكر بمعنى (الحفظ)، من ذلك قوله تعالى: {خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه} (البقرة: ٦٣)، قال القرطبي: تدبروه، واحفظوا أوامره ووعيده، ولا تنسوه، ولا تضيعوه. ونحوه قوله سبحانه: {واذكروا نعمة الله عليكم} (آل عمران: ١٠٣)، أي: احفظوا ما أنعم الله عليكم من نعم، ولا تضعوها في غير موضعها المشروع.

- الذكر بمعنى (الشرف)، من ذلك قوله تعالى: {وإنه لذكر لك ولقومك} (الزخرف: ٤٤)، أي: إن هذا القرآن الذي أوحى إليك يا محمد، لشرف لك ولقومك من قريش. ومن الآيات التي فُسر (الذكر) فيها بمعنى (الشرف)، قوله تعالى: {لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم} (الأنبياء: ١٠)، قال بعض المفسرين: عني بـ {الذكر} في هذا الموضع: الشرف.

ثانياً: من أجمع وأجمل ما ورد في تفسير هذه الآية (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ):

قال الرازي رحمه الله تعالى :

قوله : (أَذْكُرْكُمْ) لا بد من حمله على ما يليق بالموضع ، والذي له تعلق بذلك الثواب والمدح ، وإظهار الرضا والإكرام ، وإيجاب المنزلة.

وكل ذلك داخل تحت قوله : (أَذْكُرْكُمْ) ثم للناس في هذه الآية عبارات :

الأولى : اذكروني بطاعتي أَذْكُرْكُمْ برحمتي .

الثانية : اذكروني بالدعاء أذكركم بالإجابة والإحسان وهو بمنزلة قوله تعالى : (ادعوني أستجب لكم) [غافر: ٦٠] وهو قول أبي مسلم، قال : أمر الخلق بأن يذكروه راغبين راهبين، وراجين خائفين، ويخلصوا الذكر له عن الشركاء ، فإذا هم ذكروه

بالإخلاص في عبادته وربوبيته ذكرهم بالإحسان والرحمة والنعمة في العاجلة والأجلّة .

الثالثة : اذكروني بالثناء والطاعة **أذكركم** بالثناء والنعمة .

الرابعة : اذكروني في الدنيا **أذكركم** في الآخرة .

الخامسة : اذكروني في الخلوات **أذكركم** في الفلوات .

السادسة : اذكروني في الرخاء **أذكركم** في البلاء .

السابعة : اذكروني بطاعتي **أذكركم** بمعونتي .

الثامنة : اذكروني بمجاهدتي **أذكركم** بهدايتي .

التاسعة : اذكروني بالصدق والإخلاص **أذكركم** بالخلاص ومزيد الاختصاص .

العاشرة : اذكروني بالربوبية في الفاتحة **أذكركم** بالرحمة والعبودية في الخاتمة .

وقال بعض المفسرين : فاذكروني في النعمة والرخاء **أذكركم** في الشدة والبلاء، أو: فاذكروني بالتسليم والرضا **أذكركم** بحسن التدبير ولطف القضاء، (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) [الطَّلَاق: ٣] أو: فاذكروني بالشوق والمحبة **أذكركم** بالوصال والقربة. أو: فاذكروني بالتوبة **أذكركم** بغفران الحوبة، أو: فاذكروني بالدعاء **أذكركم** بالعطاء، أو: فاذكروني بالسؤال **أذكركم** بالنوال ، أو: فاذكروني بالطاعات **أذكركم** بالمعافاة، يعني يحييه حياة طيبة. أو: فاذكروني في الخلاء والملا **أذكركم** في أفضل الملا، دليله الحديث القدسي : (يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلٍّ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلٍّ خَيْرٍ مِنْهُمْ) متفقٌ عليه..

ثالثاً : أنواع الذكر^١:

١/ الذكر باللسان وهو ما أسماه ابن القيم بالذكر الظاهر ثناء أو دعاء أو رعاية.

فأما ذكر الثناء، فنحو: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر.

وأما ذكر الدعاء، فنحو: ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف: ٢٣].

٢/ الذكر بالقلب : وهو ما أسماه ابن القيم أما ذكر الرعاية، فمثل قول الذاكر: (الله معي، الله ناظر إليّ، الله شاهدي).

قال ابن القيم رحمه الله : ويدخل فيه الذكر الخفي وهو الخلاص من القيود ، والبقاء مع الشهود، ولزوم المسامرة.

ويدخل فيه الذكر الحقيقي، وهو شهود ذكر الحق إياك، والتخلص من شهود ذكرك).

وقد سُمي هذا الذكر حقيقياً؛ لأنه منسوب إلى الرب تعالى فذكر الله لعبده هو الذكر الحقيقي، وهو شهود ذكر الحق عبده .

وقال الرازي ذكرهم إياه بقلوبهم على ثلاثة أنواع:

أحدها : أن يتفكروا في الدلائل الدالة على ذاته وصفاته ، ويتفكروا في الجواب عن الشبهة القادحة في تلك الدلائل .

وثانيها : أن يتفكروا في الدلائل الدالة على كيفية تكاليفه وأحكامه وأوامره ونواهيه ووعده ووعيده ، فإذا عرفوا كيفية التكليف وعرفوا ما في الفعل من الوعد ، وفي الترك من الوعيد سهل فعله عليهم .

١/ تفسير الرازي وتفسير الألوسي ومدارج السالكين - (٢٤٥٢ - ٤٥٣).

وثالثها : أن يتفكروا في أسرار مخلوقات الله تعالى حتى تصير كل ذرة من ذرات المخلوقات كالمرآة المجلوة المحاذية لعالم القدس ، فإذا نظر العبد إليها انعكس شعاع بصره منها إلى عالم الجلال ، وهذا المقام مقام لا نهاية له ، أما ذكرهم إياه تعالى بجوارحهم ، فهو أن تكون جوارحهم مستغرقة في الأعمال التي أمروا بها ، وخالية عن الأعمال التي نهوا عنها ، وعلى هذا الوجه سعى الله تعالى الصلاة ذكرا بقوله : (فاسعوا إلى ذكر الله) [الجمعة : ٩] فصار الأمر بقوله : (فاذكروني) متضمنا جميع الطاعات ، فلهذا روي عن سعيد بن جبير أنه قال : اذكروني بطاعتي ، فأجمله حتى يدخل الكل فيه ،

٣/ والذكر بالجوارح : هو أن تصير مستغرقة في الطاعات ومن ثم سَمَّى الله الصلاة ذكراً، فقال: ﴿ فَاسْعُوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾.

ومن هذا النوع استغراق الجوارح في الأعمال المأمور بها خالية عن الأعمال المنهي عنها ولكون الصلاة مشتملة على هذه الثلاثة، سماها الله تعالى ذكرا في قوله : فاسعوا إلى ذكر الله . وقال أهل الحقيقة : حقيقة ذكر الله - تعالى - أن ينسى كل شيء سواه. أذكركم أي: أجازكم بالثواب، وعبر عن ذلك بالذكر للمشكلة، ولأنه نتيجه ومنشؤه، وفي الصحيحين: "من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير من ملئه".

ونقل بعضهم، قال: الذكر على سبعة أنحاء: فذكر العينين بالبكاء، وذكر الأذنين بالإصغاء، وذكر اللسان بالثناء، وذكر اليدين بالعطاء، وذكر البدن بالوفاء، وذكر القلب بالخوف والرجاء، وذكر الروح بالتسليم والرضا .

رابعاً : من ثمار الذكر في الدنيا^١ :

١/ الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب - لابن القيم - بتصرف وزيادات من كتب أخرى.

١/ يورث القوة البدنية على القيام بالوظيفة الدنيوية ودليل ذلك ما ورد عن علي رضي الله عنه أنه قال: (شكت فاطمة إلى النبي صلى الله عليه وسلم ما تلقى في يدها من الرحي، فأتي بسبي، فأنته تسأله فلم تره، فأخبرت بذلك عائشة، فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته، فأتانا وقد أخذنا مضاجعنا فذهبنا لنقوم، فقال: علي مكانكما، فجاء فقعد بيننا حتى وجدت برد قدميه على صدري، فقال: ألا أدلكما على خير مما سألتما؛ إذا أخذتما مضاجعكما، فسبحا ثلاثاً وثلاثين، واحمداً ثلاثاً وثلاثين، وكبراً أربعاً وثلاثين؛ فهو خير لكما من خادم) صحيح، أخرجه الترمذي (٣٤٠٨).

٢/ أَنَّ الذِّكْرَ يُورِثُ جِلَاءَ الْقَلْبِ مِنْ صَدَنِهِ، وَلَا رَيْبَ أَنَّ الْقَلْبَ يَصْدَأُ كَمَا يَصْدَأُ النُّحَاسُ وَالْفِضَّةُ وَغَيْرُهُمَا، وَجِلَاؤُهُ بِالذِّكْرِ، فَإِنَّهُ يَجْلُو الْقَلْبَ حَتَّى يَدَعَهُ كَالْمِرَاةِ الْبَيْضَاءِ، فَإِذَا تَرَكَ الْعَبْدُ الذِّكْرَ صَدِيَ قَلْبُهُ، فَإِذَا ذَكَرَ جَلَأَ.

وَصْدَأَ الْقَلْبَ بِأَمْرَيْنِ: بِالْغَفْلَةِ، وَالذَّنْبِ؛ وَجِلَاؤُهُ بِشَيْئَيْنِ: بِالِاسْتِغْفَارِ وَالذِّكْرِ.

فَمَنْ كَانَتْ الْغَفْلَةُ أَغْلَبَ أَوْقَاتِهِ كَانَ الصَّدَأُ مُتْرَاكِمًا عَلَى قَلْبِهِ، وَصَدَوُهُ بِحَسَبِ غَفْلَتِهِ.

وَإِذَا صَدِيَ الْقَلْبُ لَمْ تَنْطَبِعْ فِيهِ صُورُ الْمَعْلُومَاتِ عَلَى مَا هِيَ فِيهِ؛ فَيَرَى الْبَاطِلَ فِي صُورَةِ الْحَقِّ، وَالْحَقَّ فِي صُورَةِ الْبَاطِلِ، لِأَنَّهُ لَمَّا تَرَكَ عَلَيْهِ الصَّدَأَ أَظْلَمَ فَلَمْ تَظْهَرْ فِيهِ صُورُ الْحَقَائِقِ كَمَا هِيَ عَلَيْهِ.

فَإِذَا تَرَكَ عَلَيْهِ الصَّدَأَ إِسْوَدَ، وَرَكِبَهُ الرَّانُ فَفَسَدَ تَصَوُّرُهُ وَإِدْرَاكُهُ فَلَا يَقْبَلُ حَقًّا، وَلَا يُنْكِرُ بَاطِلًا، وَهَذَا أَعْظَمُ عُقُوبَاتِ الْقَلْبِ.

٣/ أَنَّ الذِّكْرَ يَسْعِدُ الذَّاكِرُ بِهِ وَيَسْعِدُ بِهِ جَلِيسُهُ، وَهَذَا هُوَ الْمُبَارَكُ أَيْنَ مَا كَانَ، وَالْغَافِلُ يَشْقَى بِلُغْوِهِ وَغَفْلَتِهِ وَيَشْقَى بِهِ مُجَالِسُهُ. قال تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ) الرعد (٢٨) أي: يزول قلقها واضطرابها، وتحضرها أفراحها ولذاتها. (أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) أي: حقيق بها وحرى أن لا تطمئن لشيء سوى

ذكره، فإنه لا شيء ألد للقلوب ولا أشهى ولا أحلى من محبة خالقها، والأنس به ومعرفته، وعلى قدر معرفتها بالله ومحبتها له، يكون ذكرها له، هذا على القول بأن ذكر الله، ذكر العبد لربه، من تسبيح وتهليل وتكبير وغير ذلك^١.

٤/ **أَنَّ الذِّكْرَ يَجْمَعُ الْمُتَفَرِّقَ وَيُفَرِّقُ الْمُجْتَمِعَ، وَيُقَرِّبُ الْبَعِيدَ وَيُبْعِدُ الْقَرِيبَ، فَيَجْمَعُ مَا تَفَرَّقَ عَلَى الْعَبْدِ مِنْ قَلْبِهِ وَإِرَادَتِهِ، وَيُفَرِّقُ مَا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ مِنَ الْهُمُومِ وَالْغُمُومِ وَالْأَحْزَانِ وَالْحَسَرَاتِ.**

وَيُفَرِّقُ أَيْضًا مَا اجْتَمَعَ عِنْدَهُ مِنْ جُنْدِ الشَّيْطَانِ، فَإِنَّ إِبْلِيسَ -عَلَيْهِ لَعَائِنُ اللَّهِ- لَا يَزَالُ يَبْعَثُ لِلْعَبْدِ سَرِيَّةً بَعْدَ سَرِيَّةٍ، وَالذِّكْرُ يُقَرِّبُ الْآخِرَةَ وَيَعْظِّمُهَا فِي قَلْبِ الذَّاكِرِ، وَيُصَغِّرُ الدُّنْيَا فِي عَيْنَيْهِ وَيُبْعِدُهَا عَنْ قَلْبِهِ وَلِسَانِهِ.

٥/ **أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا تَقَرَّبَ إِلَى اللَّهِ بِذِكْرِهِ فِي الرَّخَاءِ؛ عَرَفَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الشَّدَّةِ.** عن أبي هريرة -رضي الله عنه قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم: **(من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد والكرب، فليكثر الدعاء في الرخاء)**^٢.

وقال صلى الله عليه وسلم: **(تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة)** رواه الترمذي، وقال : حديث حسن صحيح. أي تحبب وتقرب إليه بطاعته والشكر على سابغ نعمته والصبر تحت مر أقضيته وصدق الالتجاء الخالص قبل نزول بليته **(في الرخاء)** أي في الدعة والأمن والنعمة وسعة العمر وصحة البدن فالزم الطاعات والإنفاق في

١/ قال السعدي في تفسيرها : وقيل: إن المراد بذكر الله كتابه الذي أنزله ذكرى للمؤمنين، فعلى هذا معنى طمأنينة القلوب بذكر الله: أنها حين تعرف معاني القرآن وأحكامه تطمئن لها، فإنها تدل على الحق المبين المؤيد بالأدلة والبراهين، وبذلك تطمئن القلوب، فإنها لا تطمئن القلوب إلا باليقين والعلم، وذلك في كتاب الله، مضمون على أتم الوجوه وأكملها، وأما ما سواه من الكتب التي لا ترجع إليه فلا تطمئن بها، بل لا تزال قلقه من تعارض الأدلة وتضاد الأحكام.

٢/ رواه الترمذي والحاكم قال الحاكم: صحيح وأقره الذهبي، وقال الألباني (حسن) حديث ٦٢٩٠ في صحيح الجامع .

القربات حتى تكون متصفاً عنده بذلك معروفاً به (**يعرفك في الشدة**) بتفريجهما عنك وجعله لك من كل ضيق مخرجاً ومن كل فرجاً بما سلف من ذلك التعرف، كما وقع للثلاثة الذين آووا إلى الغار، فإذا تعرفت إليه في الرخاء والاختيار جازاك عليه عند الشدائد والاضطرار بمدد توفيقه وخفي لطفه.

قال أحد الصالحين : ينبغي أن يكون بين العبد وبين ربه معرفة خاصة بقلبه بحيث يجده قريباً منه فيأنس به في خلوته ويجد حلاوة ذكره ودعائه ومناجاته وخدمته، ولا يزال العبد يقع في شدائد وكرب في الدنيا والبرزخ والموقف فإذا كان بينه وبين ربه معرفة خاصة كفاه ذلك كله^١.

خامساً: كيف تكون من الذاكرين؟^٢

إنَّ شرف الذِّكر ومنزلته يدعوانك لتكون من الذاكرين لله تعالى .. وها هي طريق الذاكرين أرسمها إليك؛ عسى الله أن يجعلك من أهلها..

إنَّ مما ينبغي لك أن تعرفه أن تعلم أنَّ على المسلم أن يُكثر من ذكر الله تعالى، ولا يفرِّط في ذلك؛ حتى لا يدخل في زمرة أهل الغفلة.

١/ المحافظة على الصلوات الخمس :

إنَّ المحافظة على الصلوات بداية طريق أهل الذِّكر، فإنَّ من حافظ على الصلوات الخمس بحدودها وخشوعها فقد نال نصيباً كبيراً من ذكر الله تعالى؛ فالصلاة قد اشتملت على أنواعٍ من الذِّكر، مع معانٍ لا توجد في غيرها من خضوعٍ وتذلُّلٍ وخشوع، لذلك فإنَّ الله تعالى ذمَّ المنافقين بقلةِ ذِكْرِهِمْ لَهُ فِي الصَّلَاةِ فقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢].

١/ مقال : تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة - د. خالد سعد النجار – صيد الفوائد - بتصرف .

٢/ مقال : غيث القلوب ذكر الله تعالى - للأستاذ أزهري أحمد محمود – موقع بيت الإسلام .

وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «تلك صلاة المنافق؛ يجلس يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرني الشيطان، قام فنقرها أربعاً، لا يذكر الله فيها إلا قليلاً».

٢/ المحافظة على الأذكار دبر الصلوات :

ورد في السنة النبوية الكثير من الأذكار، ولكل ذكرٍ موضعه الذي يُقال فيه، ومن هذه الأذكار أذكار الصلاة، والتي منها ما يُقال بعد الصلاة، فحافظ أخي على هذه الأذكار، وردّها بخشوع وتأنٍ؛ فإنّ الكثيرين يتهاونون بها، فترى أحدهم يسرع فيها لينصرف، والبعض ينصرف بدون أن يأتي بها! فعلى المسلم الحرص عليها حتى يكون من الذاكرين لله تعالى.

٣/ الإكثار من قراءة كتاب الله تعالى :

تلاوة كتاب الله تاج الذِّكر وعنوان فضله .. وما ذكره الذاكرون بأفضل من قراءة كتابه العزيز.. قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول "الم" حرف، ولكن "ألف" حرف، و"لام" حرف، و"ميم" حرف» رواه الترمذي وهو في صحيح الترمذي: ٢٩١٠.

وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «من قرأ بمائة آية في ليلة؛ كُتب له قُنوت ليلة» رواه أحمد والدارمي السلسلة الصحيحة (٦٤٤).

فاحرص أن تكون من أولئك الذين يتفقدون كتاب ربهم تعالى، ولا تكن من الهاجرين له .. وتأمّل كم ستجد من الأجر وأنت تتلو كتاب الله تعالى، وقد أخبرك النبي - صلى الله عليه وسلم - أن ثواب الحرف الواحد؛ يُضاعف إلى عشر حسنات! فما أيسر أن تكون من الراغبين الذاكرين لله تعالى.

٤/ المحافظة على الأذكار :

وهذا باب عظيم يُدخلك في جملة الذاكرين لله تعالى، وقد تعددت أنواع الأذكار وصورها وفي جميعها الخير العظيم.

وليس صعباً أن تكون من المحافظين على الأذكار، فما عليك إلا أن تعزم على فعلها وتبدأ بتطبيقها في أمورك كلّها.

فإذا خرجت من منزلك قلت ذكر الخروج من من المنزل، وإذا ركبت سيارتك قلت ذكر ركوب الدابة، وإذا دخلت الخلاء أو خرجت منه قلت ما جاء من الذكر في ذلك، وإذا أردت أن تتوضأ أو فرغت من الوضوء قلت ما جاء في ذلك من الذكر، وإذا لبست ثوباً جديداً قلت ما جاء من ذكر في ذلك.

وهكذا في كلّ أمورك تحرص على المحافظة على الأذكار، ولا تضيع الفرصة في ذلك؛ فإنك إذا فعلت ذلك كنت من الذاكرين لله تعالى.

هـ / المحافظة على الأذكار التي ورد فضلها :

هنالك جملة من الأذكار جاء الدليل بفضلها.. والثواب الجزيل على فعلها. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم» رواه البخاري.

تلك بعض العلامات التي تُدرك على طريق الذاكرين، فحاول أن تأخذ بنصيبك في ذلك، واعزم عزم الصادقين، واستعن بربك تبارك وتعالى فاسأله التوفيق والإعانة على سلوك طريق الذاكرين، وأن يجعلك من الذاكرين له كثيرًا، فإن وفقت إلى ذلك فأنت على خيرٍ عظيم!.

البشارة الثالثة

البُشرى لكل تقي بالخروج من الغمّ إن أصابه

وعمدة هذه البشارة قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٢] .

وجه البشارة فيها : أنه ما منا من أحد إلا وهو يرجو من الله ألا يوقعه في همٍّ أو غمٍّ أو مصيبة، وإن أوقعه فيها ألا تطول، بل يرجو الله تعالى أن يرزقه من اليقين والرضا ما يجعلها على قلبه بردا وسلاما ، فبشر الله تعالى في هذه الآية كل تقي بتفريج الكرب وزوال الهمّ عن قريب ، بل وبشره تعالى أيضا بسعة الرزق بعد الضيق من حيث لا يتوقع .

ومن العجيب أن تأتي هذه الآية في سورة الطلاق، وكأنه سبحانه تعالى يقول لرب الأسرة : إنني سأتكفل لك بالرزق إن اتقيتني في زوجتك وأولادك ولم تفرّق بينهم بالطلاق .

أقوال أهل التفسير في قوله تعالى : (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا) :

سبب نزولها : ذهب أكثر المفسرين إلى أنها نزلت في عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه فقد روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال : جاء عوف بن مالك الأشجعي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، إن ابني أسره العدو وجزعت الأم . وعن جابر بن عبد الله : نزلت في عوف بن مالك الأشجعي أسر المشركون ابنا له يسمى سالما ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا إليه الفاقة وقال : إن العدو أسر ابني وجزعت الأم ، فما تأمرني ؟ فقال عليه السلام : **(اتق الله واصبر ، وأمرك وإياها أن تستكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله) .**

فعاد إلى بيته وقال لامرأته : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني وإياك أن **نستكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله** . فقالت : نعم ما أمرنا به . فجعلا يقولان : فغفل العدو عن ابنه ، فساق غنمهم وجاء بها إلى أبيه ؛ وهي أربعة آلاف شاة . فنزلت الآية ، وجعل النبي صلى الله عليه وسلم تلك الأغنام له . في رواية : أنه جاء وقد أصاب إبلا من العدو وكان فقيرا .

قال السعدي رحمه الله تعالى : كما أن من اتقى الله جعل له فرجًا ومخرجًا، فمن لم يتق الله، وقع في الشدائد والآصار والأغلال، التي لا يقدر على التخلص منها والخروج من تبعتها، واعتبر ذلك بالطلاق، فإن العبد إذا لم يتق الله فيه، بل أوقعه على الوجه المحرم، كالثلاث ونحوها، فإنه لا بد أن يندم ندامة لا يتمكن من استدراكها والخروج منها.

أقوال أهل التفسير في قوله تعالى: (وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ) :

وقال بعضهم : قد بين فيها: أن المتقي يدفع الله عنه المضرة، بما يجعله له من المخرج، ويجلب له من المنفعة، بما ييسره له من الرزق، والرزق اسم لكل ما يغتذي به الإنسان، وذلك يعم رزق الدنيا ورزق الآخرة.

وقد قال بعضهم: ما افتقر تقي قط، قالوا: ولم؟ قال: لأن الله يقول: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ}.

جواب عن قول القائل : إننا نري من يتقي وهو محروم ؟^١:

نقول : إن الآية اقتضت أَنَّ المتقي يُرْزَقُ من حيث لا يحتسب، ولم تدل على أن غير المتقي لا يرزق، بل لأبد لكل مخلوق من الرزق، قال الله تعالى: {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا} [هود:٦] حتى إن ما يتناوله العبد من الحرام هو داخل في هذا الرزق، فالكفار قد يرزقون بأسباب محرمة، ويرزقون رزقا حسنا، وقد لا يرزقون إلا بتكلف.

وأهل التقوى يرزقهم الله من حيث لا يحتسبون، ولا يكون رزقهم بأسباب محرمة، ولا يكون خبيثا، والتَّقي لا يحرم ما يحتاج إليه من الرزق، وإنما يحمى من فضول الدنيا، رحمة به وإحسانا إليه، فإن توسيع الرزق قد يكون مضرة على صاحبه، وتقديره يكون رحمة لصاحبه .

قال تعالى: {فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ كَلَّا} [الفجر: ١٥-١٧] أي: ليس الأمر كذلك، فليس كل من وسع عليه رزقه يكون مكرما، ولا كل من قُدِرَ عليه رزقه يكون مهانا، بل قد يوسع عليه رزقه إملاء واستدراجا، وقد يقدر عليه رزقه حماية وصيانة له، وضيق الرزق على عبد من أهل الدين قد يكون لما له من ذنوب وخطايا، كما قال بعض السلف: إن العبد ليجرم الرزق بالذنب يصيبه^٢.

١/ مجموع الفتاوى - لابن تيمية - (٥٣/١٦).

٢/ اشتهر هذا الأثر على ألسنة الوعاظ والخطباء على أنه حديث نبوي ولكن الصواب أنه حديث موضوع ، يقول الدكتور أبو حميد عبد الملك بن ظافر الكوسوفي - رسالة بعنوان تخريج الحديث وذرجته (إنَّ الرَّجُلَ لِيُحْرَمَ الرِّزْقُ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ) :- استشهاد كثير من أئمة السلف الصالح بالجملة - يعني (إنَّ الرَّجُلَ لِيُحْرَمَ الرِّزْقُ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ) - من الحديث في باب الرقائق دون العزو إلى رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - حتى إنَّ منهم من عدّه ضمن الأحاديث المشتهرة على ألسنة الناس مُشعِرين بضعفها. ومن هؤلاء الأئمة: الغزي في "الجد

وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم : (**مَنْ لَزِمَ الْإِسْتِغْفَارَ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا ، وَمِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرْجًا ، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ**) رواه أبو داود وابن ماجه وأحمد .

والمخرج هو موضع الخروج: وهو الخروج، وإنما يطلب الخروج من الضيق والشدة، وهذا هو الفرج والنصر والرزق، فَبَيَّنَ أن فيها النصر والرزق، كما قال: { **أَطْعَمَهُمْ مِّنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ** } [قريش: ٤].

ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم : (**وَهَلْ تَنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضِعْفَائِكُمْ؟** **بِدَعَائِهِمْ، وَصَلَاتِهِمْ، وَاسْتِغْفَارِهِمْ**) رواه أبو نعيم في الحلية، وصححه الألباني، هذا لجلب المنفعة، وهذا لدفع المضرة. وجاء في البخاري (**هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضِعْفَائِكُمْ**) دون بقية الحديث .

قال ابن تيمية رحمه الله : وقد فسروا الآية بالمخرج من ضيق الشهيات بالشاهد الصحيح، والعلم الصريح، والذوق .. كما قالوا: يَعْلَمُهُ - الله تعالى - من غير تعليم بَشَرٍ، وَيَفْطِنُهُ من غير تجربة، ذكره أبو طالب المكي، كما قالوا في قوله: { **إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا** } [الأنفال: ٢٩] أنه نور يفرق به بين الحق والباطل.

الحديث فيما ليس بحديث" (٢١٢ / ١)، والسخاوي في "المقاصد الحسنة" (١٩٢ / ١)، والعجلوني في "كشف الخفاء" (٧٠٠)، وابن تيمية في "الفتاوى" (١٥٤ / ١٤)، والله تعالى أعلم وأحكم. - موقع شبكة الألوكة الشرعية

والآية تعم المخرج من الضيق الظاهر والضيق الباطن، قال تعالى: {فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ} [الأنعام: ١٢٥]، وتعم ذوق الأجساد وذوق القلوب، من العلم والإيمان.

كما قيل مثل ذلك في قوله: {وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} [البقرة: ٣]، وكما قال: {أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً} [الأنعام: ٩٩]، وهو القرآن والإيمان.^١

قال السيوطي في الدر المنثور : أخرج أحمد والحاكم وصححه، وابن مردويه ، وأبو نعيم في «المعرفة»، والبيهقي عن أبي ذر قال : جعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يتلو هذه الآية : ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب فجعل يرددنها حتى نعست، ثم قال : (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ).

وأما المتوكل فبينت الآية أن الله تعالى هو حسبه، أي: كافيه، وفي هذا بيان التوكل علي الله من حيث أن الله يكفي المتوكل عليه، كما قال: {أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ} [الزمر: ٣٦] خلافا لمن قال: ليس في التوكل إلا التفويض والرضا.

ثم ختم الآية بقوله سبحانه (إن الله بالغ أمره) ليس هو كالعاجز، {قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا} [الطلاق: ٣].

ثلاث قصص واقعية : اتقوا الله فجعل لهم مخرجا^٢:

القصة الأولى : شاب اتقى الله وترك الوظيفة المحرمة ففرج الله تعالى عنه :

١/ مجموع الفتاوي لابن تيمية - المجلد السادس عشر - السؤال: فصل في تفسير قوله تعالى: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ} - نقلا عن موقع طريق الإسلام (بتصرف) .

٢/ موقع ملتقى الشفاء الإسلامي .

جاء احد الشباب الى الشيخ الشعراوي - غفر الله له ورحمه - وقاله له : يا شيخ إني لا اجيد العمل الا في وظيفة في فندق يقدم الخمر ؟ فقال له الشيخ: اتركه ، فإنه عمل لا يجوز .. قال للشيخ: لا اجيد غيره ، وعندى اولاد ، ومن اين اطعمهم ؟؟ قال الشيخ : هل تريد ان توقّع على فحى الحرام؟ لا يجوز هذا العمل ، الله عز وجل يقول (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ) فيجب عليك أولا أن تتقي الله .. ثم .. تحصل على مخرج لك من ازمك بعون الله تعالى .

فامتثل الشاب لأمر الشيخ ، وترك العمل في هذا الفندق لله ، وبقي بدون عمل لمدة سبعة أشهر ، ابتلاء من الله عز وجل ، فلما أخلص لله ، رزقه الله الان ، انه مدير لأحد الفنادق بجوار الحرم النبوي الشريف ، فأصبح الان يعمل في وظيفته بالحلال ، وفي جوار مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ، فسبحان الله ما اكرمه .

القصة الثانية : يرويه الشيخ محمد حسان حفظه الله :

يقول الشيخ : امرأة سجن زوجها ، ومرض ابنها وارتفعت حرارته جدا - وكانت في بيت ابها - وحالتهم من افقر ما يمكن ، فلم يكن لها ولاابها عون الا الله عز وجل ، فكانت تدعو الله عز وجل ، وتصنع الكمادات لابنها ، وتدعو الله .. وتلج في الدعاء .. وفي منتصف الليل يطرق الباب ، فإذا بالباب طبيب ، فأدخله ابوها ففحص الولد وكتب له الدواء وطلب حسابه ، وهم لا يدرون من استدعى الطبيب أصلا ، فقالوا له والله ما نملك شيئا ؟ فغضب ، وقال اذن كيف تستدعونى في مثل هذا الوقت من الليل ؟ فقالوا له : والله ما استدعيناك واستغربنا مجيئك .. فقال لهم : أليس هذا منزل فلان ؟ فقالوا له انه المنزل الذي في الاعلى ...فانتبه الطبيب أن الله عز وجل أرسله الى هؤلاء الفقراء ، ليكون بإذنه سببا لشفاء ابنهم ، فقام الطبيب جزاه الله خيرا بشراء الدواء وخصص مبلغا شهريا لهم إلى أن يخرج عائلهم من السجن . فسبحان الرزاق الكريم .

القصة الثالثة : امرأة اتقت الله تعالى وصبرت صبورا عظيما^١:

فقد تزوجت وهي صغيرة وأنجبت طفل كالقمر في بهائه، وبعد أن أكمل طفلها العامين **توفي في يوم ختانه بين يديها**، وكانوا قد أعدوا له وليمة كبيرة كما كان يُعمل قديما في يوم الختان، ولم ينتهوا من الوليمة بعد فغطت ابنها وساهمت في تجهيز الطعام، وبعد انتهاء العشاء أخبرت زوجها بما حصل وانقلب الفرح إلى عزاء.

ثم حصل خلاف بين زوجها وإخوتها مما تسبب في طلاقها بعد أن أنجبت طفلين من دون ذنب جنته فقد كانت مطيعة لزوجها بارة بأهله، **فكانت هذه صدمة أخرى لها فقد كان زوجها من أفضل الناس خلقا ودينا وعلما..** فحزنت عليه حزنا شديدا.. لكنها تماسكت وتصبرت وسألت الله العوض.

ثم تزوجت بآخر وأنجبت منه طفلين.. فتوفي أحدهما دهسا على فراشه في فناء منزله أمام ناظري أمه.. فقد دخلت إحدى السيارات إلى فناء الدار ودهست الطفل وهو نائم على فراشه ظنا من قائد السيارة أن الفراش لم يكن به أحد. فالطفل كان صغيرا ونحيلا.. طوت حزنها في قلبها وصبرت واسترجعت، وكانت والدتها بجانبها تصبرها وتواسيها وتشد من أزرها.

وبعد مدة طلقها زوجها الثاني فقد كره المنزل بعد أن فقد ابنه فيه.. فتجرعت آلامها وصبرت واحتسبت .

وبعد مدة تزوجت بآخر فرزقها الله بثلاث من الأبناء وتوفي لها ثلاثة منه آخرين بعد ولادتهم بقليل.

لقد مرت بها الكثير من المصاعب والابتلاءات.. لكنها كانت صابرة محتسبة متيقنة أن الله سيعوضها خيرا عن صبرها في الدنيا والآخرة، فهي ترجو رحمة الله وفضله وتدعوه

١/ قصص الصبر والتوكل على الله - لسامية عوض - موقع الكلم الطيب .

أن يرزقها الصبر والسلوان وأن يعوضها خيرا ويعظم أجرها.. ثم توفيت والدتها التي كانت خير معين لها بعد الله تعالى على هذه الحياة.. فهي لم تفارقها أبدا طوال حياتها، وكانت تعتمد عليها في أمور كثيرة من أمور الحياة.

وقد كانت هذه المصيبة أكبر مصيبة مرت بها فقدت العديد من أبنائها وها هي الآن تفقد أعز الناس عليها وأحبيهم إليها والدتها التي لم يكن لها في هذه الدنيا سواها فهي ابنتها الوحيدة.

والدتها التي طالما وقفت بجانبها وساندتها، وخففت عنها مصابها، وتحملت عنها الكثير من مشاكل الحياة وأعانتها على تربية أبنائها حتى إنها كانت لهم الأم الثانية فلم يكونوا ينادوها بغير أمي، لقد كان الكثير من أقاربها يخشى عليها أن لا تتحمل هذه المصيبة العظيمة فتقع فريسة للحزن حتى تهلك، لكنها مع ذلك تماسكت واستعانت بالله تعالى أن يخفف لوعتها على فراق والدتها الحبيبة.

لقد مرت بمصائب وابتلاءات يعجز الكثير عن تحملها لكن صبرها واستعانتها بالله وطلبها الأجر منه تعالى خفف عنها مصابها وأعطاها الأمل في حياة أفضل، وقد منَّ الله عليها بعد ذلك بأبناء بررة يتسابقون لطاعتها ويطلبون رضاها، ورزقت بأحفاد يرونها مثلا لهم في قوة الصبر والتحمل والتوكل على الله والاستعانة به تعالى .

البشارة الرابعة

البُشرى لكل تقي بالعون والنُّصرة والتأييد الإلهي

وعَمدة هذه البشارة قوله تعالى: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة (١٩٤)].

ووجه البشارة من الآية: إن إحساس المسلم واستشعاره لمعية الله تعالى يجعله يعيش في راحة وطمأنينة وسكينة، فهو لا يخاف إلا الله ولا يرجو إلا الله ولا يتوكل إلا على الله ولا يسأل غير الله، لأن الله هو القوي فمن كان الله معه فمعه القوة التي لا تقهر، والفئة التي لا تغلب ولا تهزم، والحارس الذي لا ينام، والهادي الذي لا يضل.

ورحم الله تعالى القائل - وهو يثني على الله تعالى - :

إِلَهَنَا لَا حَمْدَ إِلَّا لَوْجْهِكَ ، وَلَا إِتْقَانَ إِلَّا لِفَعْلِكَ ، وَلَا نَفَاذَ إِلَّا لِحُكْمِكَ ، وَلَا بَهْجَةَ إِلَّا
لِعَالَمِكَ ، وَلَا نُورَ إِلَّا مَا سَطَعَ مِنْ لَدُنْكَ ، وَلَا صَوَابَ إِلَّا فِي قَضَائِكَ ، وَلَا حُلَاوَةَ إِلَّا
فِي كَلَامِكَ ، وَلَا قِيَامَ إِلَّا بِتَأْيِيدِكَ ، وَلَا تَمَامَ إِلَّا بِتَرْتِيبِكَ ، وَلَا صِلَاحَ إِلَّا بِتَهْذِيبِكَ ، وَلَا
مَضَاءَ إِلَّا بِتَسْبِيحِكَ ، وَلَا هَنَاءَ إِلَّا فِي عَطَائِكَ ، وَلَا أُنْسَ إِلَّا مَعَ أَوْلِيَائِكَ ، وَلَا تَوَكُّلَ إِلَّا
عَلَيْكَ ، وَلَا رَحْمَةً إِلَّا مِنْكَ ، وَلَا شَرَفَ إِلَّا بِتَشْرِيفِكَ ، وَلَا اسْتِبَانَةَ إِلَّا بِتَعْرِيفِكَ ، وَلَا
اهْتِدَاءَ إِلَّا بِتَوْفِيقِكَ ، وَلَا إِجَابَةَ إِلَّا بِتَلْطِيفِكَ ، وَلَا رُشْدَ إِلَّا فِي تَكْلِيفِكَ .

قل السعدي في تفسيرها : {مَعَ الْمُتَّقِينَ} أي: بالعون والنصر والتأييد، والتوفيق. ومن
كان الله معه، حصل له السعادة الأبدية، ومن لم يلزم التقوى تخلص عنه وليه، وخذله
، فوكله إلى نفسه فصار هلاكه أقرب إليه من حبل الوريد.

ولما كان الكلام على معية الله تعالى للمتقين^١ طویل أحببت أن أحصره في النقاط
الآتية :

١/ قال أحد الباحثين : " جاءت هذه اللفظة - مع - في ثماني عشرة آية من آي الذكر الحكيم، تفيد معية الله
سبحانه لملائكته ، أو صفوة خلقه من أنبيائه وأوليائه والمؤمنين الصادقين أو لسائر الناس ". وأقول : ثبت في
القرآن معية الله تعالى : لمن اتصف بصفات مخصوصة وهي ثلاث : المتقون : كما هنا في هذه البشارة ، كما
ثبتت معيته للصابرين ، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ
﴾ [البقرة: ١٥٣]. كما ثبتت معيته تعالى للمحسنين كما في قوله تعالى (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ
اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ) العنكبوت(٦٩) .

أقول : وأنا تحدث هنا حول معيته تعالى للمتقين وسيأتي الكلام عن معيته للمحسنين في البشارة التالية ولم
أتحدث عن معيته للصابرين لأنها تقاس عليهما ولكي لا يطول الكتاب .

فائدة مهمة : يقول الأستاذ خالد بن سعود البليهد : ولا يمكن أن يخلو قلب المؤمن من أصل محبة الله لأن
ركن العبادة الركين المحبة فما دام قلبه مشتمل على محبة الله فهو يعبده ويقبل على طاعته ويكفر بما دونه
من المخلوقين ، والمؤمنون يتفاوتون في هذا المقام. قال ابن تيمية: "فمحبة الله ورسوله وعباده المتقين
تقتضي فعل محبوباته وترك مكروهاته والناس يتفاضلون في هذا تفاضلاً عظيماً فمن كان أعظم نصيباً من
ذلك كان أعظم درجة عند الله". والمؤمنون على مراتب ثلاث في المحبة:

أولاً: معية الله تعالى لخلقه ثابتة بالكتاب والسنة، وإجماع السلف ١:

أما الكتاب : قال الله تعالى: {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [الحديد: ٤]. وقال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ} [النحل: ١٢٨].

وأما السنة : عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَفْضَلَ الْإِيمَانِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ مَعَكَ حَيْثُ كُنْتَ» ، أخرجه الطبراني وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير .

وقد أجمع السلف على إثبات معية الله تعالى لخلقه :

وهذه المعية أيها الإخوة حق على حقيقتها، لكنها معية تليق بالله تعالى ولا تشبه معية أي مخلوق لمخلوق لقوله تعالى عن نفسه: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى: ١١] وقوله: {هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا} [مريم: ٦٥] وقوله: {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا

المرتبة الأولى: كامل المحبة لله تعالى وهو من التزم السنن والواجبات واجتنب المكروهات والمحرمات. وهذا حال الأنبياء والأصفياء من هذه الأمة.

المرتبة الثانية: مقتصد المحبة لله تعالى وهو من اقتصد في عمله فواظب على الواجبات وترك المحرمات ولم يتزود من الصالحات. وهذا حال عامة الصالحين.

المرتبة الثالثة: ناقص المحبة لله تعالى وهو من قصر في فعل الواجبات وارتكاب المحرمات وأسرف على نفسه بالسيئات. وهذا حال أهل الغفلة والهوى من هذه الأمة .(مقال بعنوان : محبة الله تعالى – موقع طريق الإسلام).

قلت : ومما يدخل في المرتبة الثالثة ما رواه البخاري في صحيحه (٦٧٨٠) عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، : " أَنَّ رَجُلًا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ اسْمُهُ عَبْدَ اللَّهِ ، وَكَانَ يُلَقَّبُ حِمَارًا ، وَكَانَ يُضْحِكُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ جَلَدَهُ فِي الشَّرَابِ ، فَأَتَى بِهِ يَوْمًا ، فَأَمَرَ بِهِ فَجُلِدَ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ : اللَّهُمَّ الْعَنَّهُ ، مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى بِهِ ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (لَا تَلْعَنُوهُ ، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ إِنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) " .

١/ ملخص مقال بعنوان : إن الله معنا للشيخ السيد مراد سلامة – شبكة الالوكة الشرعية .

أَحَدٌ} [الإخلاص: ٤] وكسائر صفاته الثابتة له حقيقة على وجه يليق به ولا تشبه صفات المخلوقين.

قال ابن عبد البر رحمه الله : أهل السنة مجمعون على الصفات الواردة كلها في القرآن الكريم والسنة والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز إلا أنهم لا يضيفون شيئاً من ذلك ولا يحدون فيه صفة محدودة. اهـ.

ثانياً : أنواع المعية : معية الله لخلقه تكون على معنيين، هما:

النوع الأول: معية عامة شاملة لجميع الخلق المؤمن والكافر: وهي بمعنى: أنه مع خلقه بعلمه، ومشيتته، وإحاطته، ونفوذ أمره، وقدرته، وقهره، لا يغيب عنه شيء، ولا يُعجزه شيء.

كما في قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}.

النوع الثاني: معية خاصة: وهي معيته لرسله - تعالى، وأوليائه بالنصر، والتأييد، والمحبة، والتوفيق، والإلهام؛ كقوله: {لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا}، وكقوله: {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ}، **فالمراد بالمعية هنا: معية الحفظ، والنصر، والعصمة من الأعداء.**

اشدُّ يدك بحبل الله معتصماً فإنه الركنُ إن خانتك أركانُ

من يتق الله يُحمد في عواقبه ويكفه شر من عَزَّوا ومن هانوا

ومن استعان بغير الله في طلب فإن ناصرَه عجز وخذلانُ

ثالثاً: المعية الإلهية بالعون والنصر من ثواب المتقين في الدنيا ١:

يظهر هذا الثواب في المعية الإلهية الخاصة بنصره وتأييده لعباده المؤمنين الصالحين كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ سورة النحل (١٢٨) فالله تعالى مع المؤمنين الصادقين بتأييده ونصره كما قال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ سورة الأنفال (١٢).

وقوله تعالى لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ سورة طه (٤٦) ، فقد وعد الله تعالى من يتبع أوامره ويقف عند حدوده بالنصر، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ سورة محمد (٧).

وكما وصَّى النبي صلى الله عليه وسلم ابن عباس رضي الله عنهما **(احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك)** أخرجه الترمذي ، فمن حفظ حدود الله تعالى وحقوقه وأدى ما أمره به واجتنب نواهيه بأن يقف عند أوامره بالامتثال وعند حدوده بالاجتناب فلا يتجاوزها، فمن فعل ذلك كان جزاؤه حفظ الله له، لأن الجزاء من جنس العمل. فالله تعالى يحفظه في بدنه وولده وأهله وماله، كما يوكل به ملائكته، يحفظونه ويحرسونه.

قال تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ سورة الرعد (١١) يقول مجاهد رحمه الله : ما من عبد إلا له ملك يحفظه في نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام فما من شر يأتيه إلا قال له وراءك إلا شيئاً أذن الله فيه فيصيبه^٢.

١/ مقال بعنوان : المعية الإلهية من ثواب المتقين في الدنيا - سجاد أحمد بن محمد أفضل - الألوكة الشرعية ، ومقال : استشعار معية الله من خلال أسباب النزول - الموقع الرسمي لليخ محمد صالح المنجد - بتصرف .

٢/ تفسير ابن كثير .

كتب أحد السياح في مذكراته فقال: بعد الوصول إلى الهند ذهبت إلى القصاب لشراء اللحم، وكان كلما أراد أن يزن اللحم لأحد فتح كيساً عنده ونظر فيه، ثم وزن اللحم وباعه للزبون، فلما جاء دوري فعل كما فعل مع من قبلي، فسألته: لماذا تنظر في الكيس قبل أن تزن لكل زبون؟ قال: إنني أنظر إلى ربي الموجود في الكيس؛ لأن هذا الهندي وثني يعبد الأصنام، فربه المزعوم معه في الكيس، قال: أنا أنظر في الكيس حتى لا أنسى ربي، وأغش في الميزان.

فإذا كان الوثني عنده هذا المعنى في صنم باطل يعبده فأولى بأهل الحق أن يستشعروا دائماً أن الله معهم فلا يعصون ربه، ويقومون بالحق وبه يعدلون، ويشهدون، ويقىمون الشهادة لله تعالى.

رابعاً : قصص في بيان معية الله تعالى لأنبيائه عليهم الصلاة والسلام :

معية الله تعالى لخليله إبراهيم عليه السلام : إن الذي يقرأ قصة نبي الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام سيرى حقيقة المعية معية النصر والتمكين معية الأمان والسلام النفسي فإبراهيم عليه السلام كان يواجه أهل الكفر على اختلاف معتقداتهم فهو يواجه عبدة الأصنام والأوثان ويواجه عبدة الكواكب والنجوم وكل ثقة ويقىن بمعية رب العالمين و لناخذ مثالا على ذلك

قصة تكسير الأصنام و معية الله تعالى : عندما قام الخليل عليه السلام بتكسير تلك الأصنام ليلقن الكفار دراسا عمليا أن تلك الأصنام لا تنفع ولا تضر فهي لا تنفع ولا تدفع قرر أهل البغي و الطغيان أن يجعلوا إبراهيم عليه السلام عبرة لكل معتبر لذا قرروا قتله بأبشع أنواع القتل ألا وهو الإحراق في النار فجمعوا له نار عظيمة بلغت عنان السماء و جاء وقت التنفيذ وقد بدأ الاستعداد بإحراق إبراهيم عليه السلام وحفروا حفرة عظيمة ملأوها بالحطب والخشب والأشجار وأشعلوا فيها النار وأحضروا المنجنيق ليقذفوا إبراهيم فيها فقيدوا يداه وقدماه واشتعلت النار وتصاعد

اللهب إلى السماء وصدر أمرهم بإلقائه في النار وفي تلك اللحظة جاء جبريل عليه السلام - كما حكى بعض السلف - ووقف عند رأس إبراهيم عليه السلام وسأله : يا إبراهيم .. ألك حاجة؟ فقال: أَمَّا إِلَيْكَ فَلَا، وَأَمَّا مِنَ اللَّهِ فَبَلَى. قال الله - عز وجل :- ﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩]

وروى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: "حسي الله ونعم الوكيل، قالها إبراهيم حين أُلقي في النار، وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾" [آل عمران: ١٧٣].

يقول الإمام الشنقيطي - رحمه الله -: وما ذكر الله - جل وعلا - في هذه الآية الكريمة من أنه أمر النارَ بأمره الكوني القدري أن تكون بردًا وسلامًا على إبراهيم، يدل على أنه أنجاه من تلك النار؛ لأن قوله تعالى: ﴿كُونِي بَرْدًا﴾ يدل على سلامته من حرّها، وقوله: ﴿وَسَلَامًا﴾ يدل على سلامته من شرّ بردها الذي انقلبت الحرارة إليه، وإنجاؤه إياه منها الذي دل عليه أمره الكوني القدري هنا جاء مصرحًا به في "العنكبوت" في قوله تعالى: ﴿فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ﴾ [العنكبوت: ٢٤].

معية الله تعالى لنبيه موسى عليه السلام :

أما قصة نبي الله وكليمه موسى عليه السلام فهي تقص على الأمة و ترسخ في قلوب المؤمنين والمؤمنات أن الله تعالى لا يضيع أوليائه و أن معيته حصن حصين و ركن شديد فموسى عليه السلام يواجه أكبر طاغية عرفته البشرية ،عرفته البشرية بظلمه وعتوه عرفته البشرية بكبره وبكفره عرفته البشرية بإفساده واضطهاده .

لذا لما أمر الله كلميه موسى عليه السلام أن يذهب إلى فرعون طمأن قلبه و سكّن فؤاده فقال سبحانه {قَالَ رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى (٤٥) قَالَ لَا

تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى { [طه: ٤٥، ٤٦] إني معكما إنه القوي الجبار الكبير المتعال.

ومشهد آخر ففي أحلك الظروف وأصعب المواقف يقف موسى عليه السلام
وكأنه جبل فوق الجبل و بحر فوق البحر لا يخور و لا يتزعزع ولا يقلق عندما يخرج
فرعون بحده و حديده ليستأصل موسى ومن معه و كأني انظر إلى الرعب و الرهبة
التي أصابت ضعفاء الإيمان من بني إسرائيل عندما شاهدوا البحر أمامهم و فرعون
من خلفهم ترتعد فرائصهم يصور الله لنا مشهد الرعب ومشهد المعية و الثقة في أن
واحد {فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ * قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي
سَمْعِدِينَ * فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ
كَالطُّودِ الْعَظِيمِ * وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخِرِينَ * وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ * ثُمَّ
أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ
الرَّحِيمُ} [الشعراء: ٦١ - ٦٨] .

يقول موسى عليه السلام: (قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَمْعِدِينَ) لكن كيف يقول موسى
عليه السلام هذه الكلمة (كَلَّا) بملء فيه ، والأمر بقانون الماديات أنه عُرْضَةٌ لَأَنْ
يُذْرَكَ قبل أن يكملها؟

والإجابة في بقية الآية : { إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَمْعِدِينَ } فلم يقل موسى عليه السلام : كَلَّا
اعتماداً على قوته واحتياطه للأمر ، إنما قالها اعتماداً على ربه الذي يكلؤه بعينه ،
ويحرسه بعنايته.

فالواقع أنني لا أعرف ماذا أفعل، ولا كيف أتصرف، لكن الشيء الذي أثق منه { إِنَّ
مَعِيَ رَبِّي سَمْعِدِينَ } لذلك يأتي الفرج والخلاص من هذا المأزق مباشرة : { فَأَوْحَيْنَا إِلَى
مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطُّودِ الْعَظِيمِ } .

معية الله لنبيه محمد-صلى الله عليه وسلم :

من أروع صور المعية الربانية ما حدث لخير البرية في الغار ليلة الهجرة يقول سبحانه {إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [التوبة: ٤٠].

يقول الشيخ الشعراوي-رحمه الله-فسبحانه يقول: {إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا} أي: أننا أمام ثلاثة أزمنة: زمن الإخراج ، وزمن الغار ، والزمن الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر : { لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا } ، وقد جاء النصر في هذه الأزمنة الثلاثة؛ ساعة الإخراج من مكة ، وساعة دخل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر إلى الغار، وساعة حديثه مع أبي بكر.

«فحين قال أبو بكر رضي الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم : لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا ، نجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يرد في ثقة بربه : **(ما ظنك باثنين الله ثالثهما) .**

هذا الرد ينسجم مع سؤال أبي بكر رضي الله عنه ؛ لأن أبا بكر كان يخشى أنهم لو نظروا تحت أقدامهم لرأوا مَنْ في الغار ، وكان الرد الطبيعي أن يقال : « لن يرونا» ، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يلفتنا لفتة إيمانية إلى اللازم الأعلى ، فقال : ما ظنك باثنين الله ثالثهما» ، لأنه ما دام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر في معية الله ، والله لا تدركه الأبصار؛ فمن في معيته لا تدركه الأبصار.

خامساً: قصص في معية الله لأوليائه :

معية الله تعالى لهاجر عليها السلام :

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما : أَوَّلُ مَا اتَّخَذَتِ النِّسَاءُ الْمِنْطَقَ مِنْ قَبْلِ أُمِّ إِسْمَاعِيلَ، اتَّخَذَتْ مِنْطَقًا لِتُعْفِيَ أَثَرَهَا عَلَى سَارَةٍ، ثُمَّ جَاءَ بِهَا إِبْرَاهِيمُ وَبَايَنَهَا إِسْمَاعِيلَ وَهِيَ تُرْضِعُهُ حَتَّى وَضَعَهُمَا عِنْدَ الْبَيْتِ، عِنْدَ دَوْحَةٍ فَوْقَ زَمْزَمَ فِي أَعْلَى الْمَسْجِدِ، وَلَيْسَ بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ، فَوَضَعَهُمَا هُنَالِكَ، وَوَضَعَ عِنْدَهُمَا جِرَابًا فِيهِ تَمْرٌ، وَسِقَاءً فِيهِ مَاءٌ،

ثُمَّ قَفَى إِبْرَاهِيمُ مُنْطَلِقًا، فَتَبِعَتْهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ، فَقَالَتْ: يَا إِبْرَاهِيمُ، أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرُكُنَا هَذَا الْمَوْضِعَ، لَيْسَ فِيهِ إِنْسٌ وَلَا شَيْءٌ؟ فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ مِرَارًا، وَهُوَ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا، فَقَالَتْ لَهُ: اللَّهُ أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَتْ: إِذَا لَا يُضَيِّعُنَا، ثُمَّ رَجَعَتْ، فَاُنْطَلَقَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى إِذَا كَانَ عِنْدَ الثَّنِيَّةِ حَيْثُ لَا يَرُونَهُ، اسْتَقْبَلَ بِوَجْهِهِ الْبَيْتَ، ثُمَّ دَعَا بِهَذِهِ الدَّعَوَاتِ: {رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ} [إبراهيم: ٣٧]، حَتَّى {يَشْكُرُونَ} [إبراهيم: ٣٧]

وَجَعَلَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ تُرْضِعُ إِسْمَاعِيلَ، وَتَشْرَبُ مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ حَتَّى إِذَا نَفِدَ مَا فِي السِّقَاءِ، عَطِشَتْ وَعَطِشَ ابْنُهَا، وَجَعَلَتْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ يَتَلَوَّى، - أَوْ قَالَ: يَتَلَبَّطُ - فَاُنْطَلَقَتْ كَرَاهِيَةً أَنْ تَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَوَجَدَتْ الصِّفَا أَقْرَبَ جَبَلٍ يَلِيهَا، فَقَامَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَتْ الْوَادِي تَنْظُرُ هَلْ تَرَى أَحَدًا، فَلَمْ تَرَ أَحَدًا، فَهَبَطَتْ مِنَ الصِّفَا حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ الْوَادِي، رَفَعَتْ طَرْفَ دِرْعِهَا، وَسَعَتْ سَعْيَ الْإِنْسَانِ الْمُجْهُودِ حَتَّى جَاوَزَتْ الْوَادِي، ثُمَّ أَتَتْ الْمَرْوَةَ، فَقَامَتْ عَلَيْهَا، وَنَظَرَتْ هَلْ تَرَى أَحَدًا، فَلَمْ تَرَ أَحَدًا، فَفَعَلَتْ ذَلِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَلِذَلِكَ سَعَى النَّاسُ بَيْنَهُمَا» فَلَمَّا أَشْرَفَتْ عَلَى الْمَرْوَةِ سَمِعَتْ صَوْتًا فَقَالَتْ: صَهْ، تُرِيدُ نَفْسَهَا ثُمَّ تَسَمِعَتْ، فَسَمِعَتْ أَيْضًا، ثُمَّ قَالَتْ: قَدْ أَسْمَعْتُ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ غَوَاثُ فَإِذَا بِالْمَلِكِ عِنْدَ مَوْضِعِ زَمْزَمَ يَبْحَثُ بِعَقِبِهِ. أَوْ قَالَ بِجَنَاحِهِ. حَتَّى ظَهَرَ الْمَاءُ، فَجَعَلَتْ تَحْوِضُهُ هَكَذَا، وَتَقُولُ بِيَدِهَا وَجَعَلَتْ تَغْرِفُ مِنَ الْمَاءِ فِي سِقَائِهَا وَهِيَ تَغُورُ بِقَدْرِ مَا تَغْرِفُ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَرْحَمُ اللَّهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ لَوْ تَرَكْتُ زَمْزَمَ، أَوْ قَالَ لَمْ تَعْرِفَ مِنَ الْمَاءِ كَانَتْ زَمْزَمُ عَيْنًا مَعِينًا» قَالَ: فَشَرِيتُ وَأَرْضَعْتُ وَلَدَهَا، فَقَالَ لَهَا الْمَلَكُ: لَا تَخَافُوا الضَّيْعَةَ، فَإِنَّ هَاهُنَا بَيْتُ اللَّهِ يَبْنِيهِ هَذَا الْغُلَامُ وَأَبُوهُ، وَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضَيِّعُ أَهْلَهُ.

إن الإيمان بالله تعالى الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لا شريك له في ملكه ولا سند يتولد منه استشعار العبد يقرب الرب جل جلاله ومعيته له معية خاصة نصر وتأييد وعناية ورعاية والذي يقرأ سير الصالحين من هذه الأمة ليجد مواقف وصور مشرقة لعناية الله تعالى بأوليائه وأهل طاعته نذكركم بصورة منها:

قصة الحسن البصري مع الحجاج وحسن المعية :

لما ولي الحجاج بن يوسف الثقفي العراق ، وطغى في ولايته وتجبر ، كان الحسن البصري أحد الرجال القلائل الذين تصدّوا لطغيانه ، وجهروا بين الناس بسوء أفعاله ، وصدعوا بكلمة الحق في وجهه ، فعلم الحجاج أن الحسن البصري يتهم عليه في مجلس عام ، فماذا فعل؟ دخل الحجاج إلى مجلسه ، وهو يتميز من الغيظ ، وقال لجلّاسه : تبّأ لكم ، سحقا ، يقوم عبدٌ من عبيد أهل البصرة ، و يقول فينا ما شاء أن يقول ، ثم لا يجد فيكم من يرده ، أو ينكر عليه ، والله لأسقيَنَّكم من دمه يا معشر الجبناء ، ثم أمر بالسيف والنطع – إذا كان يُريد قطع رأس إنسان بمكان فيه أثاث فاخر حتى لا يلوّث الدّمُ الأثاث يأتون بالنطع ، والنطع قطعة قماش كبيرة ، أو قطعة جلد ، إذا قُطع رأسٌ من يُقطع رأسه ، لا يلوّث الدّمُ الأثاث ، ثم أمر بالسيف والنطع فأحضّر ، ودعا بالجلاد فمَثَّل واقفا بين يديه ، ثم وجّه إلى الحسن بعض جنده ، وأمرهم أن يأتوا به ، ويقطعوا رأسه ، وانتهى الأمر ، وما هو إلا قليل حتى جاء الحسن ، فشخصت نحوه الأبصار ، ووجفت عليه القلوب ، فلما رأى الحسن السيف والنطع والجلاد حرّك شفّتيه ، ثم أقبل على الحجاج ، وعليه جلال المؤمن ، وعزة المسلم ، ووقار الداعية إلى الله ، فلما رآه الحجاج على حاله هذه هابه أشدّ الهيبة ، وقال له : ها

هنا يا أبا سعيد ، تعالَ اجلس هنا ، فما زال يوسع له و يقول : ها هنا ، والناس لا يصدّقون ما يرون ، طبعاً طُلب ليقتل ، والنطع جاهز، والسيّاف جاهز ، وكلُّ شيء جاهز لقطع رأسه ، فكيف يستقبله الحجّاج ، ويقول له : تعال إلى هنا يا أبا سعيد ، حتى أجلسه على فراشه ، ووضّعه جنبه ، ولما أخذ الحسنُ مجلسه التفت إليه الحجّاجُ ، وجعل يسأله عن بعض أمور الدين ، والحسنُ يجيبه عن كلّ مسألة بجنان ثابت ، وبيان ساحر ، وعلم واسع ، فقال له الحجّاج : أنت سيدُ العلماء يا أبا سعيد ، ثم دعا بغالية – نوع من أنواع الطيب – وطيّب له بها لحيته ، وودّعه ، ولما خرج الحسنُ من عنده تبعه حاجبُ الحجّاج ، وقال له : يا أبا سعيد ، لقد دعاك الحجّاجُ لغير ما فعل بك ، دعاك ليقتلك ، والذي حدث أنه أكرمك ، وإني رأيته عندما أقبلت ، ورأيت السيفَ والنطعَ قد حرّكتَ شفتيك ، فماذا قلت ؟ فقال الحسن : لقد قلت : (يا وليَ نعمتي ، وملاذي عند كربتي ، اجعل نقمته برداً و سلاماً عليّ ، كما جعلت النارَ برداً و سلاماً على إبراهيم) .

البشارة الخامسة

بالإحسان ينال العبد الضعيف معية ربه الرحمن

عمدة هذه البشارة قوله تعالى : {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} [العنكبوت (٦٩)].

وجه البشارة : عندما يستشعر المؤمن و المؤمنة أنه يعيش في معية الله تبارك وتعالى يسير في هذه الحياة ويردد كلام العارفين إذا كان الله معك فمن عليك، وإذا

كان عليك فمن معك ؟ وإذا تخلى الله عنك تخلى عنك أقرب الناس إليك، وإذا كان معك سخر لك ألد أعدائك، إذا كان الله معك كل من في الأرض معك، ألقى محبتك في قلوب الخلق، وإذا كان الله عليك، ألقى البغض في قلوب الخلق، ومن هاب الله هابه كل شيء، ومن أطاع الله أطاعه كل شيء ويردد بيقين الراسخين من نال معية الله ورضوانه فقد نال كل شيء، فإذا رضي الله عنه أَرْضَى الناس وآمنه من شرهم .

يسعى الإنسان المسلم إلى التقرب إلى الله عز وجل بشتى الطرق والوسائل وأولى هذه الطرق الالتزام بما فرضه الله عز وجل من أركان وفرائض من صلاة وصوم وزكاة وحج والابتعاد عما نهى الله عز وجل عنه فلا يمكن التقرب من الله عز وجل مع معصيته، وإن حدثت في بعض الأحيان بسبب نزوة فمن المهم الرجوع على الفور إلى الله مباشرة بالتوبة النصوح الخالصة لوجهه عز وجل، أما بعد ذلك فمن المهم التقرب إلى الله عز وجل باتباع سنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وحبّه وحبّ آل بيته وجميع الأنبياء والملائكة، فقد أمر الله عز وجل بحبهم جميعاً وحبّه يقرب إلى الله عز وجل.

وتفصيل الكلام حول هذه البشارة في أربعة أمور هي :

الأمر الأول : يقول تعالى: (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ). والعبد الرباني: هو العبد الذي يكون مع الله في كل الأحوال، والربانية منشقة من كلمة الرب.

معية الله هي من أكثر الأمنيات التي يتمناها العبد المسلم ويسعى إليها؛ وذلك حتى تكون رعاية الله وحفظه معه أينما حل، فبرعاية الخالق تعم النعم والفضائل الكبيرة، وتزول المحن والهموم العصبية، فلا يستطيع أن يضر العبد القريب من الله إنس ولا جان ما دامت رعاية الله وحفظه معه، فمن كان الله معه فمن يكون عليه؟!

ومن كان الله عليه فمن يكون معه؟! تعتري قلب المؤمن سحب مظلمة من المعاصي والشهوات في بعض الأحيان، تعكر صفو إيمانه، وتحجب أشعة نور الهدى وضيائها عنه، ولكن الإنسان المؤمن الذي ارتبط قلبه بخالقه لا يقوى على فراقه طويلاً، فيعود مشتاقاً إلى بارئه الذي خلقه وأنعم عليه، فإذا أراد المؤمن أن يعرف مدى قربته من الله، فعليه أن ينظر إلى حاله وما هو مشغول به، فإذا كان قريب من دعوة الله، يأمر بالمعروف وينهى عن النكر، وقائم على عباداته من فرائض وسنن، فليبشر بالخير؛ لأن الله سبحانه وتعالى لا يهدي إليه إلا من يحبه، وإذا كان منصرفاً عن الدعوة إلى الله، يعصيه ولا يقوم بعبادته، تأخذ الدنيا وما فيها من شهوات ورذائل إلى الهاوية، فليعلم أنه بعيد عن الله.

الأمر الثاني: لا بد من معرفة فن استجلاب معية الله ١:

١/ المواهب والقدرات مع القوة والمهارات إضافة إلى الذكاء والخبرات أمور لا غنى عنها في حياة كل منا. وهي أمور لا غنى عنها لكل من يبحث عن التميز أو التفوق أو الكسب في دنيا الناس . ولكن : هل مواهبنا وقدراتنا ومهاراتنا وحدها تكفي لنا لكي نتميز أو نفوز أو نحقق ربحاً كبيراً أو فوزاً عريضاً ؟

ولا شك أن هذه المواهب وهذه القدرات المميزة لكل منا ، ما هي إلا نعم أنعم الله بها علينا . وكل من أراد منا التميز أو التفوق في هذه الحياة فعليه الاهتمام البالغ بهذه المنح الربانية . كما ويجب علينا التحديث الدائم لهذه المواهب وهذه القدرات . بل وعليه أن يسعى إلى تطويرها وتنميتها وتجديدها من حين لآخر . فهي لا غنى عنها لكل من يسير في معترك هذه الحياة التي أصبحت لا تعترف بخامل أو كسول، ولا بمصير على السير سير الهويني أو السير على أنغام المارشات الجنائزية .

١/ مقال : للاستاذ طارق حسن السقا - موقع صيد الفوائد .

٢/ إن الإنسان الايجابي في هذه الحياة هو ذلك الذي يملك موهبة أو مهارة أو حتى سمعة حسنة يشتهر بها في دنيا الناس . هو من يفعل هذه المواهب والقدرات في المحيط الذي يعيش فيه . ينفع بها ويصلح فيه . هو الذي له دور في هذه الحياة . وهو الذي يشارك في صنع الأحداث من حوله . هو من لا يكتفي بالوقوف متفرجا على هذه الأحداث وهي تمر أمامه .

ولا بد من أن يعمل كل منا و يسعى ويجد- بل ويكد - في تطوير مواهبه وقدراته وإتقانها إلى الحد الذي تجعله يتخطى حدود الدائرة التي يعيش فيها . ليعمل مع العاملين على تغيير وجه التاريخ .

فكما الفيلسوف الفرنسي المشهور جان جاك روسو: يقول نحن في حاجة إلى المزيد من فئة صانعي الأحداث لأنهم وحدهم دون غيرهم الذين يستطيعون إن يغيروا وجه التاريخ . وكل من أراد أن يكون من هذه الفئة لابد أن يكون من أصحاب المواهب والقدرات والمهارات المتميزة .

وعند النزول إلى معترك الحياة والعمل يجب ألا نعتمد على مواهبنا ولا على قدراتنا اعتمادا كلياً بل يجب علينا أن نتعلم كيف نمزج هذه القدرات وهذه المواهب بمعية الله الواهب . يجب علي كل باحث عن التميز أن يتقن فن استجلاب معية الله له في كل أعماله .

إذن يجب على كل من أراد الكسب أو السبق أو الفوز أو النصر أن يتعلم كيف يستجلب تلك المعية الإلهية له في كل أعماله صغرت تلك الأعمال أو كبرت . فلا حول ولا طول ولا نصر ولا كسب ولا نجاح ولا فلاح إلا بالله العلي العظيم .

وكان هذا هو هدي رسولنا صلي الله عليه وسلم وديدنه في الأمور كلها . فكان صلي الله عليه وسلم يتقن هذا الأمر أيما إتقان . فكان إذا ما انتهى من مرحلة استغلال

الإمكانات المتاحة أمامه و المواهب والقدرات المتوافرة تحت يديه ، حتى يبدأ في مرحلة استجلاب معية الله .

٣/ الدعاء : يعتبر الدعاء همزة وصل لا تنقطع بين العبد وربّه، فهو متاح في جميع الأوقات ولا يشترط لصحته وقبوله الطهارة، أو استقبال القبلة، أو الكلام الفصيح الموزون، بل للعبد أن يرفع يديه أنى شاء ويطلب الفرج والرزق والتوفيق وكل ما يتمنى، والله عنده سر الاجابة فيما أن يحقق له مراده كما هو، أو يصرف عنه بلاءً ما، أو يدخره له يوم القيامة، وقد حث الله عباده على دعائه فقال في كتابه العزيز: (وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) [غافر: ٦٠].

ومن لم يسأل الله فإنه يغضب عليه لأنه استغنى، والمسلم يستغني عن كل شيء لا خالقه لأنه هو الغني وهو المغني.

ففي يوم بدر بذل المصطفى صلي الله عليه وسلم الوسع في الإعداد : فصف الجيش ، وعبأ الجند ورسم الخطط ، و افترض الافتراضات واحتمل الاحتمالات حاور وتشاور وغير وبدل . وما أن انتهى من الاستفادة من كل هذه الإمكانيات والقدرات المتاحة حتى انتحى صلي الله عليه وسلم يناجي ربه في دعاء عميق ومناجاة حارة وإلحاح شديد يستجلب بها معية الله .

لقد ابتهل صلي الله عليه وسلم وبالع في الابتهاال حتى سقط رداؤه عن منكبيه ، فردّه عليه الصديق - رضي الله عنه - وقال : (حسبك يا رسول الله ، ألححت على ربك. يا رسول الله كفائك مناشدتك ربك) .

ولكن رسول الله صلي الله عليه وسلم كان خير من يعلم انه إذا ما امتزجت معية الله القادر بمواهب العباد وقدراتهم - مهما كانت محدودة - فحتما سينتج عن ذلك مخرجات تفوق قدراتهم على استيعاب أثارها الايجابية اللامحدودة .

وقد كان جاء مدد السماء بطريقة فاقت عقول أهل الأرض وامتزج المدد الروحي بالمدد المادي ، وجاء النصر وتحقق الفوز لفئة لم تتكل على قدراتها ولا على مواهبها دون الاتكال على الله . ولم تتكل على الله دون الاستفادة القصوى من قدراتها ومواهبها وخبراتها .

(أراد الله للعصبة المسلمة أن تصبح أمة ، وأن تصبح دولة ، وأن يصبح لها قوة وسلطان ، وأراد لها أن تعلم أن النصر ليس بالعدد وليس بالعدة وليس بالمال والخيال والزاد إنما هو بمقدار اتصال القلوب بقوة الله التي لا تقف لها قوة العباد) كما يقول صاحب الظلال .

لكن للأسف الشديد من الملاحظ أن مرحلة استجلاب معية الله هي الحلقة الأضعف في حياتنا . فكثيرا ما تنسينا القدرات والخبرات والمواهب الخاصة مرحلة استجلاب معية الله . كثيرا ما نعتمد على مواهبنا وننسى الواهب . كثيرا ما نعتمد على قدراتنا وننسى القادر . كثيرا ما نعتمد على قوتنا وننسى القوي . وهنا نخسر الكثير .

ففي يوم حنين بذل المسلمون الجهد في إعداد المدد المادي الهائل : العتاد والعدد والعدة والكثرة في عدد الجند حتى اكتمل الهيكل العام للجيش على صورته المهيبة . حتى دخل العجب لقلوب البعض فقالوا : (لن نهزم اليوم من قلة) .

أنستهم القوة والعدة مرحلة استجلاب معية الله . أنساهم العدد والعتاد الاتكال على الله . أنستهم قدراتهم البشرية استجلاب معية الله والاتكال عليه وحده لا على تلك الأسباب . لقد أتقن المسلمون يوم حنين مرحلة الإعداد ولم يتقنوا مرحلة الاستجلاب فكانت الانكسار .

كانت الانكسار التي كان لابد منها لتعي الأمة أن مرحلة استجلاب معية الله من المراحل التي لا غنى عنها في حياة الأمم والأفراد والجماعات . كما وأنها سند كل إنسان في هذا الوجود مهما كانت قدراته ومواهبه .

ورسولنا صلي الله عليه وسلم وهو صاحب المواهب والقدرات التي لا تُحصى ولا تعد إضافة إلى كونه المؤيد بالمعجزات ، والمزود بالكاملات ، والمحلى بالمدد الرباني كان دائما ما يردد (اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرَفَةَ عَيْنٍ أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ) . رواه أحمد (٢٧٨٩٨) ، وأبو داود (٥٠٩٠) ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٣٨٨) .

فالحذلان أن يكلك الله إلى نفسك ويخلي بينك وبينها . والتوفيق ألا يكلك الله إلى نفسك ولا يخلي بينك وبينها . كما يقول ابن القيم رحمه الله .

وإذا كانت مرحلة استجلاب معية الله هي الحلقة الأضعف في حياتنا كما قلنا . فيجب على علماء الأمة ودعاتها وأهل الخير فيها أن يسعوا جميعا - كل في مجاله - إلى معالجة هذا الداء وتضميده وترميمه عند أبناء المسلمين .

وليبدل كل غيور من أبناء هذه الأمة الجهد إلى أن تبصير الأمة بكيفية إتقان فن استجلاب معية الله حتي لا نندم . حتي لا نندم على أمر عظيم كندم يوم حنين . ولا على أمر صغير .

الأمر الثالث : المعية الإلهية لأصحاب المنهج الإسلامي في الدنيا والآخره :

أنزل الله القرآن للمؤمنين العاملين هدىً ونور، ومنهجٌ مُبين يوضح لهم الطريق ويُبصرهم بنور خطواته، ومن الهدي القراني أن يُبين للعاملين للأمة والدين سبل الهدى، وطريق النصر.. وفي هذا يقول ربنا عز وجل بسورة المائدة: {وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ} [المائدة: ١٢] .

هي خمسة شروط لتحقيق موعود الله عز وجل للمعية بالدنيا والآخرة: هي المعية {إِنِّي مَعَكُمْ}: المعية بصورها المتعددة التي لم تكن أبدًا في الدنيا فحسب بل بالدنيا والآخرة.

هذه المعية لها صورتها المتعددة في الدنيا والآخرة:

أولاً : من صور المعية بالدنيا :

١- **أن يهديك الله عز وجل إلى الحق وطريقه :** قال الله عز وجل: {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} [القصص:٥٦]، فهديك هداية الدلالة إلى الحق أولاً وهداية التزام هذا الحق ثانياً فيصير القول مطابقاً للعمل والاثنان مطابقان لما في الجنان.

٢- **ومن صور المعية أن يهديك الله عز وجل إلى الطائفة المتمسكة بالطريق** {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا} [الكهف:٢٨]، فلا يكفي أن تهتدي إلى الطريق فحسب؛ بل لازم من الطريق أن تجد من يعينك عليه، لأن الله قال: {الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ} [الزخرف:٦٧].

٣- **وبعد أن يهدي الله هذه الطائفة المؤمنة للطريق والعمل به.. يهديهم إلى الدعوة إليه والتواصي،** كما قال عز وجل: {وَالْعَصْرِ . إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ . إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ} [العصر:١-٣].

وهذه صورة ثالثة من صور المعية أن يُسير الله هذه الطائفة لخدمة الحق والتمسك به والدعوة إليه.

٤- **ومن صور هذه المعية بعد التمسك بالحق والدعوة إليه؛** أنه لازم من الابتلاء، وأنه من نتائج هذا الابتلاء تمايز الصفوف لكي يكون الصف الإسلامي حامل راية

التوحيد والمنهج الإسلامي كالذهب بعد تنقيته بالنار، فيُخرج من كان في قلبه مرض {أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ} [العنكبوت: ٢]، وهذا التمايز في الصفوف لا بد منه.. بل هو من أنصع صور المعية لله فماذا يحدث لو احتدم الصراع بين المؤمنون وغيرهم، وكان في الصف من هو بعيد عن المنهج وكان في قلبه مرض فكان لازم هذا التمايز ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى.

٥- ومن صور هذه المعية وليست آخرها بل إحداها.. هي النصر إن هم ثبتوا على الطريق، فهذا النصر ليس من ذكاء المؤمنين أو حسن تخطيطهم وتديبرهم أو قوة عدَّتْهم وكثرة عتادهم بل من عند الله {فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [الأنفال: ١٧].

هذه بعض صور المعية للطائفة المؤمنة المتمسكة بمنهج ربها، نقول هذه صور من صورها.. وليست كل صورها - فصورها عديدة على الحصر فأن يثبت الطائفة المؤمنة ولم يهزموا فهذه معية، وإن ينتصر الباطل فهذه معية، وإن ينشأ جيل جديد بعد سنوات التيه فهذه معية، وأن يصطفي الله الشهداء هذه معية، وأن يصقل الرجال ويربهم للأمة هذه معية.

والمُتأمل في سير المشروع الإسلامي والدعوة الإسلامية منذ نزول الوحي من ربِّ العِزَّة على سيد الخلق صلى الله عليه وسلم يلحظ هذا الأمر جيداً في سير التاريخ.

ثانياً : صور المعية بالآخرة : دائماً أبداً يلفتنا ربنا في كل خطاب أن الفوز الحقيقي ليس هنا بالدنيا بل هناك بالآخرة، يوم تبيضُ وجوهٌ وتسود وجوه.. يوم تتطاير الصحف فيأخذ من يأخذ الكتاب بيمينه ومنهم من يتلقفه بشماله، ففيه هذه اللحظة يصدق قول ربنا في سورة القارة: {فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ . فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ . وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ . فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ} [القارة: ٦-٩].

وفي هذه اللحظة يكون المؤمنون جميعًا في أشد الحاجة إلى المعية الربانية، فتأتي هذه المعية كسفينة النجاة للمستغيث في البحر لترسّله إلى شط النجاة على باب الجنة وذكر ربنا صورتين ففط لهذه المعية:

١/ **تكفير السيئات حسنات :** قال: {لَا تُكْفِرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ}. ولم لا! وقد قال رسولنا صلى الله عليه وسلم.. عن أبي ذر ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(اتقِ الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخُلُقٍ حَسَنٍ)** رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

٢/ **دخول الجنة :** {وَلَا دُخْلَنَّاكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ}. ولم يقل ربنا عز وجل جنة واحدة وإن كانت واحدة تكفي؛ بل قال جل جلاله {جَنَّاتٍ} وجاء بكلمة جنات نكرة ولم يُعرّفها، فلم يذكر ما فيها إلا نعيم واحد أنها تجري من تحتها الأنهار أي تنبع منها الأنهار. إذا كانت هذه من صور المعية بالدنيا والآخرة فما المطلوب إذا لإتمام هذا الميثاق؟ وما هو الثمن المبذول للحصول على هذه المعية؟.

الأمر الرابع : من شأن المؤمن استشعار معية الله والطمأنينة إليه :

إن إحساس المؤمن بحفظ الله له، ويقينه أن الله معه؛ يسمعه إذا شكّا، ويُجيبه إذا دعا، ويأخذ بيده إذا كبا، ويمدّه إذا ضعُف، ويعينه إذا احتاج، ويلطف به إذا خاف، كلُّ ذلك من أسباب ارتياح النفس وانسراح الصدر، وطمأنينة القلب وتيسير الأمر، وطيب العاقبة في العاجل والآجل؛ فإنَّ ثقة العبد برّبّه ويقينه بأنّه - سبحانه - المتوليّ لأُمُوره، وأنه - تعالى - سائقُ كلّ خير، وكاشفُ كلِّ ضرر - لا تتركه نهبًا للوساوس والأوهام، ولا تلقيه في بيداء اليأس من روح الله، أو ظلمة القنوط من رحمة الله؛ بل تجعله يضرع إلى الله - تعالى - عند كلّ نازلة، ويستجير به عند كلّ مصيبة، ويشكره ويذكره، ويحمده عند كلّ نعمة ورحمة، فيتّجه إلى الله في سائر أحواله، داعيًا متضرعًا موقنًا بالإجابة، منتظرًا للفرج من الله، لا يتّجه إلى غيره، ولا يُنزل حاجته بسواه: ﴿

أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴿٦٢﴾ [النمل: ٦٢]، فيتذكَّرُ رَبَّهُ فِي كُلِّ أَحْوَالِهِ ذَاكِرًا وَشَاكِرًا عَلَى السَّرَّاءِ، وَصَابِرًا ضَارِعًا مُنْتَظِرًا لِلْفَرَجِ عِنْدَ الضَّرَّاءِ، وَيَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجُودَ عَلَيْهِ بِحِفْظِ النِّعَمَاءِ، وَالْعَافِيَةِ مِنَ الْبَلَاءِ، وَاللَّطْفِ فِي الْقَضَاءِ.

سؤال ما معنى أن يكل الله سبحانه وتعالى العبد إلى نفسه ؟

ما معنى أن يكل الله سبحانه وتعالى العبد إلى نفسه وهل يوجد حديث صحيح فيه دعاء بالاستعاذة بالله من هذا ؟

الإجابة الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه، أما بعد :

فعن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (دعوات المكروب اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله لا إله إلا أنت).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لفاطمة رضي الله عنها: (ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به أن تقولي إذا أصبحت وإذا أمسيت: يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين) ^١.

وأما معنى لا تكلني إلى نفسي طرفة عين، فقد قال المناوي في فيض القدير: لا تكلني أي لا تصرف أمري إلى نفسي أي لا تسلمني إليها وتتركني هملاً (طرفة عين) أي تحريك جفن وهو مبالغة في القلة.

وروى البخاري ومسلم في صحيحهما عن عبد الرحمن بن سمرة قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا عبد الرحمن لا تسأل الإمارة فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها، وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها).

١/ رواه النسائي في السنن الكبرى، والبزار والحاكم وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة .

وشرح ابن حجر قوله صلى الله عليه وسلم **وكلت إليها** بقوله: بضم الواو وكسر الكاف مخففا ومشددا وسكون اللام ومعنى المخفف أي صرف إليها، **ومن وكل إلى نفسه هلك**، ومنه في الدعاء: **ولا تكلني إلى نفسي**. ووكل أمره إلى فلان صرفه إليه، ووكله بالتشديد استحفظه، ومعنى الحديث: أن من طلب الإمارة فأعطى تركت إعانته عليها من أجل حرصه.

ومن خلال ما سبق يتضح أن لا تعارض بين كون الله تعالى حي قيوم وبين أن يكل الإنسان إلى نفسه أي أن يترك إعانته، ويكون معنى لا تكلني إلى نفسي، أي لا تترك إعانتي ففيه طلب الإعانة من الله تعالى في كل لحظة، والمؤمن مأمور بطلب الإعانة من الله في كل حين كما في قوله تعالى: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) {الفاحة: ٥}

وقوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ: **إني لأحبك**، لا تدعن في دبر كل صلاة تقول: **(اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك)**. رواه أبو داود والنسائي وصححه الألباني.

هذا الدعاء من أعظم الأدعية التي تتضمن تحقيق العبودية لله رب العالمين ، وتتضمن التوسل إلى الله تعالى بأسمائه وصفاته ، فهو سبحانه الحي القيوم ، الرحمن الرحيم .

والعبد يستمد العون والتأييد من قيوميته عز وجل ، كما يستغيث برحمته التي وسعت كل شيء ، لعله ينال منها ما يسعده في دنياه وآخرته.

ثم يسأل الله تعالى صلاح الأمور والأحوال ، فيقول : **(أصلح لي شأني كله)** أي : جميع أمري : في بيتي ، وأهلي ، وجيراني ، وأصحابي ، وعملي ، ودراستي ، وفي نفسي ، وقلبي ، وصحتي...في كل شيء يتعلق بي ، اجعل يا رب الصلاح والعافية حظي ونصبي .

وذلك كله من فضل الله سبحانه وتعالى ، وليس باستحقاق العبد ولا بجأه ، ولذلك جاء ختم الدعاء بالاعتراف بالفقر التام إليه سبحانه ، والاستسلام الكامل لغناه عز وجل ، فيقول : **(ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين)** : أي لا تتركني لضعفي وعجزتي لحظة

واحدة ، بل أصحبي العافية دائما ، وأعني بقوتك وقدرتك ، فإن من توكل على الله
كفاه ، ومن استعان بالله أعانه ، والعبد لا غنى به عن الله طرفة عين.

البشارة السادسة

هداية العبد المنيب إلى الصراط المستقيم

وعمدة هذه البشارة قوله تعالى: (وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن أُنَابَ) [الرعد: ٢٧].

ووجه البشارة : أن أعظم ما يناله العبد من ربه تعالى في هذه الدنيا : أن يملأ قلبه هدى ومحبة للسير على الصراط المستقيم، لأن الذي يسير إلى الله تعالى بالحب تسهل عليه الأعمال الصالحات بخلاف من يسير بالمجاهدة ، فبشّر الله تعالى كلَّ مَنْ يَنْيِبُ إِلَيْهِ تعالى بتلك الهداية ، وإذا أردت معرفة عظم ذلك ، فانظر : لِمَ فرض الله تعالى قراءة الفاتحة في كل الصلوات فرضها ونفلها لكي نسأله متضرعين (اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) الفاتحة (٦).

ولما كان موضوع هذه البشارة له علاقة وطيدة بالهدى والضلال والغي والرشاد والإنابة للرب جلا وعلا الكلام فيه كثير أحببت أن أخصه في النقاط الآتية

أولاً: جواب عن شبهة فيمن أضلهم الله عن هداه :

قال أحد الباحثين^١ : يَسْبِقُ إِلَى أَفْهَامِ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ أَنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى اخْتَصَّ عِبَادَهُ بِالْهُدَايَةِ، وَحَرَّمَ آخَرِينَ حَقًّا مِنْ حُقُوقِهِمْ، وَلَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ لَهَادَهُمْ، بَلْ يَحْتَجُّونَ بِالْقَدَرِ لَمَا يَصُدُّرُ عَنْهُمْ مِنْ كُفْرٍ أَوْ مَعْصِيَةٍ أَوْ تَقْصِيرٍ، زَاعِمِينَ أَنَّ مَشِيئَةَ اللَّهِ نَافِذَةٌ وَغَالِبَةٌ، بَلْ يَحْتَجُّونَ عَلَى تَوَكُّلِهِمْ وَتَقْصِيرِهِمْ عَنِ الْوَاجِبِ وَتَغْيِيرِ مَا بِأَنْفُسِهِمْ بِآيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، يَقْطَعُونَهَا مِنْ سِيَاقِهَا، وَلَا يَفْهَمُونَ مَعْنَاهَا؛ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧]، ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ [السجدة: ١٣]،

١/ مراتب الهداية في القرآن الكريم - محمد فتحي حسان - موقع الألوكة الشرعية .

وهذا مَصْدَرُ خطٍ كبير في فَهْمِ مسألة سُبُق القضاء بالهداية والضلال وقد أجاب عن هذا الإشكال العلامة الفخر الرازي رحمه الله تعالى عند تفسير قوله تعالى: (وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن أُنَابَ) [الرعد: ٢٧].

اعلم أن الكفار قالوا : يا محمد إن كنت رسولا فأتنا بآية ومعجزة قاهرة ظاهرة مثل معجزات موسى وعيسى عليهما السلام.

فأجاب عن هذا السؤال بقوله : (قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن أُنَابَ) وبيان كيفية هذا الجواب : أنهم لما طلبوا سائر الآيات والمعجزات ، فكأنه قيل لهم : لا فائدة في ظهور الآيات والمعجزات ، فإن الإضلال والهداية من الله ، فلو حصلت الآيات الكثيرة ولم تحصل الهداية فإنه لم يحصل الانتفاع بها ، ولو حصلت آية واحدة فقط وحصلت الهداية من الله ، فإنه يحصل الانتفاع بها ، فلا تشتغلوا بطلب الآيات ولكن تضرعوا إلى الله في طلب الهدايات .

وقال الشعراوي رحمه الله تعالى : (قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن أُنَابَ):

وهنا نقف وَقْفَةً؛ لأن البعض يحاول أن يُسْقِطَ عن الإنسان مسئولية التكليف؛ ويدَّعي أن الله هو الذي يمنع هداية هؤلاء الكافرين.

ونقول: إننا إن استقرأنا آيات القرآن؛ سنجد قَوْل الحق سبحانه: {... والله لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} [البقرة: ٢٦٤]. ونجد قول الحق سبحانه: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [المائدة: ٥١]. ويقول سبحانه أيضاً: {وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} [المائدة: ١٠٨].

ومن كل ذلك نفهم أن العمل السابق منهم هو الذي يجعله سبحانه لا يهديهم، لأن الإنسان مادام قد جاء له حُكْم أعلى، ويؤمن بمصدر الحكم؛ فمن أنزل هذا الحكم

يُعْطَى لِلْإِنْسَانِ مَعُونَةً، لَكِنْ مَنْ يَكْذِبُ بِمَصْدَرِ الْحُكْمِ الْأَعْلَى فَسَبْحَانَهُ يَتْرَكُهُ بِلَا مَعُونَةٍ. وَأَمَّا مَنْ يَرْجِعُ إِلَى اللَّهِ؛ فَسَبْحَانَهُ يَهْدِيهِ وَيُدُلُّهُ وَيُعِينُهُ بِكُلِّ الْمَدَدِ.

ثالثاً: هداية التوفيق والإلهام والمعونة :

وهذه المرتبة أَخَصُّ مِنَ الَّتِي قَبْلَهَا، فَهِيَ هَدَايَةٌ خَاصَّةٌ تَأْتِي بَعْدَ هَدَايَةِ الْبَيَانِ؛ تَحْقِيقًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ [مريم: ٧٦]، فَلَا تَكُونُ لِمَلَكٍ مُّقَرَّبٍ، وَلَا نَبِيِّ مُرْسَلٍ، إِنَّمَا هِيَ خَاصَّةٌ بِاللَّهِ وَحْدَهُ، فَلَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا إِلَّا هُوَ، وَلَا يُعْطِيهَا إِلَّا لِمَنْ حَقَّقَ شُرُوطَهَا وَاسْتَوْفَى أَسْبَابَهَا.

﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥، ١٦].

وهذا النوع من الهداية هو الذي نَفَاهُ اللَّهُ عَنْ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦]، ﴿إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ [النحل: ٣٧].

وهذا النوع من الهداية يستلزم أمرين:

أحدهما: فعل الربِّ تعالى، وهو الهدى بأن يخلق في قلب العبد الداعية إلى الفعل والمشينة له، فيتحرك للإتيان به .

الثاني: فعل العبد، وهو الاهتداء، وهو نتيجة للفعل الأول "الهدى"؛ قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٧٣]، ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧]، وَلَا سَبِيلَ إِلَى وُجُودِ الْأَثَرِ الَّذِي هُوَ الْإِهْتِدَاءُ مِنَ الْعَبْدِ إِلَّا بَعْدَ وُجُودِ الْمُؤَثِّرِ الَّذِي هُوَ الْهَدَايَةُ مِنَ اللَّهِ، فَإِذَا لَمْ يَحْصُلْ فَعْلُ اللَّهِ لَمْ يَحْصُلْ فَعْلُ الْعَبْدِ، وَهَذَا النَّوْعُ مِنَ الْهَدَايَةِ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ سَبْحَانَهُ، قَالَ أَهْلُ الْجَنَّةِ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣].

كما أنَّ هذا النوع من الهداية هو الذي نَفَاهُ القرآنُ عن الظالمين والفاستقين والكاذبين والمسرف المرتاب، وكلُّ آية في القرآن وردت في نفي الهدى فيجب حملها على هذا النوع؛ لأن هذا فضله يختصُّ به مَنْ يشاء من عباده، ولا حرج في ذلك.

رابعاً: الضلال والهداية بيد الله عز وجل^١:

قال تعالى: (مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأِ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) [الأنعام: ٣٩]. فهو المنفرد بذلك: (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ) [النحل: ٩٣]. فلو شاء الله جمع الناس على الهدى، وجعلهم أمة واحدة على التوحيد، وعلى الحق، ولكن اقتضت حكمته: أن يقسمهم هذه القسمة.

وقال: (يا عبادي كلکم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم) [رواه مسلم: ٦٧٣٧]. فالهداية فضل منه يوفق الله إليها من أراد هدايته، ويمده بأسباب ذلك، ويعينه عليه. فلو قال العبد: وأنا ما ذنبي إذا كنت من الذين قلبي لا يقبل؟ نقول: ذنبك أنه أعطاك الإرادة فأعرضت، وبين لك الطريق فصددت، ولو أردت لفعلت.

عندك القدرة على الاهتداء لو أردت، لكنك أعرضت، لقد ملكك الاختيار، فاخترت الضلالة، لقد أرسل إليك رسله فعلموك، وأنزل عليك الكتب وبين لك، وأعطاك الإرادة والحرية والمشينة والاختيار، لكنك أبيت، وهنا يكون الجواب على من قال: أنا مجبور ما ذنبي؟!

فيقال له: لست مجبوراً: (كَلَّا إِنَّهُ تَذَكُّرٌ * فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ) [المدثر: ٥٤ - ٥٥]. (إِنَّ هَذِهِ تَذَكُّرٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا) [الإنسان: ٢٩].

فإذاً، القرآن من أوله إلى آخره؛ كما يقول ابن القيم -رحمه الله-: "يدل على أن الطبع والختم والغشاوة لم يفعلها الرب -سبحانه- بعبد من أول وهلة، حين أمره بالإيمان، أو بينه له، وإنما فعله بعد تكرار الدعوة منه سبحانه، والتأكيد في

١/ سنة الهداية والإضلال - الموقع الرسمي للشيخ محمد صالح المنجد - بتصرف .

البيان والإرشاد، وتكرار الإعراض منهم، والمبالغة في الكفر والعناد، فحينئذ يطبع على قلوبهم، ويختم عليها، فلا تقبل الهدى بعد ذلك، والإعراض والكفر الأول، لم يكن مع ختم وطبع، بل كان اختياراً، فلما تكرر منهم صار طبيعة وسجية" يعني ختم الله على قلوبهم^١.

ومن الأدلة على أن ابتداء الشر من العبد، الابتداء في الشر من العبد، وأن فعل الله في العبد هذا هو مقابلة، وليس ابتداء، من الأدلة على أنه مقابلة وجزاء: قول الله عز وجل: (فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ) [الصف: ٥]. وقوله تعالى: (كَأَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) [المطففين: ١٤].

وقوله تعالى: (وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ) [الأنعام: ١١٠]. جزاء كما أنهم لم يؤمنوا به أول مرة، صرفناهم عن الحق.

وقوله تعالى: (ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ) [التوبة: ١٢٧].

كما قال تعالى عن المنافقين: (بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ) [النساء: ١٥٥].

خامساً: الهداية تجر إلى مزيد من الهداية والضلال يجر إلى مزيد من الضلال:

وهذا يعني أن الهداية تجر إلى مزيد من الهداية، والضلال يجر إلى مزيد من الضلال، قال تعالى: (وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى) [محمد: ١٧].

وقال سبحانه وتعالى: (كَأَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) [المطففين: ١٤]. (فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ) [الصف: ٥]. وهذا المعنى قد تكرر في القرآن.

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: "جعل الأعمال القائمة بالقلب والجوارح سبب الهداية والإضلال، فأعمال البر تثمر الهدى، وكلما ازداد منها ازداد هدى، وأعمال

^١/ شفاء العليل - لابن القيم - الصفحات (١٤-١٧).

الفجور على الضد، والله - سبحانه وتعالى - يُحب أعمال البر، ويجازي عليها بمزيد من الهداية والفلاح، ويبغض أعمال الفجور، ويجازي عليها بالضلال والشقاء^١.

يعني: هل يمكن أن يريدوا الضلال والفجور والشقاء، ويستمروا عليها، وهو يعطيهم أجراً وثواباً وفضلاً، ويرقيهم في مراتب الهداية؟ ما يمكن.

كلمة مؤمن من معانيها التصديق ، أي أن الله يصدق وعده ، فإذا وعد المؤمنين بحياة طيبة فلا بد من أن يعيشوا هذه الحياة الطيبة : (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً) [النحل: ٩٢].

فإذا عاش المؤمن حياة طيبة معنى ذلك أن الله مؤمن ، وقد صدق وعده، قال الله عز وجل : (فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى) طه: (١٢٣) (فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) [البقرة: ٣٨] .

فالمؤمن حينما لا يضل عقله ، ولا تشقى نفسه ، ولا يخشى مما هو آت ، ولا يندم على ما فات ، هذا الذي حصل له بفضل اسم (المؤمن) لأن الله صدق وعده ، والله عز وجل قال : (فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ) [إبراهيم: ٤٧] إذا وعد المؤمنين بالنصر لزوال الكون أهون على الله من ألا يحقق وعده للمؤمنين .

(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي) [النور: ٥٥] .

وعدهم بالاستخلاف ، وعدهم بالتمكين ، وعدهم بالاطمئنان ، وزوال الكون أهون على الله من ألا يحقق وعده للمؤمنين (يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ) [التحریم: ٨] .

سادساً: قصة هداية شاب وشفائه بعد ما أناب^١ :

١/ الفوائد — للعلامة ابن القيم - ص: (١٢٩) .

قال الدكتور محمد راتب النابلسي : مرة عقب أحد الدروس التقيت مع إنسان شاب ، قال لي : أنا مهندس خُيوط درست في رومانيا ، وأنا موظف في معمل كبير في دمشق ، لكنني أُصاب بالصرع ، إما في مركبتي ، وهذا خطر كبير ، أو في السيارة العامة ، أو في الطريق ، أو في مكتبي ، أو في البيت ، وفي اليوم ، أو في الأسبوع عدة مرات ، من ثلاث مرات إلى خمس مرات ، قال لي : أنا أكاد أسحق ، لماذا أنا كذلك ؟ طبعاً استقر في ذهني أن الصرع أذية في الدماغ ، ومرض عضال ، لكنه أراد جواباً غير هذا الجواب ، لماذا أنا كذلك ؟ لماذا يفعل الله بنا هذا ؟ فالتقيت به في البيت ، وشرحت له ، لكنني قلت له : الله عز وجل يقول : (مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ) [النساء: ١٤٧] .

فأصغى إلي إصغاء يفوق حد الخيال ، قال : ما معنى هذا الكلام ؟ قلت : مستحيل وألف ألف مستحيل أن يسوق الله لعبد شيئاً يزعجه ، أو يؤلمه ، ما دام مستقيماً على أمره ، والدليل هذه الآية : (مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ) لذلك بعد هذا الكلام اهتم اهتماماً كبيراً ، وأخرج من جيبه ورقة ، وبدأ يكتب ، قال لي : ماذا تأمرني أن أفعل ؟ ذكرت له أداء الصلوات بأوقاتها ، غض البصر ، ضبط اللسان ، ضبط العين ، ضبط الأذن ، ذكرت له فيما أذكر قريباً من أربعين بنداً ، كتبها كلها ، من شدة ألمه من هذا المرض ، هذا المرض كاد يحطمه ، والله بعد أن خرج شعرت أنني تورطت ، كيف تورطت ؟ لعلها أذية لا تُشفى ، أنا وعدته أنه إذا استقام على أمر الله تزول هذه الأذية .

وكان لي درس يوم الجمعة ، وفي أول جمعة له يأتي ويقول لي : الحمد لله ، هذا أول أسبوع في حياتي لم أُصَبْ بأية نوبة ، والله كأني ملكة الدنيا ، قلت : يا رب إن شاء تسلم منه ، جاء الأسبوع الثاني وقال لي : أيضاً هذا الأسبوع لم أُصَبْ بأية نوبة ، أذكر أنه جاء في أسبوع رابع ، وأنا لا أصدق ذلك من الفرح ؛ أن الذي ذكرته له مؤيد بكلام الله ، الله عز وجل صدق هذا الكلام ، وأبعد عنه هذه النوبات ، في

الأسبوع السادس لم يأتِ إلى الدرس ، قلت : لعله جاءته نوبة ، والله قلقت أشد القلق ، لكن في الأسبوع السابع جاء ، قال لي بالضبط : لا تقلق على مبدئك ، أنا أخطأت مع الله ، في هذا الأسبوع أخطأت ، فجائي نوبة في الطريق.

البشارة السابعة

تيسير الأمور لمن يتقي الرب الغفور

وعمدة هذه البشارة قوله تعالى : (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى) سورة الليل (٥-٧) .

ورد في سبب نزولها : أن أبا بكر رضي الله عنه كان يعتقد على الإسلام عجائز ونساء ، قال : فقال له أبو قحافة : أي بني لو أنك أعتقت رجلاً جليداً يمنعونك ويقومون معك ؟ فقال : يا أبت إنما أريد ما أريد .

قال أهل التفسير^١ : (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى) حق الله تعالى الذي عليه . وقال الحسن : أعطى الصدق من قلبه . (وَأَتَّقَى) الله واجتنب محارمه . (وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى) أي بلا إله إلا الله قاله الضحاك والسلمي وابن عباس أيضاً .

قوله تعالى : (فَسَنِّيَسِرُهُ لِلْيُسْرَى) أي نرشده لأسباب الخير والصلاح ، حتى يسهل عليه فعلها ، ونسهل عليه أمره ، ونجعله ميسراً له كل خير ، ميسراً له ترك كل شر ، لأنه أتى بأسباب التيسير ، فيسر الله له ذلك . وقال زيد بن أسلم : ليسرى للجنة^٢ .

إذن : وجه البشارة فيها أن الله تعالى يجعل حياتك - أيها المؤمن التقي - مليئة بفعل الخيرات التي بها تتقدم إلى الجنة ، كما يجعل لك التيسير فيما تطلبه من أمر دنيائك حيثما توجهت ، فلا تعاني مما يعانيه الناس في دنياهم ، والله أعلم .

وإليك الحديث عن ضوابط هذه البشارة في النقاط التالية :

١/ انظر القرطبي وابن كثير والسعدي .

٢/ قال القرطبي : وفي الصحيحين والترمذي عن علي - رضي الله عنه - قال : كنا في جنازة بالبقيع ، فأتى النبي - صلى الله عليه وسلم - فجلس وجلسنا معه ، ومعه عود ينكت به في الأرض ، فرفع رأسه إلى السماء فقال : " ما من نفس منفوسة إلا قد كتب مدخلها " فقال القوم : يا رسول الله ، أفلا نتكل على كتابنا ؟ فمن كان من أهل السعادة فانه يعمل للسعادة ، ومن كان من أهل الشقاء فانه يعمل للشقاء . قال : " بل اعملوا فكل ميسر أما من كان من أهل السعادة فانه ييسر لعمل السعادة ، وأما من كان من أهل الشقاء فانه ييسر لعمل الشقاء - ثم قرأ - فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسر وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسر " لفظ الترمذي . وقال فيه : حديث حسن صحيح . وسأل غلامان شابان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالا : العمل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير ؟ أم في شيء يستأنف ؟ فقال - عليه السلام - : " بل فيما جفت به الأقلام ، وجرت به المقادير " قالوا : ففيم العمل ؟ قال : " اعملوا فكل ميسر لعمل الذي خلق له " قالوا : فالآن نجد ونعمل .

أولاً: قانون التيسير والتعسير مؤصّل في آية قرآنية^١:

القانون الذي ينتظم التيسير والتعسير هذه الآية: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ﴾. من هو؟ الذي آمن بالآخرة، آمن أنه مخلوق للجنة، وبناء على هذا الإيمان اتقى أن يعصي الله، وبني حياته على العطاء، يعطي من وقته، من ماله، من علمه، من جاهه.

ومن هنا تجد بعض الناس أموره ميسرة:

زواجه موفق، زوجة صالحة تسره عن نظر إليها، تحفظه إن غاب عنها، تطيعه إن أمرها، وأحياناً تريه النجوم ظهراً، يقول له: بلاء من الله، ما ارتحت معها يوماً، الزواج تيسر، والعمل تيسر، والرزق تيسر، والصحة تيسر، أحياناً خطأ بسيط في الجسم يقلب حياة الإنسان إلى جحيم، أحياناً خطأ بتناول دواء له مضاعفات خطيرة جداً.

أحياناً يجري إنسان عملية استئصال كلية متوقفة عن العمل، ويعيش الإنسان عمراً مديدا بكلية واحدة، لكن الطبيب ينزع له الكلية السليمة، وقد قال لي أخ: والدي مكث عشر سنوات في غسيل كلية، لأنه أخطأ الطبيب معه فاستأصل الكلية السليمة، فهناك توفيق في الصحة، وتوفيق في الزواج، وتوفيق في العمل، وتوفيق في العلاقات العامة، وتوفيق في كسب الرزق، وتوفيق في إنفاق المال، وتوفيق في السفر.

سافر أحدهم ووضع المحفظة في سيارة مكشوفة في القسم الخلفي، ثم ذهب ليصلي فسُرقت المحفظة، قال لي: بقيت مدة شهرين حتى أخذت وثيقة مغادرة، الأمور معقدة جداً، وأحياناً الأمور ميسرة مريحة، وأحياناً معسرة.

ثانياً: تفسير قوله تعالى: ﴿ أَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴾:

١/ قوانين القرآن الكريم - الدرس: ١٩ - قانون التيسير والتعسير - موسوعة النابلسي - بتصرف.

أي آمن بالدنيا، وكذب بالآخرة، لأنه آمن بالدنيا فاستغنى عن طاعة الله، ولأنه آمن بالدنيا، واستغنى عن طاعة الله، بنى حياته على الأخذ، فلذلك هذا الإنسان أينما تحرك كانت الأمور معسرة، فلا سعادة، ولا توفيق، ولا يسر، ولا عسر، فأينما تحرك كان الباب مغلقا، والجواب: مع عدم الموافقة، وكلما طرق باب يجده مغلقا، فيجب أن تنتبه.

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: (يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، آمَنَّا بِكَ، وَبِمَا جِئْتَ بِهِ، فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا ؟ قَالَ: نَعَمْ، إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أَصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ) رواه الترمذي.

فإذا كنت تستحق التكريم يلقي الله محبتك في قلوب الخلق، فيعينونك، وإذا كان الإنسان يستحق التأديب يلقي الله البغض في قلوب الخلق، فيتفننون بإحراجه، يتفننون بإزعاجه، يتفننون بتعقيد الأمر عليه.

التيسير مريح جداً أيها الإخوة، والتعسير صعب جداً، التيسير مريح وله ثمن، والتعسير مزعج وله سبب، التيسير له ثمن، والعسير له سبب.

(أَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى) لماذا كذب بالحسنى، واستغنى عن طاعة الله، وبنى حياته على الأخذ ؟ من أجل أن يجمع المال الوفير كي يستمتع به في الدنيا، قال: ﴿ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ﴾ * إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى



ثالثاً : التيسير له ثمن والتعسير له سبب :

قضية التيسر والتعسير شيء مهم جداً في حياتك، مهم بزواجك مهم بعملك، مهم بدراستك، فقد تجد أستاذاً في جامعة أجنبية من أصل يهودي يتفنن في إزعاجك، يتفنن بوضع العراقيل أمام شهادتك، وطالب آخر مع أستاذ آخر، الأمر مسير.

قال النابلسي : مستحيل وألف ألف ألف مستحيل أن تتقي الله، ثم لا تجد التيسير والراحة النفسية، أن تتقي الله، ثم لا تجد أن كل من حولك في خدمتك، إذا يسر الله الأمور يخدمك عدوك، وإذا عسر الله الأمور يتناول عليك أقرب الناس إليك.

عموم التقوى: فلذلك: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ﴾ من يتقي الله في الاختيار زوجته، ﴿يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ من زوجة سيئة تؤذي، من يتقي الله في تربية أولاده يجعل الله له مخرجاً من عقوقه، من يتقي الله في كسب ماله يجعل الله له مخرجاً من إتلاف المال أو مصادرتة، أو من تجارة خاسرة، أو من صفقة خاسرة، من يتقي الله في التوحيد يجعل الله له مخرجاً من الشرك، من يتقي الله في صحته يجعل الله له مخرجاً من المرض، آية واسعة جداً: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾.

الله عز وجل قد يسمح لك بعمل نتائج تعسير أمورك، لأنك أنت اخترته، فيسمح لك بعمل أنت مخير، ونتائج هذا العمل تعسير لأموالك، لكن: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ﴾ ﴿وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ سورة البقرة الآية: ١٨٥ هذه آية مهمة جداً.

خرج النبي عليه الصلاة والسلام يوماً مسروراً فرحاً، ضحاكاً وهو يقول: **(لن يغلب عسر يسراً، إن مع العسر يسراً، إن مع العسر يسراً)** أخرجه الحاكم في المستدرک .
عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(قَالَ رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا سَمَحًا إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضَ)**

رابعاً: قصة الفني الذي تعسر أمره ثم يسره الله له :

قال النابلسي : حدثني أخ من إخواننا الكرام، وله مكانة، يعمل بحرفة راقية، بحاسوب صناعي، هو خبير كبير فيه، حدثني فقال: طلب مني إنسان إصلاح حاسوب معمل فطلبت مبلغاً ضمن قناعاتي، وهو مبلغ مناسب، لكن الرجل شدد عليه، وحاسبه، وطلب منه يخفض السعر بالحاج كبير حتى أضجره، فقال له: **أنا لست بحاجة لك،** أنت بحاجة لي، تحب أن آتي إليك فادفع المبلغ ؟ أنا جاهز بهذا الرقم،

قال له: تعال، أقسم لي هذا الأخ في خلال عشر سنوات أو أكثر الأمر يحتاج ساعتين أو ثلاثا، الأمر على الإنجاز، قال لي: أول يوم للمساء لم يصلح، ما كشفت أين الخلل، ثاني يوم، ثالث يوم، رابع يوم، خامس يوم، سادس يوم، أقسم بالله تسعة أيام ما اهتدى للحل، بعدها طلب إجازة، راجع نفسه، أين الخطأ ؟ قال: فقال: أنا قلت له: **أنا لست بحاجة لك، أنت بحاجة لي، وهذه كلمة تجبر**، فتاب إلى الله، دفع صدقة، قال لي: عاشر يوم في ربع ساعة حلّت القضية.

البشارة الثامنة

الحياة الطيبة لكل من آمن وعمل صالحاً

وعمدة هذه البشارة قوله تعالى : ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنَّثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ سورة النحل (٩٧) .

ووجه البشارة من الآية مأخوذ من تفسيرها : هذا وعد من الله تعالى وبشارة لمن عمل صالحا - وهو العمل المتابع لكتاب الله تعالى وسنة نبيه من ذكر أو أنثى من بني آدم ، وقلبه مؤمن بالله ورسوله ، وإن هذا العمل المأمور به مشروع من عند

الله - بأن يحييه الله حياة طيبة في الدنيا وأن يجزيه بأحسن ما عمله في الدار الآخرة. والحياة الطيبة تشمل وجوه الراحة من أي جهة كانت .

والآن إليك بيان ضوابط ومواصفات مستحقي هذه البشارة :

أولاً : أقول المفسرين في مفهوم الحياة الطيبة :

قال القرطبي رحمه الله : وفي الحياة الطيبة أقوال:

- ١/ أنه الرزق الحلال ، قاله ابن عباس وسعيد بن جبيرة وعطاء والضحاك .
- ٢/ القناعة ، قاله الحسن البصري وزيد بن وهب ووهب بن منبه ، ورواه الحكم عن عكرمة عن ابن عباس ، وهو قول علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - .
- ٣/ توفيقه إلى الطاعات فإنها تؤديه إلى رضوان الله ، قال معناه الضحاك .
- ٤/ وقال مجاهد وقتادة وابن زيد : هي الجنة ، وقاله الحسن ، وقال : لا تطيب الحياة لأحد إلا في الجنة .
- ٥/ وقيل هي السعادة ، روي عن ابن عباس أيضا .
- ٦/ وقال أبو بكر الوراق : هي حلاوة الطاعة .
- ٧/ وقال سهل بن عبد الله التستري : هي أن ينزع عن العبد تدييره ويرد تدييره إلى الحق .
- ٨/ قال جعفر الصادق : هي المعرفة بالله ، وصدق المقام بين يدي الله .
- ٩/ وقيل : الاستغناء عن الخلق والافتقار إلى الحق .
- ١٠/ وقيل : الرضا بالقضاء .

قوله تعالى (وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) أي في الآخرة . بأحسن ما كانوا يعملون وقال (فلنحيينه) ثم قال (ولنجزينهم) لأن (من) يصلح للواحد والجمع ، فأعاد مرة على اللفظ ومرة على المعنى .

ثانياً : المستقيمون لهم حياة طيبة:

قال الدكتور محمد راتب النابلسي: أنا أبشر الإخوة الكرام المستقيمين بحياة طيبة، وهذه ليست من عندي، بل هي من عند خالق السماوات والأرض.

والله أقول لكم هذه الكلمة: يكاد المؤمن يعلم الغيب، يكاد، معنى يكاد أنه لا يعلم الغيب، لكن يعلم القوانين الإلهية.

اشترى إنسان مع أخته بيتاً، ودفع كلٌّ منهما ثمن البيت مناصفة، لكن البيت لجمعية تعاونية خاصة بالمحامين، أخته هي المحامية، فهو باسم الأخت، أخوها فدفع النصف، بالتمام والكمال، البيت كان ثمنه ٢٥٠ ألف ليرة، صار ثمنه ١٣ مليون ليرة، وباسم الأخت، التي طمعت في البيت بحكم أنها في القضاء، وخيرة، ومحامية، ألزمته أن يخرج من البيت، ما ترك وسيلة، وابنه أحد إخوتنا، والقصة طويلة، أخرجته من البيت إنسان واستولت على البيت وحدها، فقال لي الأخ: هكذا فعلت عمتي معنا، أخوها عنده ١٤ ولداً، استأجروا مستودعات في الغوطة، وتوزعوا بين الأهل، حياتهم تعيسة جداً، أنا والله قلت له: الله العليم، الله عز وجل سينتقم منها أشد الانتقام، لكن متى ؟ لا أعرف، والله غاب عني شهراً، ثم جاءني وقال: عمتي مصابة بالسرطان، ويمكن للسرطان أن يدوم فترة طويلة، غاب شهراً ثانياً، ثم قال لي: والله ماتت، هل يمكن أن تلقي لنا كلمة في التعزية ؟ وذهبت إلى البيت، وألقيت الكلمة، لكن من وريثها الوحيد ؟ أخوها.

والله أعرف أحد رجال الدعوة إلى الله كان يحدثني، يقول لي: كلما رأيت شاباً مستقيماً أقول له: أبشر ولا تخف، إنها ثقة بالله عز وجل، وأنا أقول لكم: أيها الشباب، المستقيم منكم نبشره بحياة طيبة، الآية: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا﴾ سورة النحل (٩٧).

مَنْ عَمِلَ صَالِحًا: هذه كلمة واسعة جداً، بزواجه كان صالحاً، في كسب ماله كان صالحاً، في علاقاته مع النساء كان عفيفاً، في حكمه إذا كان قاضياً كان عدلاً ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا﴾ واسعة جداً، الطالب صالح، والمدرس صالح، والمحامي صالح، والطبيب صالح، والتاجر صالح، والمزارع صالح، وتعلم علم اليقين وبالفطرة ما إذا كنت صالحاً أو غير صالح.

مَنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى : هذا قانون، (مَنْ) أداة شرط لازمة، أكثر القوانين على صيغة شرط، ك: مَنْ يجتهد ينجح. بشكل مطلق، في أي مكان، في أي زمان، في أي عصر، في أي مصر، من آدم إلى يوم القيامة. ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى﴾ هذه الآية بشارة لكل شاب مؤمن، حتى إن لم يملك شيئاً، لا بيتاً، ولا دخلاً كافياً، ولا وظيفة، ولا تجارة، وهو متفتح بالحياة، ولا أمل له، كيف يريئ الله عز وجل له عملاً، وزوجة، وبيتاً، وحياة سعيدة، واستقامته فقط ؟ مع الله عز وجل لا يفلح الذكي، يفلح المستقيم، والذكي يؤتى من مأمنه، ويؤتى الحذر من مأمنه.

وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً: هذا إله، هذا الوعد فوق المكان والزمان، فوق الظروف، بلاد متخلفة، بلاد متقدمة، بلاد غنية، بلاد فقيرة، لرجل ساكن في الريف، أو ساكن في المدينة، دخله محدود، أو دخله غير محدود، موظف، تاجر، هذه الأمور لا علاقة لها هنا علاقة، بأي مكان، بأي زمان، بأي عصر، بأي مصر، بأي ظرف، بأي بيئة: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

ثالثاً : الإنسان مفطور على حبِّ السعادة (الحياة الطيبة) ^١ :

يقول الدكتور محمد راتب النابلسي: أؤكد لكم ولا أبالغ أنه على وجه الأرض ستة آلاف مليون، ما منهم واحد إلا ويتمنى السلامة والسعادة، وتعبير قرآني يتمنى الحياة الطيبة، يفهمها راحة نفسية ، يفهمها سمعة طيبة، يفهمها صحة، يفهمها مكانة، يفهمها تيسيراً، يفهمها سروراً، يفهمها رضى، يفهمها توفيقاً، هذه حياة طيبة، والمطلق على إطلاقه.

وهو كذلك مفطور على بغض المعيشة الضنك :وما من واحد إلا ويتألم ألماً لا حدود له من المعيشة الضنك، وهي تعني التعسير، والضيق، والانقباض، والشعور بالقهر، والإحباط، واليأس، والحقد، فتلك حياة طيبة، وهذه حياة ضنك.

لهذا نتساءل : أين توجد السعادة ؟

كلنا يريد السعادة، كل مخلوق يريد السعادة، وأنا في الطريق في شدة الحرّ، وجدت حيواناً أليفاً في وسط الطريق في شدة هذا الحرّ يجلس في مكان فتعجبت! لماذا يجلس في مكان في وسط الطريق؟ في شدة هذا الحرّ، فإذا هو جالس في مكان فيه شيء من الماء، فوجد أن هذه المنطقة هي أبرد مكان يجلس فيها ليتقي بعض الحر، وهو حيوان، فهو يبحث عن سعادته، يبحث عن المكان البارد المناسب له. فكيف بالإنسان؟

القرآن يؤكد هذه الحقائق في هذه الآية حياة طيبة، وأجر للآخرة، العجيب في هذه الآية في سورة النحل، فيها لفظة تدبرية، هل وقفتم عليها؟ هل تأملتموها؟ بعد هذه الآية مباشرة والله جل وعلا يقول في هذه الآية { مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ }، بعدها

١/ قوانين القرآن الكريم - الدرس : ٣٠ - قانون الحياة الطيبة - موقع : موسوعة النابلسي - بتصرف . ومقالات ناصر العمر -

السعادة الحقيقية - (٦) - وتفسير الفخر الرازي .

مباشرة، {فإذا قرأت القرآن، فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم}، إذا السعادة في القرآن!

رابعاً: ليس المحسن عند الله كالمتسيء :

قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ سورة الجاثية (٢١).

السؤال : كيف نوفق بين حديث النبي صلى الله عليه وسلم: "التائب من الذنب، كمن لا ذنب له". وبين الوعيد في الآية: "أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعله كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون"؟ فهل يشمل هذا الوعيد التائب حتى من الكبائر؟

الإجابة : فليس هناك أي وجه من وجوه التعارض بين الآية والحديث، فإن الآية في مرتكب السيئات المصير عليها.

قال القاسمي: أم حسب الذين اجترحوا السيئات: أي: اكتسبوا سيئات الأعمال.

(أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ): أي: من عدم التفاوت. قال الزمخشري: والمعنى إنكار أن يستوي المسيئون والمحسنون محيا، وأن يستووا مماتا؛ لافتراق أحوالهم أحياء، حيث عاش هؤلاء على القيام بالطاعات، وأولئك على ركوب المعاصي، ومماتاً حيث مات هؤلاء على البشري بالرحمة، والوصول إلى ثواب الله ورضوانه، وأولئك على اليأس من رحمة الله، والوصول إلى هول ما أعد لهم. انتهى. وزد عليه: حيث عاش هؤلاء على الهدى والعلم بالله، وسنن الرشاد، وطمأنينة القلب، وأولئك على الضلال والجهل، والعبث بالفساد، واضطراب القلب، وضيق الصدر، بعدم معرفة المخرج المشار إليه بآية: (وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً) [طه: ١٢٤]. انتهى.

فهذه الآية في صنف من الناس مضى مصرًّا على المعاصي، مقيمًا عليها، ظانًّا أن الله يسوي بينهم وبين غيرهم ممن قضوا حياتهم في طاعة الله تعالى، وبئس الظن ظنوا. وأما التائب الراجع إلى الله تعالى، فليس من هذا الصنف بسبيل، بل هو من الذين آمنوا وعملوا الصالحات. والله أعلم.

قال الرازي رحمه الله تعالى : (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ) سورة الجاثية (٢١)، اختلفوا في المراد بقوله : (سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ) قال مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما : يعني أحسبوا أن حياتهم ومماتهم كحياة المؤمنين وموتهم ؟ كلا ، فإنهم يعيشون كافرين ويموتون كافرين، والمؤمنون يعيشون مؤمنين ويموتون مؤمنين، وذلك لأن المؤمن ما دام يكون في الدنيا فإنه يكون وليه هو الله و أنصاره المؤمنون وحجة الله معه ، والكافر بالضد منه.

كما ذكره في قوله : (وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ) الجاثية (١٩) ، وعند القرب إلى الموت ، فإن حال المؤمن ما ذكره في قوله تعالى : (الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) [النحل: ٣٢] ، وحال الكافر ما ذكره في قوله : (الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ) [النحل: ٢٨] ، وأما في القيامة فقال تعالى : (وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة) [عبس: ٤١٣٨] ، فهذا هو الإشارة إلى بيان وقوع التفاوت بين الحالتين .

والوجه الثاني : أن يكون المعنى إنكار أن يستووا في الممات كما استووا في الحياة ، وذلك لأن المؤمن والكافر قد يستوي محياهم في الصحة والرزق والكفاية بل قد يكون الكافر أرجح حالا من المؤمن ، وإنما يظهر الفرق بينهما في الممات .

والوجه الثالث : أن قوله : (سَوَاءٌ مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ) مستأنف على معنى أن محيا المسيئين ومماتهم سواء ، فكذلك محيا المحسنين ومماتهم ، أي كل يموت على حسب ما عاش عليه ، ثم إنه تعالى صرح بإنكار تلك التسوية فقال : (سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ) .

قال النابلسي وفقه الله : مستحيل وألف ألف ألف مستحيل أن يعامل المحسن عند الله كالمسيء ، والمستقيم كالمنحرف، والمنصف كالظالم، والمخلص كالخائن، والدليل، بالمناسبة في الدين ليس هناك رأي شخصي، الدليل كما قال محمد بن سيرين رحمه الله (إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم) رواه مسلم .

وأنا أتمنى على كل واحد منا ألا يقبل في الدين شيئاً من دون دليل، وأتمنى عليه أيضاً ألا يرفض في الدين شيئاً من دون دليل، ولولا الدليل لقال من شاء ما شاء، الدليل على أنه مستحيل وألف ألف ألف مستحيل أن يعامل الله المستقيم كالمنحرف، أو المنحرف كالمستقيم، والصادق كالكاذب، والمحسن كالمسيء، والمنصف كالجاحد، والمخلص كالخائن هذه الآية، ووالله الذي لا إله إلا هو لو لم يكن في كتاب الله إلا هذه الآية لكفت: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ سورة الجاثية الآية: (٢١) .

في البيع والشراء يسيء، يغش، يكذب، كشف أن هذا الشاري جهول بالسعر، فيرفع عليه السعر، وإن كان جاهلاً بالنوع يبيعه السلعة السيئة على أنها جيدة، هذه إساءة، إساءة بالبيع والشراء، وهناك إساءة في الدراسة، يغش، وإساءة بالعمل، إذ يحب الموظف أن يرتاح، فيأتيه مراجع من مكان بعيد فلا يلبي حاجته، أو يضع أمامه العراقيل ليبتز من ماله.

البشارة التاسعة

مَنْ اتَّقَى اللَّهَ أَحَبَّهُ اللَّهُ تَعَالَى وَحَبَّبَهُ إِلَى خَلْقِهِ

وعمدة هذه البشارة آيتان :

قوله تعالى : (بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ) سورة آل عمران (٧٦). وفيها بيان حب الله تعالى للمتقين سواء كان فردا أو جماعة .

وقوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا) [مريم: ٩٦]. وفيها بيان تحبيب الله تعالى المتقي للخلق .

ووجه البشارة : واضح من خلال الآيتين لأنه تعالى قال في الآية الأولى (مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ) والتقوى تكون في هذا الموضع، ترجع إلى اتقاء المعاصي التي بين العبد وبين ربه، وبينه وبين الخلق، فمن كان كذلك فإنه من المتقين الذين يحبهم الله تعالى ، ويحبهم إلى خلقه كما بين ذلك سبحانه في الآية الأخرى (سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا)^١.

وها أنا أحاول كما تعودت أن أخلص ما يتعلق بالبشارة من معلومات في نقاط :

مدخل هام : لقد كان الشائع في دنيا الناس - لا سيما وقت ظهور الإسلام - أن العلاقة بين الأسياد والعبيد؛ بل بين مَنْ يملك زمام أمر من الأمور وغيره - لا بد أن تكون قائمة على القهر والاستعلاء والبطش من جانب السيد، يقابل ذلك ذلٌّ وخضوع ومهانة من جانب العبيد، ولا شك أن هذا من شأنه أن يملأ القلوب حقداً وبُغضا وكرهية، فيفسد المجتمع ويأسن.

١/ الذين بشرهم الله تعالى بحبه لهم تسعة وهم :

- ١- اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم فيما أمر : قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٣١].
- ٢- المحسنون : قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٥].
- ٣- التوابون والمتطهرون : قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٢٢].
- ٥- المتقون : قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة: ٤].
- ٦- الصابرون : قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٦].
- ٧- المتوكلون : قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].
- ٨- المقسطون : قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [المائدة: ٤٢].
- ٩- المقاتلون صفا كالبنين في سبيل الله : قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوعٌ ﴾ [الصف: ٤].

لذلك شاء الله تعالى - وهو السيد بحق، والمعبود بحق، وبيده جميع وسائل القهر والإذلال، وهذا من حقه وسلطانه ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤].

كما شاء سبحانه أن تكون العلاقة بينه وبين عباده قائمة على "الحب"، وضرب سبحانه وتعالى لنا على ذلك مثلاً: فهب أن الناس ارتدوا عن دينهم، وخلعوا ريقه الإسلام من أعناقهم.

ثم شاء الله تعالى أن يأتي بقوم آخرين بمواصفات جديدة، وبصفات سامية تؤهلهم لأن يكونوا أفضل من سابقهم.... أصرحكم القول؛ لقد توقعت صفات ضخمة عظيمة لهؤلاء القوم الذين سيأتي الله بهم بديلاً عما ارتدوا عن دينهم وباعوه، ما توقعت أن تبدأ الكلمات بهذه الرقة أو أن تكون بهذا اللطف؛ يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ المائدة (٥٤).

إذاً، فأولى الصفات، ومقدمة المواصفات التي يريدها الله تعالى في الأمة المسلمة التي لو شاء أوجدها - هي:

قوله تعالى: (يحبهم ويحبون) إن الله تعالى يحدثنا عن الحب، الحب المتبادل بينه سبحانه وتعالى وبين عباده، هذه الرابطة القوية والعاطفة الجياشة التي تلهب القلوب شغفاً وحباً وشوقاً إلى ذات الله تعالى، لقد علم الله سبحانه وتعالى أن هذه العاطفة هي التي ستقود المسلم المحب لربه إلى كل ما يرضيه جل وعلا، وهي التي ستدفعه إلى البحث عن أوامر الله تعالى، فيبادر بتنفيذها فرياً مسروراً.

ولك أن تتصور - أخي الكريم - وقع هذه الكلمات حال نزولها على قوم ما زال كثير منهم تلهب ظهورهم جراً جلدتها بسياط أسيادهم، وما زالت جراحاتهم تنزف من أثر التعذيب، وما زالت مشاعرهم وعواطفهم

لك أن تتصور ذلك وهم يسمعون ربهم الملك المعبود ذا الملك والملكوت يتودد إليهم: **يحيمهم**، وينتظر منهم أن يبادلوه هذا الحب، فكان لسان حالهم: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ البقرة: (١٦٥).

أولاً: مفعوم محبة العبد لله تعالى :

يصف ابن القيم رحمه الله المحبة - في مدارج السالكين - عند حديثه عن منزلة المحبة قائلاً:

"المحبة هي المنزلة التي تنافس فيها المتنافسون، وعليها تفانى المحبُّون، وبروح نسيمها تروِّح العابدون؛ فهي قوت القلوب، وغذاء الأرواح، وقُرَّة العيون، وهي الحياة التي مَنْ حُرِّمها فهو في جملة الأموات، والفوز الذي مَنْ فقدته فهو في بحار الظلمات، والشفاء الذي من عُدِمه حلَّت بقلبه جميعُ الأسقام، واللذة التي مَنْ لم يظفر بها فعيثُ كلِّ هموم وآلام..."^١.

ثانياً: ثمرات المحبة ابن القيم رحمه الله تعالى :

لا تُثمر شجرة المحبة إلا إذا تتبعت الطريق الصحيح في زراعتها ورَبَّها، وتعهدها بعد ذلك بالرعاية والعناية والمحافظة عليها من جميع الآفات حتى تؤتي أُكلها.

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: "إذا غُرست شجرة المحبة في القلب، وسُقيت بماء الإخلاص ومتابعة الحبيب، أثمرت أنواع الثمار، وآتت أكلها كل حين بإذن ربها، أصلها ثابت، وفرعها في السماء مُتَّصِل بسدرة المنتهى. لا يزال سعيُ المحب صاعداً إلى حبيبه لا يحجبه دونه شيء؛ ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]"^٢.

فهيّا نستظل بشجرة المحبة الوارفة، ونقطف من ثمارها اليانعة؛ ومن هذه الثمار:

١/ تهذيب مدارج السالكين - هدَّبه عبدالمعظم صالح العلي - ص ٥٠، طبعة المكتبة القيمة.

٢/ نفس المصدر السابق ص - (٥١١).

١/ **استشعار حلاوة الإيمان في القلب** : ففي الصحيح عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول صلى الله عليه وسلم: (ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ، وَجَدَ بِهِنَ حُلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ إِلَى الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يَلْقَى فِي النَّارِ) . فمتى أحب المسلم ربّه ونبيّه حبّاً صادقاً خالصاً، وجد للإيمان حلاوة ولذة في قلبه.

٢/ **حب الطاعات، وعمل كل ما يحبه الله ورسوله** : ففي دنيا الناس إذا أحب شخصٌ شخصاً حبّاً صادقاً، فإنه يسعى لإرضائه والتقرب إليه، وذلك بفعل كل ما يطلبه منه؛ بل يتعدّى الأمر إلى أبعد من ذلك؛ فهو لا ينتظر حتى يطلب منه حبيبُه طلباً معيناً، لا، بل يسعى هو ويجتهد ويسأل حتى يتعرف على كل ما يُرضي حبيبَه فيفعله، والله تعالى المثل الأعلى، فإن العبد إذا أخلص الحب لربه جل وعلا، فإنه يتفانى في طاعته، ويُسرّع في تنفيذ أوامره وفرائضه، وربما لا يكتفي بذلك؛ بل إنه يُكثر من النوافل والسُّنن وأعمال البر والخير؛ إرضاءً لربه.

ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحبَّ إليَّ مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنتُ سمّعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي عليها، ولئن سألني لأعطينّه، ولئن استعاذني لأعيذنه).

والحديث يرسم طريق الوصول إلى محبة الله تعالى عن طريق فعل الفرائض والإكثار من النوافل، ويبين كذلك ما يجري وما يحصل للعبد المحبوب من فضل وخير؛ فهو - أي العبد المحبوب - إن نظر فبالله، وإن تكلم فبالله، وإن مشى فبالله، وإن تحركت يداه فبالله...؛ لقد أصبح عبداً ربانياً؛ إن سأل الله أعطاه، وإن توكل عليه كفاه، وإن استعاذ به أعاده، وإن دخل في حماه حمّاه.

٣/ يحبه أهل السماء، ويوضع له القبول في الأرض: ففي الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا أحب الله عبداً، دعا جبريل فقال: إني أحب فلاناً فأحبه، فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء: إن الله يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض). لقد أثمرت محبة الله تعالى لك حباً وقبولاً عند الناس، وهذا لا يشتري بالمال؛ لكنه سرٌّ وروح تسري بين القلوب، فتتألف وتتحابُّ بروح الله؛ فالأرواح جندٌ مجتدة، ما تعارف منها اتلف؛ يقول تعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٣] ويقول تعالى أيضاً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦].

ثالثاً: الأسباب الجالبة للمحبة: قال ابن القيم رحمه الله تعالى^١:

"الأسباب الجالبة للمحبة الموجبة لها، وهي عشرة:

أحدها: قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه وما أُريد به.

الثاني: التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض؛ فإنها تُوصِّله إلى درجة المحبوبة بعد المحبة.

الثالث: دوام ذكره على كل حال باللسان وبالقلب والعمل والحال؛ فنصيبه من المحبة على قدر نصيبه من الذكر.

الرابع: إثارة محبته على محابِّك عند غلبات الهوى، والتَّسَنُّم إلى محابِّه وإن صعب المرتقى.

الخامس: مطالعة القلب لأسمائه وصفاته ومشاهدته، ومعرفتها وتقلُّبه في رياض هذه المعرفة؛ فمَن عرف الله وصفاته وأفعاله، أحبه لا محالة.

١/ تهذيب مدارج السالكين - لابن القيم هذبه عبد المنعم صالح العلي - ص ٥١٣ طبعة المكتبة القيمة.

السادس: مشاهدة بَرِّه وإحسانه وآلائه ونِعَمِه الظاهرة والباطنة.

السابع: وهو مِن أعجِبْها -: انكسار القلب بين يدي الله تعالى، وليس في التعبير عن هذا المعنى غير الأسماء والعبارات.

الثامن: الخلوة به وقت النزول الإلهي لمناجاته وتلاوة كلامه، والوقوف بالقلب والتأدُّب بأدب العبودية بين يديه، ثم ختم ذلك بالاستغفار والتوبة.

التاسع: مجالسة المحبين الصادقين، والتقاط أطيب ثمرات كلامهم كما يُنتقى أطيب الثمر.

العاشر: مباحة كل سبب يحول بين القلب وبين الله عز وجل.

فمن هذه العشرة، وصل المحبُّون إلى منازل المحبة ودخلوا على الحبيب، وملاك ذلك كله أمران:

١/ استعداد الروح لهذا الشأن. ٢/ انفتاح عين البصيرة."

ومن أعظم ما يحقق المحبة للمؤمن كثرة التقرب والتطوع بالصالحات لما في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله تعالى قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر فيه ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه» فمن أحبه الله رزقه محبته وطاقته والاشتغال بذكره وخدمته فأوجب له ذلك القرب منه والزلفى لديه.

رابعاً: المحب لله كثير الذكر لمحبوبه وكلام محبوبه :

قال بعض السلف: "المحب لله طائر القلب كثير الذكر". وقال خباب بن الأرت رضي الله عنه لرجل: "تقرب إلى الله ما استطعت واعلم أنك لن تتقرب إليه بشيء هو أحب إليه من كلامه" (رواه الحاكم).

وقال ابن مسعود: "من أحب القرآن فهو يحب الله ورسوله" (رواه الطبراني).

وإذا نال العبد محبة الله سدد سمعه وبصره ويده ورجله وأيده بتوفيقه وصانه عن الرذائل فلا يستعمل جوارحه إلا في المباحات وإذا أحب الله عبداً حماه من فتنة الدنيا. فعلامة التوفيق في العبد إعراضه عن الدنيا وفراره من فتنتها وخشيته من زخرفها وعلامة الخذلان والحرمان للعبد إقباله على الدنيا وفرحه بها وافتتانه بزخرفها والانغماس في ملذاتها. وليس أضر على قلب المؤمن ودينه من حب الدنيا وأهلها والله العاصم والموفق.

والتعرف على صفات الله العلى وأسمائه الحسنى ومحبتها توجب محبة الله ورضاه
عن العبد : لما روت عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث رجلا على سرية فكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بـ{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «سلوه لأي شيء يصنع ذلك فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمن فأنا أحب أن أقرأ بها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أخبروه أن الله تعالى يحبه» (متفق عليه).

خامساً : موانع تمنع المحبة وتضعفها:

١ - الرياء وإرادة الدنيا في عمل الآخرة.

٢ - هجر كلام الرحمن والجفاء منه

٣ - إضاعة الفرائض والتهاون في فعلها.

٣ - الغفلة عن ذكر الله

٤ - الشح بالمال ومنعه عن المحاويع والفقراء.

٥ - الاشتغال بالمعاصي والملاهي الموجبة لسخط الله.

٦ - مصاحبة أهل الغفلة والفساد.

٧ - حب النفس وترك النصح للخلق.

٨ - التسخط والتضجر من الرزايا والمصائب.

سادساً : علامات محبة الله تعالى للعبد :

قال العلماء : إن الله جل جلاله يحب من شاء من عباده ويحب من أقوالهم وصفاتهم الحسنة. قال تعالى: {وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ}. وقال تعالى: {وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}. فالمحبة صفة اختيارية ثابتة لله تعالى على الوجه اللائق به من غير تشبيه ولا تعطيل فهو سبحانه يحب من شاء متى شاء والسعيد من نال محبة الله في أرضه وملكوته.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا أحب الله تعالى العبد نادى جبريل إن الله تعالى يحب فلاناً فأحبه فيحبه جبريل فينادي في أهل السماء إن الله يحب فلاناً فأحبه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض».

فيا سعادة من فاز بهذه المرتبة الشريفة التي لا تعدلها مرتبة في الدنيا لا مال ولا جاه ولا سلطان.

قال هرم بن حيان: "ما أقبل عبد بقلبه على الله إلا أقبل الله بقلوب المؤمنين إليه حتى يرزقه ودهم". ومن كمال محبة الله وتاممها المحبة لله فيحب المرء عملاً وقولاً وهيئة وزماناً ومكاناً معيناً لأجل محبة الله لها فيؤثرها على سائر الأشياء ولو زهد فيها الناس. فكل عمل ورد فيه ثناء الله عليه ومحبة له في الكتاب والسنة أحبه ودعا إليه كتحسين التلاوة بالقرآن وغيره.

وكذلك مما يحمد في هذا الباب أن يكون تصرف العبد كله لنيل مرضاة الله ومحبته، ولهذا ورد في الحديث: «من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان» (رواه أبو داود).

ومن كمال محبة الله وثمرتها المحبة في الله فيحب الرجل أخاه ابتغاء مرضاة الله لا يحبه لأجل نسب أو حسب أو مال أو دنيا وقد ورد في ذلك فضل عظيم في الآخرة كما في قوله صلى الله عليه وسلم: «قال الله عز وجل وجبت محبتي للمتأحبين في والمتجالسين في والمتزاورين في والمتباذلين في» (رواه أحمد . وفي (صحيح مسلم): «إن الله يقول يوم القيامة أين المتحابون بجلالي اليوم أظلمهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي» . فمحبة الرجل الصالح ومودته والقيام بحقه والذب عن عرضه لأجل إيمانه بالله ورسوله مع كونه من الأبعد نسباً وبلداً يدل على امتلاء القلب بمحبة الله وتعظيمه وتوقيره وإيثار ما عنده من النعيم على عرض الدنيا الزائل.

وسئل المرتعش رحمه الله تعالى : بم تنال المحبة. قال: "بموالاة أولياء الله ومعاداة أعدائه".

وليس إعطاء الله الدنيا للعبد علامة على محبته له واصطفائه كما يظنه الجاهل
فإن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب وقد اختار لنبيه صلى الله عليه وسلم
الفقر ومنع عنه الدنيا وجاء في الحديث: **«لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح**
بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء» (رواه الترمذي).

فلا ينبغي للغني أن يفرح بها ويظن أنه من أهل الرضا ولا ينبغي للفقير أن يحزن على
فقدائها ويظن بربه سوءاً. وإنما علامة المحبة للمؤمن أن يحزن ويغتم لذنوبه وتفريطه
وعامة محبة الدنيا أن يغتم ويكلف بجمعها.

قال حماد الدباسي : "إذا أحب الله عبداً أكثر همه فيما فرط وإذا أبغض عبداً أكثر
همه فيما قسم له".

ومن علامة محبة الله لعبده أن ينزل به البلاء ويبتليه بالمحن ويلهمه الصبر والرضى
بها كما جاء في الحديث: «إن عظم الجزاء مع عظم البلاء وإن الله إذا أحب قوماً
ابتلاهم فممن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط» (رواه الترمذي).

وهذا حال أهل المحبة لله وأصفياؤه في هذه الدنيا يعرفون بكثرة البلاء. أما الفجار
وأهل الغفلة فيبسط الله لهم الدنيا ويوسع عليهم ويتابع عليهم الخيرات استدراجاً
وفتنة لهم كما روي في (مسند أحمد): **«إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على**
معاصيه ما يحب، فإنما هو استدراج، ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون).

ولا يلام العبد أبدًا على محبة العشيرة والوطن والولد والزوجة والمال ولا تناف تلك المحبة محبة الله والإيمان به إذا كان ذلك في حدود الشرع ولم يترتب عليه مفسدة لأنه حب فطري غريزي قد فطر الله الإنسان عليه وأباحه الشرع ولم ينه عنه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بل كان يحب صلى الله عليه وسلم بلده وأهله وعشيرته.

ويشترط لتلك المحبة أن تكون تابعة للشرع مقيدة بأحكامه وضوابطه ولا تناف مقاصده. أما إذا غلا فيها العبد أو اتخذها إلها أو وإلى وعادى لأجلها أو شغلته عن اتباع الشرع وأوقعته في المحاذير فحينئذ تكون إثما ويؤاخذ عليها في الآخرة ويلحقه ذم ويتناوله الوعيد. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش» (رواه البخاري).

ويشرع للمؤمن سؤال محبة الله وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أتاني ربي عز وجل -يعني في المنام- فقال يا محمد قل اللهم إني أسألك حبك وحب من يحبك والعمل الذي يبلغني حبك» (رواه الترمذي وصححه). فينبغي للمؤمن أن يلح في دعائه في طلب محبة الله والفوز بمرضاته والاتصاف بقربه.

ومحبة الله منزلة عظيمة لها فضل عظيم وآثار حسنة ومزايا نافعة على من تحلى واتصف بها.

قال فتح الموصلي : "المحب لا يجد مع حب الله عز وجل للدنيا لذة ولا يغفل عن ذكر الله طرفة عين".

وقال فرقد السبخي: "قرأت في بعض الكتب من أحب الله لم يكن عنده شيء أثر من هواه ومن أحب الدنيا لم يكن عنده شيء أثر من هوى نفسه والمحِب لله تعالى أمير مؤمر على الأمراء زمرة أول الزمر يوم القيامة ومجلسه أقرب المجالس فيما هنالك والمحبة منتهى القرية والاجتهاد ولن يسأم المحبون من طول اجتهادهم لله عز وجل يحبونه ويحبون ذكره ويحببونه إلى خلقه يمشون بين عبادته بالنصائح ويخافون عليهم من أعمالهم يوم تبدو الفضائح أولئك أولياء الله وأحباؤه وأهل صفوته أولئك الذين لا راحة لهم دون لقائه ."

البشارة العاشرة

التوفيق للقيام بالعمل الصالح وقبول الله تعالى لك

وعمدة هذه البشارة قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) الأحزاب (٧٠-٧١) .

ووجه البشارة من الآية : أن يقال : أهم ما يُهمُّ العبد المؤمن في هذه الدنيا أن يوفقه الله تعالى للقيام بالعمل الصالح وأن يتقبَّله الله تعالى منه وقد بشر الله

تعالى كل من كان تقيا بأن يوفقه لذلك وسمى هذا التوفيق بالفوز العظيم ، قد يفهم البعض أن الفوز العظيم هو الجنة ... وهذا صحيح ولكن في الآية ما يدل - عند التأمل - على أن الفوز العظيم هو التوفيق للعمل ثم نيل المغفرة وتلك هي علامة القبول .

وإذا أردت أن تتأكد من أن الفوز العظيم هو عين التوفيق للطاعة تأمل حولك لترى عدد الكفار ثم عدد العصاة من المسلمين ثم تأمل كم عدد الطائعين من بين هؤلاء جميعا لترى الفوز الذي فاز به المواظبين على العمل الصالحين المخلصين لله المتمسكين بحبله ... ما هم إلا فئة قليلة جدا .

أولاً: تفسير الآية الكريمة :

قال السعدي رحمه الله : يأمر تعالى المؤمنين بتقواه في جميع أحوالهم، في السر والعلانية، ويخص منها، ويندب للقول السديد، وهو القول الموافق للصواب، أو المقارب له، عند تعذر اليقين، من قراءة، وذكر، وأمر بمعروف، ونهي عن منكر، وتعلم علم وتعليمه، والحرص على إصابة الصواب، في المسائل العلمية، وسلوك كل طريق موصل لذلك، وكل وسيلة تعين عليه، ومن القول السديد لين الكلام ولطفه في مخاطبة الأنام، والقول المتضمن للنصح والإشارة بما هو الأصلح .

ثم ذكر ما يترتب على تقواه، وقول القول السديد فقال: يصلح لكم أعمالكم أي: يكون ذلك سببا لصلاحها، وطريقا لقبولها، لأن استعمال التقوى، تتقبل به الأعمال؛ كما قال تعالى: إنما يتقبل الله من المتقين . ويوفق فيه الإنسان للعمل الصالح، ويصلح الله الأعمال أيضا بحفظها عما يفسدها، وحفظ ثوابها ومضاعفتها، كما أن الإخلال بالتقوى، والقول السديد سبب لفساد الأعمال، وعدم قبولها، وعدم ترتب آثارها عليها . ويغفر لكم أيضا ذنوبكم التي هي السبب في

هلاكم، فالتقوى تستقيم بها الأمور، ويندفع بها كل محذور ولهذا قال: ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما .

ثانياً : ما معنى التوفيق؟

ما معنى التوفيق التي هذه منزلته، وهذه مرتبته؟ يقول " ابن القيم" - رحمه الله - في بيان (معنى توفيق الله للعبد): " أجمع العارفون أجمع العارفون أن التوفيق هو ألا يكلك إلى نفسك " - الله أكبر-توفيق الله لعبده؛ أن يتولى شأنه - سبحانه وبحمده - .أن يكون هو المدبر لدقيق أمرك، و جليلك .توفيق الله لك ، ألا يخليك ورأيك، ألا يتركك واختيارك، أن يتولى ذلك ، وأن ييسر لك الأسباب التي تدرك بها خيرات الدنيا وفوز الآخرة .

توفيق الله لعبده :أن يتولى شأنه -سبحانه وبحمده- . أن يكون هو المدبر لدقيق أمرك، و جليلك . توفيق الله لك ؛ ألا يخليك ورأيك ، ألا يتركك لاختيارك ، أن ييسر لك الأسباب التي تدرك بها خيرات الدنيا وفوز الآخرة.

قد يقول قائل:(إنما هذا يكون في أمر الدين؛ أن يوفقك الله للهداية، وأن ييسر لك الاستقامة) لكن المعنى أوسع من ذلك؛ لأن قيام الناس ليس فقط في دينهم، إنما الدنيا والدين بهما يكمل للإنسان المعاش، و بهما تطيب الدنيا وتصلح الآخرة؛ فإن الله تعالى خلق الخلق ليعبدوه، واستعمرهم في العبادة في هذه الدنيا، و جعل الدنيا محلاً لحياتهم، ومعاشهم.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله "التوفيق إرادة الله من نفسه أن يفعل بعبد ما يصلح به، وما يستقيم به حاله بأن يجعله قادراً على فعل ما يرضيه، مجتنباً ما يحذره وينهيه وينهاه عنه، ويضره" أو معنى كلامه -رحمه الله- ، وهذا كذاك في معنى التوفيق.

التوفيق بهذا يعلم أنه لا يكون إلا من الله، وهذا ما جهر به النبي الكريم "شعيب" حيث قال: (وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ) سورة هود (٨٨) ليس لي توفيق في إدراك المقاصد، والأمن من المخاوف إلا من الله سبحانه وتعالى

من أين أرضيك إلا أن توفقي هيات ما التوفيق من قبلي

فالتوفيق من الله جل وعلا لا يمكن أن يرضي العبدُ ربه إلا بتوفيق الله تعالى له.

التوفيق: ألا يدعك الله -تعالى- ونفسك، وهواك؛ ولذلك جاءت النصوص في البراءة من الحول؛ والقوة، ولذلك نقول بعد كل صلاة: "اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطٍ لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد"؛ إعلان للافتقار إلى الله -تعالى-، وأن العبد لا تقوم حياته، ولا تستقيم دنياه؛ إلا باللجأ إلى الله -جل وعلا-، والرجوع إليه ولهذا كان قول العبد: "لا حول ولا قوة إلا بالله"؛ كنز من كنوز الجنة.

إنها كنز كما وصفها النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ لأنها إعلانا لافتقار كامل، وتخلٍ تام عن كل حول وقوة، إلا من حول الله .

وكان يذكر في غريب القصص: أن رجلين اختصما إلى قاضي في أرض ادعاها أحدهما على الآخر، وكان المدعي كاذبًا، فقال: الأرض لي، ولي من البيئات كذا وكذا وكذا، فقال صاحبه: أقبل قولك، والأرض لك بشرط أن تردد ما أقول، فقال: قل ما شئت، وسأقول فالأرض لي. فقال: قل: "أنا بريء من الإسلام إن كانت الأرض لك"، فقال الرجل: هو بريء من الإسلام إن كانت الأرض له، قال: أنا بريء من كذا وكذا مما لا يتبرأ منه مسلم إن كانت الأرض لك. قال الرجل، ثم قال له كلمة -واستمع إليها- قال له: قل: أنا بريء من حول الله وقوته إن كانت الأرض لك، فقال الرجل: هو بريء من حول الله وقوته إن كانت الأرض لك، فما أتم الكلمة؛ إلا سقط ميتًا.

" لا حول ولا قوة إلا بالله": من أدركها، وعلم معناها ؛علم أنه مفتقر إلى الله في كل حال. ليس له من الله مفر، ولا إلى سواه ملجأ بل هو الملاذ المعاذ -سبحانه وبحمده - هو المفزع المهرب في كل دقيق وجليل (وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ).

ألا إنما التوفيق إن كنت أهله مراعاة حق الله في السر والجهر

بتوحيده في ذاته وصفاته و أفعاله أيضًا وفي النهي والأمر

هذا هو التوفيق الحقيقي ؛أن تكون على ما أراذك الله -تعالى-، مستسلم له- سبحانه- معظمًا إياه، مقبلًا عليه -جل في علاه-، إخواني؛ مضطرون للتوفيق. لا غنى عن توفيق الله تعالى.

ثالثاً : ما هي الأسباب التي نستنزل بها توفيق الله -تعالى-؟ ما هي الوسائل التي نستمطر بها فضل الله، وتوفيقه ؟ التوفيق منة، و منحة، وهبة، وعطاء من الله -جل وعلا-؛ فما هي الوسائل التي تدرك بها التوفيق ؟

ذكر الله تعالى في كتابه ثلاثة طرق يدرك بها التوفيق ،وهي أصول جامعة للخير كله ينبثق منها، ويندرج تحتها أسباب لا حصر لها، لكنها أصول ثلاثة ذكر الله في هذه الآية سببين من أسباب التوفيق في كلام "شعيب" لقومه قال الله جل وعلا : (وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ).

ثم بين الطريق الذي تستمطر بها هذه المنحة، وتستجلب بها هذه المنة؛ فقال - سبحانه وبحمده- : (عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) هذان سببان من أسباب التوفيق: صدق التوكل على الله تعالى، والإنابة إليه.

رابعاً : من علامات توفيق الله للعبد ما يلي^١:

أولاً: إن أعظم ما يمكن أن يكون من علامات التوفيق هو التوفيق للعمل الصالح عموماً على اختلاف أنواعه بدنياً أو مالياً أو قولياً، والله عزوجل بيّن أن الطاعة والتوفيق لها هو الفوز العظيم فقال سبحانه { وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً } ، وجاء في الحديث الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: « إذا أراد الله بعبد خيراً استعمله » ، قالوا يا رسول الله وكيف يستعمله؟ قال: « يوفقه لعمل صالح قبل موته ».

وجاء أيضاً في الحديث عنه صلى الله عليه وسلم: عن أبي بكرة أن رجلاً قال يا رسول الله أي الناس خير؟ قال: « من طال عمره وحسن عمله » قيل فأَي الناس شر؟ قال: (من طال عمره وساء عمله).

ثانياً: أن يوفق العبد لطلب العلم الشرعي والتفقه في دين الله، ومن سلك طريق العلم فإنه على خير كثير، فقد جاء في الحديث الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من يُردِ الله به خيراً يفقهه في الدين).

ثالثاً: التوفيق لنشر الخير والدعوة إلى الله وإصلاح الناس؛ فإن هذه مهمة الأنبياء والرسل، وقد قال الله عزوجل: { وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ } وإن من توفيق الله للداعية والذي ينشر الخير أن يدعوهم للأصل العظيم والأمر الأول الذي لأجله خلقت السموات والأرض، وهو الدعوة إلى توحيد الله والتي كانت أساس دعوة الأنبياء والرسل عليهم السلام، لأن الدعوة إلى التوحيد والتحذير من الشرك ووسائله مما يحبه الله عزوجل، لأن التوحيد أعظم ما يطاع الله به في هذه الأرض والشرك أعظم عُصِي الله به في الأرض كما صح عنه صلى الله عليه وسلم، أنه سئل أي الذنب أعظم قال: « أن تجعل لله نداً وهو خلقك » .

١/ موقع طريق الإسلام – بتصرف .

رابعاً: أن يوفق العبد للتوبة من الوقوع في المعاصي حتى لو تكررت منه، أو يحال
بينه وبين المعاصي فلا يستطيع أن يصل إليها، فإن هذا من علامة التوفيق والسداد وإرادة الله به خيراً، كما قال جل وعلا {وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا} ، والله عزوجل يفرح بتوبة عبده. نسأل الله أن يمن علينا وعليكم بقبول توبتنا وأوبتنا إلى ربنا، وأن يحول بيننا وبين المعاصي وكل ما يبغض ربنا. فيا أيها الشاب الكريم إذا هممت بأن تعصي ربك وأعددت العدة لذلك وأغلقت الأبواب وأرخت الستور وحيل بينك وبين المعصية، فاحمد الله كثيراً واشكره كثيراً؛ فإن ربك يريد بك خيراً، فربك لما أراد بيوسف عليه السلام خيراً عصمه من الوقوع في الفاحشة وصرفها عنه، فقال سبحانه {كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ}

خامساً: ومن علامات التوفيق أن يوفق العبد لنفع الناس وقضاء حوائجهم، كما
صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أحب الناس إلى الله أنفعهم ..».

سادساً: أن يوفق العبد للعناية بكتاب الله تعلماً وتعليماً «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»
فهنيئاً لك يا من تدرس كتاب الله وتدرسه، ويا من تقرأه كل يوم. وأنت يا من فرطت في كتاب الله وتلاوته، تدارك نفسك فإن من علامة التوفيق أن توفق لتلاوة كتاب الله حتى تحوز على هذه الخيرية والأجر العظيم.

سابعاً: أن يوفق العبد للقيام بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما قال
جل وعلا {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ} وقال سبحانه {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} فعلق سبحانه الفلاح والتوفيق على من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر وجعل الخيرية في هذه الأمة لمن أمر ونهى، جعلنا الله وإياكم منهم. -أن يوفق للإحسان إلى أهله وزوجه «خيركم خيركم لأهله»

ثامناً: أن يوفق العبد لكریم الخصال وحسن الأخلاق وسلامة الصدر ومحبة الخير للمؤمنين، كما جاء في الحديث « **إن من خياركم أحاسنكم أخلاقاً** » وحسن الخلق أثقل شيء في الميزان، وأما سلامة الصدر من الغل والغش والحسد فهو من توفيق الله للعبد، لأنه من أسباب دخول الجنة كما جاء في الحديث والرسول صلى الله عليه وسلم قال: « **لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه** »

تاسعاً: عدم تدخل الإنسان فيما لا يعنيه كالاشتغال بتتبع أخبار الناس وما فعلوا وما أكلوا وما شربوا، والتدخل في الأمور التي لا يحسنها ونحو ذلك؛ فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: « **من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه** » وجاء في سير أعلام النبلاء في ترجمة الصحابي الجليل أبودجانة المجاهد البطل، أنه دخل عليه بعض أصحابه وهو مريض -ووجهه يتهلل- فقليل له: ما لوجهك يتهلل؟ فقال: ما من عمل شيء أو ثق عندي من اثنتين: كنت لا أتكلم فيما لا يعنيني، والأخرى فكان قلبي للمسلمين سليماً.

عاشراً: حسن عشرة الإنسان لأهله؛ فقد قال صلى الله عليه وسلم: « **خيركم خيركم لأهله و أنا خيركم لأهلي** » ، فالعبد إذا قضى حوائج أهله وقدمها على الأصدقاء والأصحاب والأقارب، كان موفقاً مسدداً؛ فحقهم أولى وأوجب من غيرهم. فيجب عليك أخي أن تعطي لكل ذي حق حقه، أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم. ومن علامات توفيق الله للعبد وهي:

العلامة الحادية عشرة: أن يُلهمَّ السداد والصواب في الأقوال والأعمال والمواقف، وهي الحكمة التي قال الله عنها سبحانه: { يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا }

العلامة الثانية عشرة: أن يوفق العبد ويسر له الجهاد والشهادة في سبيل الله فإنها من أفضل القربات وأعلى المقامات ؛ { وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ

أَجْرًا عَظِيمًا { كَيْفَ لَا وَاللَّهِ عَزَّوَجَلَّ قَالَ عَمَّنْ اسْتَشْهَدَ أَنَّهُ مُصْطَفَى وَمَخْتَارٌ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ { وَلَيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ } فَاتَّخَذَهُمُ اللَّهُ وَاصْطَفَاهُمْ وَأَنْعَمَ عَلَيْهِمُ بِالشَّهَادَةِ فِي سَبِيلِهِ. فَاللَّهُمَّ ارْزُقْنَا الشَّهَادَةَ فِي سَبِيلِكَ مُقْبِلِينَ غَيْرَ مُدْبِرِينَ. فَيَا عَبْدَ اللَّهِ بَعْدَ أَنْ تَعَرَّفْنَا عَلَى بَعْضِ عِلَامَاتِ تَوْفِيقِ اللَّهِ لِلْعَبْدِ، عَلَيْكَ بِأَنْ تُلْهِجَ بِالْדُّعَاءِ لِرَبِّكَ صَبَاحًا وَمَسَاءً بِأَنْ يُوَفِّقَكَ لِمَا يَحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ وَأَنْ يُوَفِّقَكَ لْخَيْرِ الْأَعْمَالِ وَأَفْضَلِهَا عِنْدَهُ سُبْحَانَهُ، فَاللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِمَا تَحِبُّ وَتَرْضَى يَا قَيُّوْمَ .

قال ابن الجوزي في صيد الخاطر: إذا تم علم الإنسان لم يدلَّ بعمله، إذا تم علم الإنسان لم ير لنفسه عملاً، وإنما يرى إنعام الموفق لذلك العمل، الذي يمنع العاقل أن يرى لنفسه عملاً، أو يعجب به، وذلك بأشياء: منها: أنه وفق لذلك العمل: حَبَّبَ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ {الحجرات: ٧} ومنها: أنه إذا قيس بالنعم لم يف بمعشار عشرينها، ومنها: أنه إذا لوحظت عظمة المخدم، احتقر كل عمل وتعبد، هذا إذا سلم من شائبة، وخلص من غفلة، فأما والغفلات تحيط به، فينبغي أن يغلب الحذر من رده، ويخاف العتاب على التقصير فيه، فيشتغل عن النظر إليه، وتأمل على الفطناء أحوالهم في ذلك: فالملائكة الذين يسبحون الليل والنهار، لا يفترون، قالوا: ما عبدناك حق عبادتك، والخليل . عليه السلام . يقول: وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي {الشعراء: ٨٢} وما أدل بتصبره على النار، وتسليمه الولد إلى الذبح،

ومن المنقول عن أمير المؤمنين "علي بن أبي طالب" -رضي الله- عنه أنه قال: "التوفيق خير قائد. خير ما يقودك، ويبلغك مقصدك؛ هو توفيق من الله جل وعلا.

وقد قال أبو سليمان الداراني رحمه الله : "إن السحاب يجري بالريح - يعني لولا الريح ما تحرك السحاب - ، وإن العباد إنما يجرون بالتوفيق". أي إنما يسيرون، ويتنقلون، ويتحولون بتوفيق من الله جل وعلا.

ويقول الإمام الشافعي رحمه الله : أصل العمل التوفيق ، وثمره التوفيق النجاح ، والمرء إن فقد التوفيق أو عدمه ؛ لم يهده الرأي إلا للضلال ، ولا يزيد عدم التوفيق غير عما "هكذا هي ثمرة فقد التوفيق ، فإذا فقد الإنسان التوفيق ؛ عمي ، و خذل ، ولم يصب خيراً .

وقال الإمام ابن القيم - رحمه الله - " أجمعوا على أن التوفيق ألا يملك الله إلى نفسك ، وأن الخذلان هو أن يُخلي بينك وبين نفسك ، فإذا كان كل خير فأصله التوفيق ، وهو بيد الله لا بيد العبد ، فمفتاحه الدعاء والافتقار ، وصدق اللجا والرغبة والرهبة إليه ، فمتى أعطي العبد هذا المفتاح ، فقد أراد الله أن يفتح له ، ومتى أضله عن المفتاح ، بقي باب الخير مُرتجاً دونه " . قال تعالى : وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ {النور: ٢١} .

أنا وأنت ، البشر كلهم ، مؤمنهم ، وكافرهم ، ينتقلون و يتقلبون بين أمرين : بين توفيق الله تعالى ، وبين خذلانه ، فلا غنى لهم عن حال من ، أو فلا يخرجون عن حال من هاتين الحالين . يقول -رحمه الله- : **" بل في الساعة الواحدة "** ؛ أي في كل لحظة ، بل في الساعة الواحدة العبد ينال نصيبه من هذا ، ومن هذا ، من التوفيق ، والخذلان في كل لحظة . وهذا يبين أن التوفيق أمر لا يستغنى عنه في لحظة من لحظات المعاش ؛ إذ إن فقد التوفيق في لحظة معناه الخسار ، والخذلان . فحاجة الإنسان للتوفيق ؛ لا تنقطع ، ولا تتوقف ، ولا تقتصر على زمان ، أو مكان ، أو مرحلة من العمر .

بل ما دمت ذا عرق ينبض ، وعين تلاحظ ، ونفس يتردد ؛ فأنت بحاجة ، وضرورة إلى توفيق من رب العالمين . إذا لم يوفقك ؛ فإنك مخذول . فلهذا لا تخلوا ساعة ، ولا لحظة من ضرورة الإنسان التوفيق من رب العالمين ؛ يوفقه ، ويسدده . ويعينه ويلهمه الصواب في أقواله ، وأعماله .

خامساً : مجالات التوفيق ؛ إن التوفيق لا يقتصر على جانب جوانب الحياة، و لا موضع من مواضع العمل ، إذ كثير من الناس يظن أن التوفيق هو مثلاً: في الاختبارات، أو في المهمات، أو في النجاح في بعض جوانب الحياة، أما ماعدا هذا فهو لا يحتاج إلى التوفيق، وهذا خطأ، وخطأه ظاهر؛ إذ إن عدم التوفيق؛ هو عدم إدراك المطلوبات، **من فقد التوفيق لم يصب شيئاً. من فقد التوفيق لم يدرك مطلوباً. من فقد التوفيق لا يحصل على مرغوب، ومحبوب؛ ولهذا كونك تشاهد، وتنظر حاجتك إلى التوفيق في كل لحظة مما يحفزك، ويشد نشاطك إلى النظر في أسباب التوفيق، وإدراكها، وتحصيلها.**

إن العبد محتاج إلى التوفيق؛ لأن كل إصابة في الدنيا، وكل سعادة في الحياة، وكل فوز في هذه الدنيا؛ إنما يكون من توفيق الله -تعالى- ولذلك تأتي النصوص صريحة مبينة؛ أنه من الله لا من غيره، فيقول ربنا -جل وعلا-: (إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ) سورة آل عمران: (١٦٠) وهو نوع من التوفيق (فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ) يرفع يده، ونصره، ويمنع مدده -جل وعلا- عنكم (وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ) فلا ناصر لكم.

إذا أنت محتاج إلى توفيق الله -تعالى-، وفيما أصبت؛ أصبت بالله، ولم تصب بنفسك. يقول الله لرسوله الذي بالغ في الجهد، والاجتهاد، والبذل، و أخذ بالأسباب يقول له في غزوة أحد: (وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى) فهو الذي أصاب، وهو الذي نصر، وهو الذي أيد، وهو الذي وفق لإدراك ما نلت، وحزت من الخيرات.

إذا رمت سهام العزم صائبة فما رميت بل التوفيق رامها

إن التوفيق عنوان السعادة في الدنيا والآخرة، فمن أدرك التوفيق؛ أدرك الفوز الكبير، والنجاح العظيم.

سادساً: في بيان أسباب غلق باب التوفيق^١:

يقول النابلسي: " أغلق باب التوفيق عن الخلق في ستة أشياء: اشتغالهم بالنعمة عن شكرها، و رغبتهم في العلم و تركهم العمل، و المسارعة إلى الذنب و تأخير التوبة، والاغترار بصحبة الصالحين و ترك الاقتداء بفعالهم، وإدبار الدنيا عنهم و هم يتبعونها، و إقبال الآخرة عليهم و هم معرضون عنها .

١/ يغلق باب التوفيق إذا اشتغلنا بالنعمة: ولم نشتغل بشكرها، النبي عليه الصلاة والسلام كانت تعظم عنده النعمة مهما دقت، أكلت، هناك إنسان لا يستطيع أن يأكل، يتغذى بالسيروم، قضيت حاجتك، هناك إنسان يحتاج من يأخذه إلى الحمام، نعمة كبيرة، عندك أولاد، هناك إنسان ما عنده أولاد، عندك زوجة، هناك إنسان ما عنده زوجة، فلذلك من علامات التوفيق أن تشتغل بشكر النعمة لا بالنعمة نفسها.

٢/ العلم أصبح نوعاً من التجارة : ما أدخل بحساباته أبداً تطبيق ما يعلم، لكن أصبح العلم عنده هدفاً، العلم يعمل مكانة، يعمل شهادة، يعمل لقباً، يعمل تعظيم الناس، فالعلم أصبح نوعاً من التجارة، من تعلم العلم ليصرف وجوه الناس إليه فليتهجى إلى النار، أي ينتزع إعجاب الناس. كنت أقول دائماً: إذا أعجبك علمك فهذا من شهوة العالم، العالم له شهوة، أن يعجبه علمه، وإذا أعجبك إخوانك فهذا من إخلاص العالم،

والله حدثني أخ قال: دخل أستاذ في معهد شرعي، وألقى درساً عن التواضع، شيء لا يصدق، جاء بنصوص، جاء بآثار، جاء بقصص، شيء لا يحتمل من شدة إعجاب الطلاب بهذا الدرس، هو دخل إلى غرفة المدرسين بشعور بالاستعلاء والكبر، ما عنده نفس أن يتكلم مع أحد، ويعلمهم التواضع، وهو ليس متواضعاً، أخطر شيء في الأمة

١/ أحاديث رمضان - غلق باب التوفيق عن الخلق في ستة أشياء - موسوعة النابلسي - بتصرف .

أن ينفصل العلم عن العمل، أوضح شيء طيب يدخن، إن حدثك عن التدخين يفوق الناس جميعاً عن مضاره، وهو يدخن،

٣/المسارعة إلى الذنب وتأخير التوبة : الذنب براق، هناك شهوة آنية، هناك شيء يدفع الإنسان إلى أن يقترب الذنب، و التوبة عنده وهم، أنه بعد حين يحج بيت الله الحرام، و تغفر له ذنوبه، ومن يضمن أن ينتظر إلى سنة أو سنتين ؟ حركته نحو الذنب والتوبة والمعاهدة لله عز و جل فيها تباطؤ.

٤/ الاغترار بصحبة الصالحين وترك الاقتداء بفعالهم : الآن يوجد حالة دقيقة جداً، وهي منتشرة في معظم بلاد المسلمين، الاغترار بصحبة الصالحين، وترك الاقتداء بفعالهم، يجب أن يدعي فلان على عقد القران، جاء فلان، وألقى كلمة رائعة، لكنه ليس مطبقاً لشيء من دعوة فلان، يعيش على مزاجه، إذا دعا العلماء إلى عقد القران كأنها وردة يزين بها صدره، ولكن في سلوكه اليومي لا يوجد التزام أبداً، ولا يوجد انضباط، ولا يوجد تطبيق، لكن كلما التقى بعالم يكيل له المديح أنواعاً متنوعة، ويثني عليه، يا سيدي نحن تباركنا بكم، تباركت فيه، ولست مطبقاً شيئاً من كلامه !!! هذه حالة موجودة.

٥/ إدبار الدنيا عنهم وهم يتبعونها : الحديث عن المشاريع والعملات، والتجارة والاستيراد، تجد عشر ساعات، وهو ناس نفسه، احك له كلمة عن الدين تراه يريد أن ينام، ويقول: والله أرجو ألا تؤاخذني، لا يوجد عندي وقت أجلس معك جلسة أخرى، لمّا دخلت بموضوع ديني ينصرف، أما في الموضوع الدنيوي يسترسل معك بلا حدود،

٦/إقبال الآخرة عليهم، وهم معرضون عنها : والله مرة كنت في بلد في أمريكا، دعاني مركز إسلامي إلى إلقاء محاضرة، دعاني أول سنة اعتذرت، الثانية، الثالثة، الرابعة وعدته أن آتية، فالموعد الساعة التاسعة ليلاً، وبين مكان وجودي، والمكان المدعو

إليه مئة وستون كيلو متراً، وبدأ الثلج يتساقط، خطر في بالي خاطر أن أعتذر، فلما اتصلت هاتفياً، واعتذرت شعرت أن الدنيا قامت، ولم تقعد، قال لي: أربع سنوات ننتظر فلبيت الدعوى، ثم وصلت الساعة التاسعة والنصف، قال لي إنسان كلمة والله أموت ولا أنساها، قال لي: هل تعلم كم من ميل قطعته لأسمع هذه المحاضرة ؟ قلت له: كم ؟ قال لي: ستمئة ميل، ألف كيلو متر، قلت: بالشام الدين ميسور، بالمساجد يوجد دروس، يوجد خطب، يوجد كاسيتات، يوجد أشرطة، من شدة التصحر الروحي هناك قال لي: والله ألف كيلو متر، أي ستمئة ميل، قاد مركبته ليستمع لهذه المحاضرة.

أنا قلت في نفسي: والله لو اعتذرت، وعلمت هذه المعلومة أموت، ولا أنسى هذا الخطأ، فنحن العلم هنا ميسور، الجوامع مفتوحة، العلماء كثر، هنا إقبال الآخرة عليهم، وهم معرضون عنها، فإقبال الدنيا إقبال الآخرة في هذه البلدة، والناس معرضون عنها.

وقال باحث آخر عن أسباب عدم التوفيق^١:

٧/ **الظلم وكل ظلم له شؤم يلزمه ولو بعد حين** ، ويظهر الشؤم في انقباض القلوب عن الظالمين ، ولا بد إلا أن تكون نهاية الظالم هي الفشل في الدنيا وأحياناً يمتد الشؤم إلى أسرته أو من حوله ، وأكل أموال الناس بالباطل واستغلال حاجات المستضعفين من أبرز مظاهر الظلم ومن الظلم التعامل بالربا واحتكار حاجات الناس واستغلال حاجات المحتاجين في الأزمات والمحن وبناء سعادتك على شقاء الآخرين.

٨/ **شؤم المعاصي والآثام** ، وهذه تولد شؤماً واضحاً في حياة أصحابها شعوراً بالشقاء ، ولا شيء أشد إيلاًماً من الإحساس بالشقاء ولو توفرت أسباب السعادة لأصحابها ولا أهمية لسعادة لا يشعر أصحابها بها..

^١/ سر عدم التوفيق – الوقع الرسمي للدكتور محمد فاروق بنبهان .

ولا يخفى أن للمعاصي آثارا عظيمة في حدوث المصائب، وإزالة النعم والسرور، وجلب النقم والشرور، وتضييق الرزق.. وكلما كثرت الذنوب اشتدت الخطوب، وضاق العيش، وأظلم القلب، وفرح الشيطان، وغضب الرحمن..

وأذكرك أيها الحبيب.. هنا بما قاله الله عز وجل: "وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ".. ويقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في كتاب الداء والدواء: (ومن عقوبات الذنوب أنها تزيل النعم وتحل النقم، فما زالت عن العبد نعمة إلا لسبب ذنب، ولا حلت به نعمة إلا بذنب).. وكما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (ما نزل بلاء إلا بذنب، ولا رفع بلاء إلا بتوبة)..

٩/ **شؤم عقوق الوالدين** وهو ينعكس بصورة حتمية على حياة العاقين فتتنقبض قلوب الخلق عنهم وتضييق بهم ، وقلما يوفقون في عمل أو تجارة أو زواج ، وغالبا ما تكون حياتهم مليئة بمشاعر الضيق والشقاء ..

البشارة الحادية عشرة

الإخلاص في طلب الآخرة يجلب المزيد من العطاء الإلهي في الدنيا

عمدة هذه البشارة قوله تعالى : ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ سورة الشورى (٢٠).

أولاً: تفسير موضع الشاهد : ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾ :

قال ابن عاشور رحمه الله تعالى : والحرث في هذه الآية تمثيل للإقبال على كسب ما يَعُدُّه الكاسب نفعاً له يرجو منه فائدة و افرة بإقبال الفلاح على شق الأرض وزرعها ليحصل له سنابل كثيرة وثمار من شجر الحرث ، ومنه قول امرئ القيس :

كَلَانَا إِذَا مَا نَالَ شَيْئاً أَفَاتَهُ وَمَنْ يَخْتَرْتَ حَرْثِي وَحَرْثُكَ يَهْزِلُ

ومعنى { يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ } يبتغي عملاً لأجل الآخرة . وذلك المرید : هو المؤمن بالآخرة لأن المؤمن بالآخرة لا يخلو عن أن يريد الآخرة ببعض أعماله كثيراً كان أو قليلاً ، والذي يريد حرث الدنيا مراد به : من لا يسعى إلا لعمل الدنيا بقرينة المقابلة بمن يريد حرث الآخرة ، فتعيّن أن مرید حرث الدنيا في هذه الآية : هو الذي لا يؤمن بالآخرة .

ونظيرها في هذا قوله تعالى : ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ سورة هود (١٥ ، ١٦) .

ألا ترى إلى قوله : { لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ } [سورة هود : ١٦] وقوله تعالى (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا * وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا) سورة الإسراء (١٨ ، ١٩) .

وفعل (نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ) **يحتمل معنيين** : أن تكون الزيادة في ثواب العمل ، كقوله : { يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ } [البقرة: ٢٧٦] وقوله : { مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ } [البقرة: ٢٦١] .

وعلى هذا فتعليق الزيادة بالحرث مجاز عقلي علقت الزيادة بالحرث وحقها أن تعلق بسببه وهو الثواب ، فالمعنى على حذف مضاف . وأن تكون الزيادة في العمل ، أي نقدر له العون على الازدياد من الأعمال الصالحة ونيسر له ذلك فيزداد من الصالحات . وعلى هذا فتعليق الزيادة بالحرث حقيقة فيكون من استعمال المركب في حقيقته ومجازه العقليين.

ومعنى { نُؤْتِيهِ مِنْهَا } : نقدر له من متاع الدنيا من : مدة حياة وعافية ورزق لأن الله قدر لمخلوقاته أرزاقهم وأمدادهم في الدنيا .

وجعل حظ الآخرة خاصاً بالمؤمنين كما قال : { وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ } [الإسراء: ١٩] .

فلا يتوهمن متوهم أن هذه الآية ونحوها تحجر تناول المسلم حظوظ الدنيا إذا أدى حق الإيمان والتكليف ، ولا أنها تصدّ عن خلط الحظوظ الدنيوية مع حظوظ الآخرة إذا وقع الإيفاء بكليهما ، ولا أن الخلط بين الحظين ينافي بالإخلاص كطلب التبرّد مع الوضوء وطلب الصحة مع التطوع بالصوم إذا كان المقصد الأصلي الإيفاء بالحق الديني .

وقد تعرض لهذه المسألة أبو إسحاق الشاطبي في فصل أول من المسألة السادسة من النوع الرابع من كتاب «المقاصد» من كتاب «الموافقات» . وذكر فيها نظرين مختلفين للغزالي وأبي بكر بن العربي ورجح فيها رأي أبي بكر بن العربي فانظره.

ثانياً : سؤال وجهه أحدهم للجنة الفتوى في الشبكة الإسلامية:

ومما يتعلق بالحديث عن هذه البشارة سؤال وجهه أحدهم للجنة الفتوى في الشبكة الإسلامية حيث يقول :

سمعت حلقة لبعض المشايخ يتكلم فيها عن الإخلاص ويقول فيها: إن من اعتمر لكي يرزقه الله طفلاً ورزق الطفل، فإنه لا يحسب له ثواب العمرة؛ لأنه اعتمر من أجل حظ النفس، وقد حصل له ذلك، فحينها ليس له ثواب. فما رأيكم في ذلك؟ وما هو ضابط حظ النفس الذي ينقص الثواب ويحبطه؟ فهل كل من عمل طاعة من أجل أن يرزقه الله مصلحة دنيوية فهل حينها يقل ثواب عمله ولا يكون خالصاً؟

الإجابة : الحمد لله، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

ففعل العبادة من أجل الحصول على غرض دنيوي من غير التفاتٍ للثواب الآخروي يعتبر من العمل من أجل الدنيا الذي قال الله تعالى فيه: (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ). {هود: ١٥، ١٦}، وهذا لا ثواب لصاحبه؛ قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: من عمل صالحاً التماس الدنيا، صوماً أو صلاة، أو تهجدًا بالليل، لا يعملها إلا التماس الدنيا، يقول الله: أوفيه الذي التمس في الدنيا من المثابة، وحبط عمله الذي كان يعملها التماس الدنيا، وهو في الآخرة من الخاسرين. وهكذا روي عن مجاهد، والضحاك، وغير واحد. اهـ. ويدل على ذلك أيضاً قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: (فَمَنْ عَمِلَ عَمَلًا لِلْآخِرَةِ لِلدُّنْيَا لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي الْآخِرَةِ نَصِيبٌ). رواه أحمد في المسند، وابن حبان في صحيحه، وصححه الألباني، وقد بوب شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في كتابه "التوحيد" باباً فقال:

"بابُ من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا". وذكر فيه تلك الآية الكريمة، والله تعالى يريد منا أن تكون هممتنا مصروفة إلى ثوابه الأخروي، كما قال تعالى: (تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ). {التوبة: ٦٧}. والمعنى: {تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا} أي: متاعها، ويعني به ما أخذ من فدية الأسرى {وَاللَّهُ يُرِيدُ} لكم {الْآخِرَةُ} وما فيها من نعيم مقيم.

ولكن ليس كل عمل صالح التفت قلب فاعله إلى غرض دنيوي داخلاً في هذا الوعيد والذم، وقد فصل أهل العلم في هذه المسألة وبينوا الضابط الذي يدخل في هذا الوعيد من غيره.

ثالثاً: الأعمال التي يعملها العبد ويستحضر فيها ثواب الدنيا على قسمين:

القسم الأول: أن يكون العمل الذي عمله، واستحضر فيه ثواب الدنيا وأراده، ولم يرد ثواب الآخرة، لم يرغب الشرع فيه بذكر ثواب الدنيا، مثل: الصلاة، والصيام، ونحو ذلك من الأعمال والطاعات، فهذا لا يجوز له أن يريد به الدنيا، ولو أراد به الدنيا، فإنه مشرك ذلك الشرك.

والقسم الثاني: أعمال رتب الشارع عليها ثواباً في الدنيا، ورغب فيها بذكر ثواب لها في الدنيا، مثل: صلة الرحم، وبر الوالدين، ونحو ذلك، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «من سره أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه»، فهذا النوع إذا استحضر في عمله حين يعمل ذلك العمل، استحضر ذلك الثواب الدنيوي، وأخلص لله في العمل ولم يستحضر الثواب الأخروي، فإنه داخل في الوعيد، فهو من أنواع هذا الشرك، لكن إن استحضر الثواب الدنيوي والثواب الأخروي معاً، له رغبة فيما عند الله في الآخرة ويطمع في الجنة، ويهرب من النار، واستحضر ثواب هذا العمل في الدنيا، فإنه لا بأس بذلك؛ لأن الشرع ما رغب فيه بذكر الثواب في الدنيا إلا للحرص عليه، كما قال عليه الصلاة والسلام: «من قتل قتيلاً فله سلبه»، فمن قتل حربياً في الجهاد لكي يحصل على السلب، ولكن قصده من الجهاد الرغبة فيما عند الله -جل وعلا- مخلصاً

فيه لوجه الله، لكن أتى هذا من زيادة الترغيب له ولم يقتصر على هذه الدنيا، بل قلبه معلق أيضاً بالآخرة، فهذا النوع لا بأس به ولا يدخل في النوع الأول مما ذكره السلف في هذه الآية. اهـ^١.

وعلى هذا التفصيل؛ فإن من اعتمر وليس في نيته إلا غرض دنيوي كالحصول على مولود فإنه يخشى أن لا يؤجر على عمرته، وإن كان في نيته الغرض الدنيوي والثواب الأخروي فمن أهل العلم من قال لا ثواب به، ومنهم من قال العبرة بما غلب، فإن غلب الغرض الدنيوي فلا ثواب وإلا ففيه الثواب، قال السيوطي في الأشباه والنظائر: وَمِنْ نَظَائِرِ ذَلِكَ: مَسْأَلَةُ السَّفَرِ لِلْحَجِّ وَالتَّجَارَةِ، وَالَّذِي اخْتَارَهُ ابْنُ عَبْدِ السَّلَامِ أَنَّهُ لَا أَجْرَ لَهُ مُطْلَقًا، تَسَاوَى الْقَصْدَانِ أَمْ لَا، وَاخْتَارَ الْغَزَالِيُّ اعْتِبَارَ الْبَاعِثِ عَلَى الْعَمَلِ، فَإِنْ كَانَ الْقَصْدُ الدُّنْيَوِيَّ هُوَ الْأَغْلَبُ لَمْ يَكُنْ فِيهِ أَجْرٌ، وَإِنْ كَانَ الدِّينِيَّ أَغْلَبَ كَانَ لَهُ الْأَجْرُ بِقَدْرِهِ، وَإِنْ تَسَاوَيَا تَسَاقَطَا، قُلْتُ: الْمُخْتَارُ قَوْلُ الْغَزَالِيِّ؛ فَفِي الصَّحِيحِ وَغَيْرِهِ: "أَنَّ الصَّحَابَةَ تَأْتَمُّوْا أَنْ يَتَّجِرُوا فِي الْمَوْسِمِ بِمَنْى فَتَزَلَّتْ: {لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ} [البقرة: ١٩٨] فِي مَوَاسِمِ الْحَجِّ ... اهـ.

رابعاً : خمس مسائل حول الحصول على أجري الدنيا والآخرة بإخلاص النية^٢ :

السؤال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. أشكل عليّ موضوع النية، فقد قرأت عدة محاضرات، وقرأت فيها مراتب النية الثلاث :

الأولى : بأن يكون العمل كله خالصاً لله لا تبتغي به شيئاً في الدنيا،

والمرتبة الثانية: أن يكون لله؛ تبتغي به ثواب الآخرة وعاجل ثمرته في الدنيا،

١/ شرح كتاب التوحيد - للشيخ: صالح آل الشيخ .

٢/ مقال بعنوان : الحصول على أجري الدنيا والآخرة بإخلاص النية - الشيخ خالد بن عبدالمعزم الرفاعي - موقع طريق الإسلام وشبكة الألوكة.

والمرتبة الثالثة: أن تعمل العمل للدنيا فقط، وقرأت قوله تعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ} [هود: ١٥]، وقوله: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ} [الشورى: ٢٠]، ولكن حالت الذنوب بيننا وبين فهم مقصد الله في هذه الآيات؛ فأرجو منكم توضيح هذا الأمر.

كذلك قرأت عن موضوع الصدقة؛ حيث قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «داووا مرضاكم بالصدقة»^١، وذكروا أن مَنْ يتصدق فقط لكي يشفي المريض فلا أجر له في الآخرة.

السؤال الأول: كيف نوفق بين أن مَنْ يتقرب لله بعبادة الهدف منها الاستعانة على الدنيا لا أجر له في الآخرة ، وبين ما ورد من أفعال النبي - صلى الله عليه وسلم - والصحابة؛ فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم: يصلي صلاة الاستسقاء لطلب المطر وهو رزق في الدنيا. وجود صلاة الحاجة. وصية الرسول صلى الله عليه وسلم لابنته فاطمة عندما طلبت خادماً - وهو أمر دنيوي - بالأذكار قبل النوم. قصة

١/ حسنه الألباني في صحيح الترغيب وصحيح الجامع ،وقد حكم الغماري بصحته، وألف فيه رسالة سماها: الزواجر المفلفة لمنكر التداوي بالصدقة. وقد احتج بالحديث في الترغيب في الصدقة عن المرضى كثير من أهل العلم منهم: ابن الحاج في المدخل، وابن مفلح في الفروع، وقال بعد ذكر تضعيفه حديث البيهقي الطويل بسبب موسى بن عمير: وجماعة من أصحابنا وغيرهم يفعلون هذا، وهو حسن ومعناه صحيح. انتهى. وقد احتج بالحديث أيضاً السفاريني في غذاء الألباب شرح منظومة الآداب.

ويشهد للحديث ما ثبت من الأدلة الشرعية في دفع البلاء بالصدقات، ومن أصح ذلك حديث الصحيحين في الكسوف قال فيه: فإذا رأيتم ذلك فادعوا الله وكبروا وصلوا وتصدقوا. قال ابن دقيق العيد في شرحه: وفي الحديث دليل على استحباب الصدقة عند المخاوف لاستدفاع البلاء المحذور. انتهى.

وقال شيخ الإسلام: الدعاء سبب يدفع البلاء، فإذا كان أقوى منه دفعه، وإذا كان سبب البلاء أقوى لم يدفعه لكن يخففه ويضعفه، ولهذا أمر عند الكسوف والآيات بالصلاة والدعاء والاستغفار والصدقة. انتهى. نقلا عن إسلام ويب (أقوال العلماء في حديث: (داووا مرضاكم بالصدقة) رقم الفتوى: ٩٥١٢٧).

الصحابي الذي أسر ابنه، فأمره النبي - صلى الله عليه وسلم - بالإكثار من: لا حول ولا قوة إلا بالله. فهل تتنافى هذه الشواهد مع أنه يمكن عمل قربات لله بهدف الحصول على منفعة في الدنيا؟

السؤال الثاني: ابني مريض؛ كيف تكون نيتي إذا أردتُ أن أطرق باب الصدقة؟!

السؤال الثالث: إذا احتجت أمرًا دنيويًا، وأردتُ أن أستعينَ بالله على قضائه، ماذا يجب أن أعمل؟ وماذا يجب أن أنوي بهذا العمل؟

السؤال الرابع: كيف نوفق بين التوكل على الله عند مباشرة أعمال الدنيا؛ رغبةً في التوفيق بها، وطلب ذلك من الله، وبين الإخلاص؟

السؤال الخامس : موضوع تصحيح النية كيف نتأكد منه؟ فكنتُ أنوي طلب العلم (هندسة مثلاً) حبًا وفهمًا لهذا العلم، ولطلب الرزق بذلك العلم أيضًا، وكان يتسرب للنفس موضوع الشهرة، فكيف أصحح النية؟! وجزاكم الله خيرًا.

الإجابة: الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعدُ: فما دَفَعَكَ لتلك الأسئلة أنه غاب عنك معنًى كبيرٌ؛ وهو خاصية العمل الصالح في الإسلام؛ فهو يُثمر الخيرات والبركات، ليس في الآخرة وحسب، وإنما أيضًا في الدنيا، وذلك أن الله تعالى هو الشكور الذي يَشْكُرُ القليلَ من صالح العمل، ويعفو عن الكثير من الزَّلَل، ولا يضيع أجر المحسنين، وجزاؤه سبحانه لعبده المؤمن لا يقتصر على الآخرة، بل يكون في الدنيا أيضًا، فيدخر للمؤمن حسناته، وثواب أعماله إلى الآخرة؛ لتحقيق شرط القبول؛ وهو أنه عَمَلٌ لله، ويجزي بها مع ذلك أيضًا في الدنيا؛ من تيسير حالٍ، وسهولةٍ في الرزق، وبركةٍ في الأبناء، وشفاءٍ للمرض ببركة الصدقة، وحفظٍ للذرية بصلاح الوالد، إلى غير ذلك. ولا غرابة من جزائه بالحسنة في الدنيا والآخرة، وقد وَرَدَ الشرعُ به، فيجب اعتقاده؛ فعن أنس بن مالك، أنه حدث عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: **(إن الكافر إذا عمل حسنةً أطعم بها طعمةً من**

الدنيا، وأما المؤمن فإن الله يدخر له حسناته في الآخرة، ويعقبه رزقاً في الدنيا على طاعته»، وفي رواية: «إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة يعطى بها في الدنيا، ويجزى بها في الآخرة، وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل لله تعالى في الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم يكن له حسنة يجزى بها)؛ رواه مسلم.

فالحديث ظاهرٌ في أنَّ الكافر يجازى بحسناته في الدنيا فقط، أما المؤمن فيجازى بحسناته في الدنيا والآخرة معاً، فالذي أذهب طيباته في الدنيا، واستمتع بها هو الكافر؛ لأنه لا يجزى بحسناته إلا في الدنيا خاصة، بخلاف المؤمن، ويشهد لهذا أيضاً قوله تعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ} [الشورى: ٢٠].

وقوله تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [النحل: ٩٧]، وقوله تعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا} * وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا} [الإسراء: ١٨، ١٩]؛

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره: {وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ} [آل عمران: ١٤٥]؛ أي: سنعطهم من فضلنا، ورحمتنا في الدنيا والآخرة بحسب شكرهم وعملهم".

وتأمل - رعاك الله - تلك الآية العظيمة، وكيف سخر الله اثنين من رسله أحدهما من أولي العزم؛ لبناء جدارٍ لذرية رجلٍ صالح؛ ببركة عمل أبيهم، وهذا أمرٌ دنيوي خالص؛ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا} [الكهف: ٨٢]؛ قال الحافظ ابن كثير في تفسيره: "فيه دليلٌ على أن الرجل الصالح يحفظ في ذريته، وتشمل بركة عبادته لهم في

الدنيا والآخرة بشفاعته فيهم، ورفع درجاتهم إلى أعلى درجة في الجنة، لتقر عينه بهم، كما جاء في القرآن، ووردت به السنة، قال سعيد بن جبير عن ابن عباس: حفظاً بصلاح أبيهما، ولم يذكر لهما صلاحاً.

فلعلك تجد فيما ذكرته لك الجواب عن أسئلتك؛ فتصدق لله سبحانه طمعاً في رحمة الكريم الشكور أن يداوي ابنك بها، فالمهم أن يكون العمل خالصاً لله، ومن هذا الباب صلاة الحاجة، وصلاة الاستخارة، وغيرها مما ذكرت، ومما لم تذكر، فكما أن للمعصية شؤماً، ومنه: محق البركة، وحرمان الرزق، فكذلك للطاعة بركة، ومنها: سعة الرزق.

وتأمل هذا النقل للإمام الشاطبي - الموافقات (٣ / ٧) - "إن الأعمال بالنيات، والمقاصد معتبرة في التصرفات من العبادات والعادات، والأدلة على هذا المعنى لا تنحصر، وكيفيك منها أن المقاصد تفرق بين ما هو عادة وما هو عبادة، وفي العبادات بين ما هو واجب وغير واجب، وفي العادات بين الواجب والمندوب، والمباح والمكروه والمحرم، والصحيح والفساد، وغير ذلك من الأحكام، والعمل الواحد يقصد به أمر فيكون عبادة، ويقصد به شيء آخر، فلا يكون كذلك". اهـ

قال ابن نجيم في "الأشباه والنظائر" (١٩ - ٢٦): "وعلى هذا قرروا حديث «إنما الأعمال بالنيات» أنه من باب المقتضى؛ إذ لا يصح بدون التقدير لكثرة وجود الأعمال بدونها، فقدروا مضافاً؛ أي: حكم الأعمال. وهو نوعان: أخروي، وهو الثواب واستحقاق العقاب. ودنيوي: وهو الصحة والفساد. وقد أريد الأخروي بالإجماع؛ للإجماع على أنه لا ثواب ولا عقاب إلا بالنية؛ وساق ابن نجيم الأمثلة على ذلك في الأفعال والتروك. ثم قال: "ولا تشترط للثواب صحة العبادة، بل يثاب على نيته، وإن كانت فاسدةً بغير تعمده؛ كما لو صلى محدثاً على ظن طهارته". والله أسأل أن يرزقنا عملاً صالحاً، وقصدًا صائباً.

خامساً : ضوابط التوفيق بين العمل الدنيوي والعمل الأخروي : ولكن حتى لا يتصور البعض أن القضية إمضاء الوقت في الكسب، والتجارة، والوظائف، والدراسة، لا بد أن نعلم بأن الشريعة قد جعلت ضوابط حتى لا يحصل طغيان ولا اختلال في الميزان، فما هي هذه الضوابط؟

١/ ينبغي أن يعمل الإنسان أو يدرس في مجال مباح، فإذا عمل في مجال محرم أو دراسة محرمة، أو إجارة محرمة، أو وظيفة محرمة، أو تجارة محرمة، فهو خارج عن هذه المسألة التي ذكرناها خروجاً كلياً، وطريق دنياه توصله إلى جهنم. والأمر واضح وجلي.

المكاسب المحرمة والأعمال المحرمة طريق دنيوي لا يتحد مع طريق الآخرة بل يؤدي إلى جهنم وبئس المصير.

٢/ إنه لا بد من تطبيق أحكام الشريعة في الأمور الدنيوية، وهذه مسألة ملفتة للنظر حقاً في هذه الشريعة، أن الشريعة ما جاءت بأحكام في الصلاة والصيام والحج والذكر والدعاء وتلاوة القرآن فقط، وإنما قد جاءت بأحكام متعددة في النكاح والطلاق والحضانة والرضاع والبيع والشراء والوكالة والكفالة والرهن والإجارة والحوالة، وغير ذلك والبناء وأحكام البناء والطرق في الشريعة الإسلامية، فهذه أمور دنيوية، ولكن جاءت فيها أحكام شرعية؛ لأن الله أعلم بما يصلح الخلق، ليس في آخرتهم فقط، وإنما في دنياهم أيضاً، ولأن الخلق يظلمون، والإنسان ظلوم جهول، فإذا أوكل إلى الإنسان أمر دنياه يشرّع فيه ما يشاء من القوانين ظلم وبغى، ولذلك جاءت الشريعة بأمور محددة، وتدخلت الشريعة في الأمور الدنيوية، وصار البيع والشراء والاقتصاد والعلاقات منضبطة بالشريعة، في الإسلام الشريعة تضبط هذه الأشياء، فمن عمل في الدنيا، فلا يجوز له أن يعمل في محرم، ولا يبيع محرماً كخمر وخنزير، ولا يغش ولا يحتكر.

٣/ من الشروط والضوابط: أن يؤمن الإنسان بحقارة الدنيا وتفاهتها مع عمله فيها وسعيه فيها، في الحديث (ألا إن الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالم أو متعلم).

رواه الترمذي وحسنه. ملعونة: أي مبغوضة من الله، استثنى إلا ذكر الله وما والاه وما كان في معناه من أعمال البر والخير، ويدخل في ذلك التكسب للإنفاق على النفس والأولاد، والصدقة من المال المكتسب.

قال: كأنه قيل: الدنيا مذمومة لا يحمد فيها إلا ذكر الله وعالم أو متعلم وما كان يخدم قضية الآخرة، مما جاءت الشريعة بالأمر به من وجوب النفقة على النفس والأهل، وأداء الحقوق الشرعية.

تدخلت الشريعة في أمور اللباس مع أنه أمر دنيوي، في لبس الحرير والذهب محرم على الرجال، في النفقة أوجبها حتى على البهائم، فإذا كان عند الإنسان بهائم فيجب عليه شرعاً أن ينفق عليها، وإذا كان لا يريد أو قصرت النفقة فليطلقها ولا يتركها عنده، فكل إنسان مسئول عن نفقة البهائم التي عنده، حتى العصافير في أقفاصها.

لقد سئل الإمام أحمد رحمه الله أيكون الرجل زاهداً في الدنيا وعنده مائة ألف؟ قال: "نعم، إذا لم يفرح"، بشرط أن لا يفرح إذا زادت ولا يحزن إذا نقصت.

إذاً يمكن أن يكون زاهداً ولو كان عنده الملايين، وإذا وصل الإنسان وهو يتعامل بالأموال في الدنيا والوظائف لدرجة أن يكون المال عنده بمثابة الحمار الذي يركبه في تنقله، والكنيف الذي يدخل فيه لقضاء حاجته فليس على هذا خوف من التعلق بالدنيا. فهو يحصل المال للحاجة، مثل اتخاذ المرحاض للحاجة، لا بد من المرحاض، ولكن القلب ليس متعلق بالمرحاض، لا بد من اتخاذ وسيلة نقل، كانت عند الأولين وكثير من الآخرين الدواب الحمير، ولكن القلب ليس متعلقاً بالحمار، ولا محباً له، وغالياً فيه، وينام على ذكره، ويصحو عليه، ويراه في منامة، كلا. فإذا كان

الإنسان يعمل في الدنيا وقلبه ليست متعلقاً فيها، وإنما يعمل لأنه لا بد من تحصيلها لنفقاته وعياله فعند ذلك لا خوف عليه.

٤/ من الشروط والضوابط: عدم الانشغال بالدنيا عن الآخرة، قال الله تعالى:
(رَجَالٌ لَا تُلِهِمُ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ) (سورة النور ٣٧).

لم يحرم التجارة ولم يحرم البيع، بل قال: (وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ) (سورة البقرة ٢٧٥). لكن ما الذي ذمه؟ ذم الإلهاء ولم يذم التجارة، ذم الإلهاء، وأثنى على عباده الذين (رَجَالٌ لَا تُلِهِمُ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَ إِقَامِ الصَّلَاةِ) (سورة النور ٣٧).

ليس فقط أن يغلق الدكان للصلاة فقط، لا، عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وذكر الله أشياء كثيرة، وطلب العلم من ذكر الله، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ سورة الجمعة ٩. فهؤلاء لا تشغلهم الدنيا وزخرفها وزينتها وملاذ بيعها وربحها عن ذكر ربهم الذي خالقهم ورازقهم.

عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه رأى قوم من أهل السوق أقيمت الصلاة فأغلقوا حوانيتهم، ودخلوا المسجد، تركوا بياعاتهم ونهضوا إلى الصلاة، قال ابن مسعود: هؤلاء من الذين ذكر الله في كتابه، (رَجَالٌ لَا تُلِهِمُ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ).

وكذلك قال ابن عمر رضي الله عنه: فيهم نزلت (رَجَالٌ لَا تُلِهِمُ تِجَارَةٌ). قال مطر الوراق: كانوا يبيعون ويشترون، ولكن كان أحدهم إذا سمع النداء وميزانه في يده خفضه وأقبل إلى الصلاة، وإذا رفع أحدهم المطرقة فأذن ألقاها خلف ظهره ولم يطرق بها. إذاً هذا ضابط مهم جداً في الانشغال بالدنيا، وقد قيل في قوله تعالى: (وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا) (سورة القصص ٧٧). قيل: المراد بالنصيب الكفن، كأنه قال: لا تنس أن تترك جميع مالك إلا نصيب الذي هو الكفن.

قال الشاعر:

نصيبك مما تجمع الدهر كله رداء ان تلوى فيهما وحنوط

وكذلك من الضوابط في الانشغال بالدنيا: إخراج حقوق الله من ممتلكاتها، تسليم حق المال، زكاة المال، حق الزرع، وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ سورة الأنعام ١٤١. إخراج النفقات الواجبة على الزوجة والأولاد والوالدين المحتاجين، والصدقة، (مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا) سورة البقرة ٢٤٥. ثم الالتزام بالأحكام الشرعية في العمل الدنيوي على النحو المتقدم بيانه.

وحسن القصد أن يقصد بتجارته أو عمله وجه الله، لا الأشر ولا البطر، ولا التفاخر، ولا التكاثر، وأن يقصد إعفاف نفسه عن سؤال الناس، والاستغناء عن الخلق، والإنفاق على الأهل، وصلة الرحم، وابتغاء الأجر من الله عز وجل.

إذا نوى التاجر بهذا هذا، ونوى الطالب بدراسته قوة المسلمين ونفعهم، وأردنا بأعمالنا الدنيوية وجه الله، والتزمنا بالضوابط استطعنا التوفيق ولم نظلم طرفاً من الأطراف، هذه القضية الحساسة والمهمة، التوفيق بين العمل الدنيوي والعمل الأخروي، هذه المسألة الكبيرة من فقها والتزم بها سعد في الدنيا وسعد في الآخرة.

البشارة الثانية عشرة

شكر الله تعالى على النعمة يتسبب في المزيد

عمدة هذه البشارة قوله تعالى : (إِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ) إبراهيم (٧) .

وجه البشارة : أن من صميم إيمان العبد بالله تعالى أن يكون شكورا لنعمة معظما لها، وهذا واجبه الذي لا يجوز له أن يغفل عنه ولكن مع ذلك وعده الله بالمزيد من المنن والعطاء إن هو قام بذلك .، ومن أهم ما يجب الشكر عليه نعمة التوفيق للعمل الصالح وأكثر الناس يغفل عن ذلك .

قال بعض المفسرين :

واذكر أيها المخاطب وقت أن قال موسى لقومه : يا قوم إن ربكم قد أعلمكم إعلاما واضحا بليغا مؤكدا بأنكم إن شكرتموه على نعمه ، زادكم من عطائه وخيره ومننه ، وإن جحدم نعمه وغمطتموها واستعملتموها في غير ما يرضيه ، محققا من بين أيديكم ، فإنه - سبحانه - عذابه شديد ، وعقابه أليم. هذا ، وقد ساق الإمام ابن كثير هنا جملة من الأحاديث الموجبة للشكر ، والمحذرة من الجحود فقال: وقد جاء في الحديث الشريف : (**إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه**). أخرجه أحمد وابن ماجه، وصححه ابن حبان والحاكم، وقال البوصيري في الزوائد: إسناده حسن .

ويمكن أن يقال : لئن شكرتم **إنعامي** لأزيدنكم **من فضلي** . وعن الحسن البصري : لئن شكرتم **نعمتي** لأزيدنكم **من طاعتي** . وعن ابن عباس : لئن وحدتم وأطعتم لأزيدنكم من الثواب ، والمعنى متقارب في هذه الأقوال . والآية نص في أن الشكر سبب المزيد

وسئل بعض الصالحاء عن الشكر لله فقال : ألا تتقوى بنعمه على معاصيه . وحكي عن داود - عليه السلام - أنه قال : أي رب كيف أشكرك ، وشكري لك نعمة مجددة

منك علي . قال : يا داود الآن شكرتني . قلت : فحقيقة الشكر على هذا الاعتراف
بالنعمة للمنعم . وألا يصرفها في غير طاعته ، وأنشد الهادي وهو يأكل:

أنالك رزقه لتقوم فيه بطاعته وتشكر بعض حقه

فلم تشكر لنعمته ولكن قويت على معاصيه برزقه

فغص باللقمة ، وخنقته العبرة . وقال جعفر الصادق : إذا سمعت النعمة نعمة
الشكر فتأهب للمزيد.

ولما كان الكلام على هذه البشارة طويل ومهم أحببت أن أخص لك – أخي الحبيب –
من ثمار كلام العلماء ما تقر به عينك عبر هذه النقاط .

أولاً: تسخير الكون للإنسان تسخير تعريف و تسخير تكريم :

قال الدكتور محمد راتب النابلسي وفقه الله تعالى^١ :

من الآيات الجامعة المانعة في شأن العقيدة قوله تعالى: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن
شَكَرْتُمْ وَأَمَّنْتُمْ﴾ [سورة النساء الآية: ١٤٧] .

يبدو أن الإنسان حينما يؤمن ويشكر يحقق الهدف من وجوده، لماذا؟ لأنه في الأصل
إحسان من الله عز وجل؛ منحه الله نعمة الوجود، أنت موجود.

إذاً: هذه نعمة الله الكبرى لك؛ منحك نعمة الوجود ومنحك نعمة الإمداد ومنحك
نعمة الهدى والرشاد فأنت أثر من فضل الله عز وجل . فالله عز وجل سخر هذا
الكون لك تسخيرين؛ تسخير تعريف وتسخير تكريم في وقت واحد .

١/ برنامج موسوعة الأخلاق الإسلامية – موسوعة النابلسي – بتصرف .

لو أن لك صديقاً على مستوى رفيع جداً في الإلكترونيات، واخترع جهازاً، وقدمه لك هدية، فأنت أمام شعورين؛ شعور الإعجاب لهذا الجهاز الذي قدم لك خدمة كبيرة، وشعور الامتنان لأنه قدمه لك هدية. فالكون مسخر تسخير تعريف وتسخير تكريم.

وقد أشار النبي -عليه الصلاة والسلام- إلى هذا، لما رأى الهلال قال: **(هلال خير ورشد)** أخرجه أبو داود عن قتادة.

ثانياً : حينما تشكر الله تعالى تحقق الهدف من وجودك؛ لأن وجودك هو أساساً نعمة منه سبحانه وفضل ، ويمكن توضيح ذلك بمثال واقعي : أحياناً الإنسان يشتري بيتاً يدفع ثمنه فصاحب البيت - البائع - لا يستطيع أن يقول له كلمة أنا تفضلت عليك لأنه أخذ ثمنه عدلاً ونقداً ولم يتسامح معي ولا بليرة. و أما إذا إنسان قدم لك البيت كهدية والبيت ثمين جداً اختلف الأمر.

فأنت أمام منحة من الله أنت فضل كلك ، وجودك وما أمدك به، ونعمة الهدى التي أنعم الله بها عليك؛ فأنت نعمة وما حولك نعمة الكون كله مسخر لك بنص الآية الكريمة: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ﴾ [سورة الجاثية الآية: ١٣] .

فرد فعل هذا الكون المسخر لك؛ الوظيفة الإرشادية أن تؤمن والوظيفة النفعية أن تشكر فإذا آمنت وشكرت فقد حققت الهدف من وجودك.

ثالثاً : معرفة الله عز وجل هو الشيء الذي يرجح بين المؤمنين:

معنى هذا أن الشكر ليس شيئاً استثنائياً بل هو عملية طوعية؛ لأن أصل وجودك نعمة ومخلوق للسعادة فينبغي أن تشكر تشكر من يُحبُّ أن يُشكر سبحانه : ﴿وَكَانَ اللَّهُ شَاكِراً عَلِيماً﴾ سورة النساء (١٤٧) .

أحياناً الإنسان يقدم هدية لمريض يعمل بطاقة هذه من فلان المريض كيف يشكر إن لم يعلم أن هذه الهدية منك؟ انظر تلازم الشكر مع العلم، هذا المريض الذي

قدمت له هدية، لو دخل عليك عشرة أشخاص، وشخص منهم معه هدية، ولا يوجد بطاقة، لا تعرف هذه ممن؟ أما لو قدم بطاقة فتعرف هذه ممن، فإذا التقيت به مرة ثانية، تشكره على هديته، فهذا منطلق.

قال النابلسي حفظه الله : فكرة دقيقة جداً يقول الله عز وجل: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾: إن شكرته على القرب فيما بينك وبينه زادك غنى إذ الغنى حالة راقية جداً أن تستغني بالحق عن الخلق المؤمن عزيز النفس؛ المؤمن لا يتذلل لأحد لا يتضعضع لأحد، لا يصغر أمام أحد، أغناه الله عن الخلق، فالغنى أن تستغني بالحق عن الخلق. لئن شكرتم الغنى لأزيدنكم معرفتي. الحقيقة المعرفة شيء ثمين والشيء الذي يرجح بين المؤمنين هو معرفة الله عز وجل.

وقال بعضهم: لئن شكرتم الإسلام لأزيدنكم الإيمان، إذا كان الإنسان منصاعاً لأمر الله، شكر ما هو فيه، فالله عز وجل يرقيه إلى درجة الإيمان.

ولئن شكرتم الإيمان لأزيدنكم الإحسان، معلوم عندكم أنه يوجد عندنا إسلام، وإيمان، وإحسان؛ الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك؛ فإذا الإنسان شكر طاعته لله، نقله الله إلى الإيمان، فإن شكر الإيمان، نقله الله إلى الإحسان.

ولئن شكرتم الإحسان لأزيدنكم العرفان، معرفة الله أعلى مقام؛ فالشاكِر في مزيد، والشكَّار -كثير الشكر- في مزيد المزيد والشكور في نهاية المزيد.

رابعاً : حجم الإنسان عند الله بحجم عمله الصالح شاكراً لله تعالى :

أنت منحة من الله أنت فضل من الله أنت إحسان من الله أنت حسنة من الله عز وجل، وجودك منحة.

إنسان دخل لقصر وتناول أطيب الطعام، وتلقى أعلى الترحيب؛ فكل الدخول، وكل الترحيب، وكل شيء هو منحة من صاحب البيت. فالكلمة الأولى، والأخيرة، والجامعة، والمانعة هي الشكر، أن تشكره.

وقال النابلسي وفقه الله : "قد يكون المزيد أحوالاً وقد يكون المزيد أفعالاً وقد يكون المزيد أخلاقاً وقد يكون المزيد صفات وقد يكون المزيد ذاتاً أو معلوماً أو مفهوماً وقد يكون المزيد معجلاً أو مؤجلاً وقد يكون في الدنيا وقد يكون عند فراق الدنيا.".

نستعرضهم واحدة واحدة: لئن شكرتم لأزيدنكم، قد يأتي المزيد أحوالاً أي الله يكرم الإنسان بحال طيبة، له حال مع الله طيبة، مرتاح، مطمئن؛ لا يوجد عنده قلق، لا يوجد عنده حزن، لا يوجد عنده حسد، سليم الصدر لكل الخلق؛ على أنه فقير أو غني، على أنه مريض أو صحيح الجسم، على أنه يعاني من مشكلات عديدة أو راضٍ عن الله هذا إكرام الحال إكرام الحال شيء مهم جداً.

تجد شخصاً محطماً؛ وهو صحيح محطم وهو غني يعاني من ضيق نفسي الشيء الغريب تجد شخصاً بالعكس يعاني من ضيق مادي وهو في سعادة، يعاني من مرض وهو في سعادة، فقد يكون المزيد حالاً.

إذا إنسان دخل لبيت من بيوت الله صلى لا يوجد شيء في بيت الله كرسي لا يوجد يجلس على الأرض لا يوجد شيء من مظاهر الإكرام المادي تدخل لبيت هناك جلسة مريحة على مقعد وسيع قد يكون جسده حاراً يفتح له المروحة؛ يأتيه كأس شاي فنجان قهوة .. فواكه .. أحياناً غداء.. بينما بيت الله لا يوجد فيه شيء إلا الجلوس على الأرض إذا أين إكرام الحال؟ يخرج الإنسان مرتاحاً يخرج متوازناً يخرج من المسجد مطمئناً يخرج من المسجد راضياً عن الله، يخرج من المسجد واثقاً، موعوداً بالجنة

يخرج من المسجد يشعر أن الله معه وهو في رعايته وفي ظله؛ يأتي أحياناً الإكرام أحوالاً وأحياناً يأتي الإكرام أفعالاً الله عز وجل يقدر على يدك الخير.

أنواع الإكرام الرباني للإنسان : حجم الإنسان عند الله بحجم عمله الصالح لقوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِّمَّا عَمِلُوا﴾ سورة الأنعام (١٣٢) فإذا الله عز وجل قدر على يدك عملاً صالحاً كثيراً فهذا إكرام تناله من الله عز وجل، وأحياناً يأتي الإكرام أخلاقاً الله يعطيك حلماً، وكاد الحليم أن يكون نبياً والحلم سيد الأخلاق؛ يعطيك حكمة يعطيك حسن تصرف، يعطيك كلاماً سديداً، يعطيك فعلاً رشيداً.

أحياناً يكون صفة أي صفة ثابتة في الإنسان أحياناً يكون ذاتاً، يعطيه ولداً صالحاً يعطيه ذرية طيبة أحياناً يكون الإكرام معرفة بالله.

فهناك إكرام معرفة و إكرام ذات؛ وهبك الله ولداً صالحاً فهذا إكرام صفات ثابتة هذا إكرام، أخلاق هذا إكرام، أفعال هذا إكرام أحوال؛ وهذا المزيد قد يكون معجلاً وقد يكون مؤجلاً، قد تأتي الدنيا مجتمعة، وقد تأتي متآخرة..

إذا وجد أنك تستقيم من أجل مكاسب مادية أصبح هناك شائبة بالموضوع، والله يؤخر، يريدك أن تستقيم له من دون غرض مادي، وإذا كان إخلاصك عال جداً، يأتي الإكرام سريعاً؛ وقد يكون في الدنيا، وقد يكون في الآخرة.

يمكن إنسان في الدنيا لحكمة أرادها الله أن يكون إكرامه في الآخرة، فهذه بعض الحقائق عن الشكر الذي هو واجد: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ .

خامساً مراتب الشكر : الشكر له ثلاث مراتب؛

المرتبة الأولى : حينما تعزو هذه النعمة إلى الله ؛ إذا قلت: الله عز وجل أكرمني بالصحة معنى هذا أنك عزوتها إلى صاحبها وهذا ما عبر عنه بعضهم بقوله (وهو تصور النعمة وتيقنها أنها منه سبحانه).

المرتبة الثانية: أن يمتلئ قلبك امتناناً بالشكر وهو الثناء على المنعم بما هو أهله.

المرتبة الثالث: شكر الجوارح: وهو مكافأة النعمة بقدر استحقاقه، وذلك بالقيام بحقه، والاجتهاد في طاعته، وإخلاص العمل من أجله قال الله عز وجل: {اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ} (سبأ: ١٣)،
ورحم الله القائل:

أفادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا

ورحم الله الآخر:

وما كان شكري و افيأ بنوالكم ولكنني حاولت في الجهد مذهباً

وعن عائشة رضي الله عنها: أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقالت عائشة: لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: **(أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً)** رواه البخاري برقم (٤٥٥٧) ومسلم برقم (٢٨٢٠)، فدل على أن العمل بالطاعة شكر لله عز وجل.

أما حينما ترد على النعمة بعمل صالح فهذا أعلى أنواع الشكر، لقوله تعالى: {اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ}.

وأعظم الشكر الإيمان بالله تعالى، وأداء فرائضه وواجباته، والبعد عن محرّماته، ثم شكر بقيّة النعم إجمالاً وتفصيلاً، كما أنّ أعظم كفران النعم: الكفر بالرسالة بالإعراض عن الإيمان بالله وحده، وترك فرائض الله وواجباته، وفعل المعاصي، ثم كفران بقيّة النعم.

وقد جاء في كتاب الله الأمر به؛ كما جاء النهي عن ضده أي الكفران وجحود النعم، وعدم الإقرار بها أو استعمالها فيما يكره المنعم جل وعلا فقال سبحانه: {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ} (البقرة: ١٥٢)

وجاء فيه أيضاً الثناء على أهل الشكر حيث وصف به أفضل خلقه فقال عن خليفه إبراهيم عليه السلام: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شَاكِراً لِّأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} (النحل: ١٢٠-١٢١)، وقال عن نوح عليه السلام: {إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُوراً} (الإسراء: ٣)، أي كثير الشكر يحمد الله على كل حال.

سادساً : إن الشكر سبب لزيادة النعم، ودفع النقم، واستجلاب البركات، وتكثير العطيات من ربنا الواحد رب البريات، يقول ربنا جل في علاه في كتابه الكريم: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ} (إبراهيم: ٧).

وقد أنعم الله عز وجل علينا بسائر النعم، وأسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة: {الَّذِينَ تَرَوُا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ} (القمان: ٢٠)، ومن أعظم تلك النعم، وأجزل العطايا؛ أن هدايانا سواء السبيل، واختارنا واصطفانا من بين كثير من الأمم أن نكون مسلمين، وأكمل لنا هذا الدين فقال سبحانه: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً} (المائدة: ٣)، ثم جعلنا أتباعاً لمحمد صلى الله عليه وسلم من الأمة المهديّة المرضية، خير أمة أخرجت للناس: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ) (آل عمران: ١١٠).

وإن نعم الله كثيرة لا تحصى، وإحسانه وتفضله على جميع خلقه أمر لا ينسى: {وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ} (إبراهيم: ٣٤)، {وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ} (النحل: ١٨).

ومن تلك النعم نعمة اكتمال حواسنا من سمع وبصر وأفئدة: {قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ} (الملك: ٢٣)، ثم تأتي نعمتا الأمن

من الخوف، والإطعام من الجوع، ولا يعرف قدر هاتين النعمتين إلا من فقدتهما، ومن نظر إلى الأمم من حوله عرف معنى الكلام، فكم من حروب دمّرت الحرث والنسل ونسفت، وكم من مجاعات أكلت كثيراً من الخلق وأبادت.

وإن شُكِرَ الله تعالى على نعمه التي لا تعدّ ولا تُحصى أوجب الواجبات، وآكد المفروضات قال الله تعالى: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَلَدَيْكَ إِلَى الْوَصَّيْرِ} (لقمان: ١٤)، وقال تعالى: {وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} (النحل: ١١٤)، حيث بشكره يكون الحفاظ عليها، وبدوام طاعته وعبادته والقرب منه يكون الاستمرار فيها.

وقد امتنَّ الله تعالى على كثير من عباده فأعطاهم من كريم السجايا، وعظيم الصفات؛ ما علت به أقدارهم، وسمت به منازلهم، وارتفعت به درجاتهم عند ربهم سبحانه وتعالى، ومن أجل هذه الصفات قدراً، وأعظمها أثراً: صفة الشكر؛ وهي ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده ثناءً واعترافاً، وعلى قلبه محبة وشهوداً، وعلى جوارحه طاعة وانقياداً، وهو دليل على كمال العقل، وصلاح القلب، وصحة النفس، وسلامة الصدر.

والشكر لله تعالى أمره عظيم، وثوابه جزيل، ينجي الله به من العقوبات، ويدفع الله به المكروهات قال الله تعالى: {مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَأَمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا} (النساء: ١٤٧)، وقال سبحانه: {كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ * إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ * نِعْمَةٌ مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ} (القمر: ٣٣-٣٥)، وبه تزيد النعم، وتدفع النقم قال تعالى: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ} (إبراهيم: ٧).

وأخبر سبحانه أن المنتفع بآيات الله وآلائه الكونية والشرعية هم الشاكرون فقال سبحانه: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ

لَايَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ {لقمان: ٣١}، وقال عز وجل: {إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ} {الشورى: ٣٣}.

سابعاً : الغزالي يتحدث عن الشكر: قال رحمه الله - في الإحياء - : الشكر ينتظم من علم وحال وعمل، فالعلم هو الأصل فيورث الحال، والحال يورث العمل، فأما العلم فهو معرفة النعمة من المنعم، والحال هو الفرح الحاصل بإنعامه، والعمل هو القيام بما هو مقصود المنعم ومحبو به، وهذا العمل يتعلق بالقلب وباللسان وبالجوارح، أما بالقلب فقصد الخير، وإضماره لكافة الخلق، وأما باللسان فإظهار الشكر لله تعالى بالتحميدات الدالة عليه، وأما بالجوارح فاستعمال نعم الله تعالى في طاعته، والتوقي من الاستعانة بها على معصيته.

وقد مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على نهج سلفه من أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام في ملازمة الشكر على كل حال، فهي هو يسأل ربه عز وجل أن يجعله كثير الشكر، مداوماً عليه فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو: (رب أعني ولا تعن عليّ، وانصرني ولا تنصر عليّ، وامكر لي ولا تمكر عليّ، واهدني ويسر الهدى إليّ، وانصرني على من بغى عليّ، رب اجعلني لك شكاراً، لك ذكراً، لك رهاباً، لك مطواعاً، إليك مخبتاً، لك أوهاً منيباً، رب تقبل توبتي، واغسل حوبتي، وأجب دعوتي، وثبت حجتي، واهد قلبي، وسدد لساني، واسلل سخيمة قلبي) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح.

ويوصي النبي عليه الصلاة والسلام معاذ بن جبل رضي الله عنه بالشكر وملازمته يقول معاذ: : أخذ بيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (يَا مُعَاذُ وَاللَّهِ إِنِّي لأُحِبُّكَ، ثُمَّ أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدْعُنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِني عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ). حديث صحيح، رواه أبو داود والنسائي بإسناد صحيح.

ثامناً: الوسائل المعينة على شكر النعم ١:

١- **النظر إلى أهل الفاقة والبلاء:** فإن ذلك يوجب احترام النعمة وعدم احتقارها، ولذلك قال النبي: "إذا نظر أحدكم إلى من فضّل عليه في المال والخلق فليُنظر إلى من هو أسفل منه ممن فضّل عليه" [متفق عليه]. قال النووي: قال ابن جرير وغيره: هذا حديث جامع لأنواع الخير، لأن الإنسان إذا رأى من فضّل عليه في الدنيا طلبت نفسه مثل ذلك، واستصغر ما عنده من نعمة الله تعالى، وحرص على الزيادة ليلحق بذلك أو يقاربه، هذا هو الموجود في غالب الناس، وأما إذا نظر في أمور الدنيا إلى من هو دونه فيها، ظهرت له نعمة الله عليه وشكرها، وتواضع وفعل فيه الخير.

٢- **معرفة أن الإنسان بمنزلة العبد المملوك لسيده:** وأنه لا يملك شيئاً على الإطلاق، وأن كلّ ما لديه إنما هو محض عطاء من سيده ولذلك ثبت في الصحيحين أن النبي قام حتى تقطرت قدماه. ف قيل له: أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال عليه الصلاة والسلام: "أفلا أكون عبداً شكوراً". أي أن كل ما فعله الله تعالى بي من الاصطفاء والهداية والمغفرة هو محض عطاء منه سبحانه يستحق عليه الحمد والشكر، فما أنا إلا عبد له سبحانه.

٣- **الانتفاع بالنعم وعدم كثرها:** فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (كلوا واشربوا وتصدقوا من غير مبخلة ولا سرف، فإن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده) [أحمد والنسائي والترمذي وصححه الحاكم]. وقال الألباني: إسناده حسن، المشكاة (٤٣٨١).

٤- **ذكر الله عز وجل:** فالشكر في حقيقته هو ذكر لله عز وجل. وورد عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ [الإسراء: ٣]. قال: (لم يأكل شيئاً إلا حمد الله

١/ فضل الشكر وجزاء الشاكرين (خطبة) - الشيخ أبو عبيد - موقع شبكة الألوكة الشرعية .

عليه، ولم يشرب شراباً إلا حمد الله عليه، ولم يبطش بشيء قط إلا حمد الله عليه،
فأثنى الله عليه أنه كان عبداً شكوراً.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: **"إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، أو يشرب الشربة فيحمده عليها"** [مسلم].

٥- التواضع وترك الكبر: فالكبر يضاد الشكر، لأن حقيقة الكبر هو ظن العبد أنه المالك المتصرف، والشكر هو الاعتراف لله عز وجل بذلك.

٦- شهود مشهد التقصير في الشكر: وذلك بأن يعرف العبد أنه مهما بالغ في الشكر، فإنه لن يوفي حق نعمة واحدة من نعم الله تعالى عليه، بل إن الشكر نفسه نعمة تحتاج إلى شكر.

ولذلك قيل:

إن كان شكري نعمةً الله نعمةً عليّ له في مثلها يجب الشكر

فكيف وقوع الشكر إلا بفضله وإن طالت الأيام واتصل العمر

٧- مجاهدة الشيطان والاستعاذة بالله منه: قال ابن القيم: (ولما عرف عدو الله إبليس قدر مقام الشكر وأنه من أجل المقامات وأعلاها، جعل غايته أن يسعى في قطع الناس عنه فقال: ﴿ثُمَّ لَا تَبِيتُهُمْ مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٧].

٨- ترك مخالطة أهل الغفلة: فإن مخالطتهم تنسي الشكر وتقطع العبد عن التفكير في النعم. قيل للحسن: هاهنا رجل لا يجالس الناس، فجاء إليه فسأله عن ذلك، فقال: إني أمسي وأصبح بين ذنب ونعمة، فرأيت أن أشغل نفسي عن الناس بالاستغفار من الذنب، والشكر لله على النعمة، فقال له الحسن: أنت عندي يا عبد الله أفقه من الحسن!!

٩- الدعاء : بأن يجعلك الله تعالى من الشاكرين، وأن يوفقك لطريق الشكر ومنزلته العالية.

قال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ رضي الله عنه: **(والله إني لأحبك، فلا تنسى أن تقول دبر كل صلاة: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك)** [أحمد وأبو داود والنسائي وهو صحيح].

تاسعاً :من أسباب وقوع العذاب، وحلول النعمة والعقوبة على الأفراد والمجتمعات؛ كفر نعم الله تعالى، وعدم شكرها والرضا بها، وجحودها وإنكارها كما قص الله علينا هذا في قوله تعالى: {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ}(النحل:١١٢).

قال العلامة ابن سعدي رحمه الله: وهذه القرية هي مكة المشرفة التي كانت آمنة مطمئنة لا يهاج فيها أحد، وتحترمها الجاهلية الجهلاء، حتى إن أحدهم يجد قاتل أبيه وأخيه فلا يهيجه مع شدة الحمية فيهم، والنصرة العربية، فحصل لها من الأمن التام ما لم يحصل لسواها، وكذلك الرزق الواسع، كانت بلدة ليس فيها زرع، ولا شجر، ولكن يسر الله لها الرزق يأتيها من كل مكان، فجاءهم رسول منهم يعرفون أمانته وصدقه، يدعوهم إلى أكمل الأمور، وينهاهم عن الأمور السيئة؛ فكذبوه وكفروا بنعمة الله عليهم، فأذاقهم الله ضد ما كانوا فيه، وألبسهم لباس الجوع الذي هو ضد الرغد، والخوف الذي هو ضد الأمن، وذلك بسبب صنيعهم وكفرهم، وعدم شكرهم..

وما قصة أهل سبأ عنكم ببعيد قال الحق تبارك وتعالى: {لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُّوا مِنْ رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ * فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ * ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ * وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا

لَيَالِي وَأَيَّاماً آمِنِينَ * فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ
أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ {سبأ: ١٥-١٩} .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : كانت سبأ ملوك اليمن وأهلها، وكانت التبابعة
منهم، وبلقيس صاحبة سليمان منهم، وكانوا في نعمة وغبطة في بلادهم، وعيشهم
واتساع أرزاقهم، وزروعهم وثمارهم، وبعث الله إليهم الرسل تأمرهم أن يأكلوا من
رزقه، ويشكروه بتوحيده وعبادته؛ فكانوا كذلك ما شاء الله، ثم أعرضوا عما أمروا
به، فعوقبوا بإرسال السيل، والتفرق في البلاد شذر مذر."

البشارة الثالثة عشرة

إحسان الله تعالى لمن يحسن في عبادته ويحسن إلى خلقه

وعمدة هذه البشارة قوله تعالى: ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾ [الرحمن: ٦٠].

وجه البشارة من الآية: أن الله تعالى بشر المحسن من عباده - في العبادة ويمد يد الإحسان إلى خلقه - بأن يجازيه على إحسانه بالإحسان ، مع أن العبد لا يتمكن من الإحسان إلا بتوفيق سابق من الله تعالى له ، فكان إحسان الله تعالى للعبد مقابل إحسانه هو في الحقيقة إحسان آخر.

أولاً: ما جاء في تفسيرها:

قال الرازي رحمه الله رحمه الله: ثم قال تعالى: (هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ) وفيه وجوه كثيرة حتى قيل: إن في القرآن ثلاث آيات في كل آية منها مائة قول.

الأولى: قوله تعالى: (فاذكروني أذكركم) [البقرة: ١٥٢] ، **الثانية:** قوله تعالى: (وإن عدتم عدنا) [الإسراء: ٨] ، **الثالثة:** قوله تعالى: (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) ولنذكر الأشهر منها والأقرب . أما الأشهر فوجوه:

أحدها: هل جزاء التوحيد غير الجنة ، أي جزاء من قال : لا إله إلا الله إدخال الجنة.

ثانيها: هل جزاء الإحسان في الدنيا إلا الإحسان في الآخرة .

ثالثها: هل جزاء من أحسن إليكم في الدنيا بالنعم وفي العقبى بالنعيم إلا أن تحسنوا إليه بالعبادة والتقوى .

وأما الأقرب فإنه عام فجزاء كل من أحسن إلى غيره أن يحسن هو إليه أيضا ،
ولنذكر تحقيق القول فيه وترجع الوجوه كلها إلى ذلك .

ثم فيه لطائف :

اللطيفة الأولى : هذه إشارة إلى رفع التكليف عن العوام في الآخرة ، وتوجيه التكليف
على الخواص فيها .

أما الأول : فلأنه تعالى لما قال : **(هل جزاء الإحسان إلا الإحسان)** والمؤمن لا شك في
أنه يثاب بالجنة فيكون له من الله الإحسان جزاء له ومن جازى عبدا على عمله لا
يأمره بشكره ، ولأن التكليف لو بقي في الآخرة فلو ترك العبد القيام بالتكليف لاستحق
العقاب ، والعقاب ترك الإحسان لأن العبد لما عبد الله في الدنيا ما دام وبقي يليق
بكرمه تعالى أن يحسن إليه في الآخرة ما دام وبقي ، فلا عقاب على تركه بلا تكليف .

وأما الثاني : فتقول خاصة الله تعالى عبدنا الله تعالى في الدنيا لنعم قد سبقت له
علينا ، فهذا الذي أعطانا الله تعالى ابتداء نعمة وإحسان جديد فله علينا شكره ،
فيقولون الحمد لله ، ويذكرون الله ويشنون عليه فيكون نفس الإحسان من الله تعالى
في حقهم سببا لقيامهم بشكره ، فيعرضون هم على أنفسهم عبادته تعالى فيكون لهم
بأدنى عبادة شغل شاغل عن الحور والقصور والأكل والشرب .

فلا يأكلون ولا يشربون ولا يتنابذون ولا يلعبون فيكون حالهم كحال الملائكة في يومنا
هذا لا يتناكحون ولا يلعبون ، فلا يكون ذلك تكليفا مثل هذه التكاليف الشاقة ، وإنما
يكون ذلك لذة زائدة على كل لذة في غيرها .

اللطيفة الثانية : هذه الآية تدل على أن العبد محكم في الآخرة : كما قال تعالى :
(لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ) يس (٥٧) وذلك لأننا بينا أن الإحسان هو الإتيان بما

هو حسن عند من أتى بالإحسان ، لكن الله لما طلب منا العبادة طلب كما أراد ، فأتى به المؤمن كما طلب منه ، فصار محسنا فهذا يقتضي أن يحسن الله إلى عبده ويأتي بما هو حسن عنده ، وهو ما يطلبه كما يريد فكأنه قال : (هل جزاء الإحسان) أي هل جزاء من أتى بما طلبته منه على حسب إرادتي إلا أن يؤتى بما طلبه مني على حسب إرادته ، لكن الإرادة متعلقة بالرؤية ، فيجب بحكم الوعد أن تكون هذه آية دالة على الرؤية التي هي بلا كيفية .

اللطيفة الثالثة : هذه الآية تدل على أن كل ما يفرضه الإنسان من أنواع الإحسان من الله تعالى فهو دون الإحسان الذي وعد الله تعالى به لأن الكريم إذا قال للفقير : افعل كذا ولك كذا دينارا ، وقال لغيره افعل كذا على أن أحسن إليك يكون رجاء من لم يعين له أجرا أكثر من رجاء من عين له ، هذا إذا كان الكريم في غاية الكرم ونهاية الغنى ، إذا ثبت هذا فالله تعالى قال : جزاء من أحسن إلي أن أحسن إليه بما يغبط به ، وأوصل إليه فوق ما يشتهي ، فالذي يعطي الله فوق ما يرجوه وذلك على وفق كرمه وإفضاله .

ثانيا : كيف يبلغ المسلم مرتبة الإحسان ؟ :

يمكن للمسلم بلوغ ذلك بالإحسان إلى الله تعالى عن طريق المبادرة بالعمل الصالح وإتباع أوامره وتجنب نواهيه، والإحسان إلى خلقه من إنسان وحيوان ونبات. وإيتاء كل صاحب حق حقه بالعدل، فالحفاظ على بر الوالدين وصلة الأرحام والإحسان إلى الفقراء والتصدق عليهم والإحسان إلى النفس بتهذيبها وتدريبها على الخلق الحسن والنأي بها عما حرم الله، وتفقد القلب ومحاسبة النفس، والمداومة على قيام الليل والاستغفار، جميع ذلك من أوجه الإحسان عظيمة الأثر؛ التي قال فيها الرسول صلى الله عليه وسلم: (إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القِتْلَةَ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليحد أحدكم شَفْرته، فليُرْح ذبيحته).

إن الإحسان إنما يتكون بالإحسان الحقيقي، الذي هو حياة تتسم بإشراق عطاء، تمنح الصلاح لكل جوانب الحياة؛ للأفراد وللأوطان فتنهض بها وترتقي، وذلك عندما تحسن قدرات الناس إتقانها للأعمال والإنجازات، وتقوم بمهماتها، وتتحرّك القلوب والأرواح والجوارح لطاعة ربّها بكل حب وشوق، وخوفٍ ورجاء، وهي تُحس بأن الله عز وجل مطّلع على ما تفعل، فهو عبادة ومراقبة وتحسين للأحوال المضطربة، التي تحول بيننا وبين السعادة الحقيقية؛ قال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

ثالثاً: مجالات الإحسان :

إن دائرة الفعل الإحسانيّ تتسع لتعمّ بخيريتها كلّ ما حول العبد الصادق مع الله عز وجل؛ فعن شداد بن أوس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله كتّب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليجد أحدكم شفرته فليرح ذبيحته) رواه البخاري .

كما أن التفكير في آيات الله، وشغل الوقت بأعمال الخير والطاعات، وحسن المعاشرة بين الناس، والتنفيس عن المعسرين، واستيلاء الاستقامة على أحاسيس الإنسان وحياته بالليل والنهار، والحوار مع الناس بالتي هي أحسن، والتخطيط الصحيح للنجاح والتميز وصناعة الحياة، والترفع عن الفضول بأن يترك الإنسان ما لا يعنيه، وينشغل بالواجبات التي تعنيه - عونٌ للإنسان على تحقيق الإحسان ومقاصده في النفس والحياة، وإن من أقوى أسباب السعادة أن نحقق عبوديتنا لله عز وجل وعظمته سبحانه لا تفارقنا ولا تغيب عنا، فنشعر بحلاوة الإيمان، وحلاوة العطاء.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم بارزاً يوماً للناس، فأتاه جبريل فقال: ما الإحسان؟ قال: (أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك) متفق عليه .

إن الإحسان هو عماد الإيمان واليقين، وبوابة السعادة الأبدية، وبه يتلقى المؤمن هموم الحياة بنفس مطمئنة، وإيمان راسخ، وعندما يرى الله عز وجل هذا الثبات المتواصل من المحسنين، فإنه يشملهم برعايته وعنايته ومحبته، فقال عز وجل: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]. كما وعد الله المحسنين بالبركة والزيادة، فقال تعالى: ﴿وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ٥٨].

إن الإحسان هو قمة كل الطاعات والقربات والخيرات، وذروة الدين والتدين، وروح قوة كل إيجابية وعطاء، فالشخصية المحسنة زادت عما هو مطلوب من مسؤولياتها، فاتسعت دائرة أعمالها، وانتشر فضلها وخيرها؛ ولذلك كان جزاؤها من جنس أعمالها، قال تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: ٦٠].

إن بعض الناس قد يأخذه الفرح والسرور في لحظة ما؛ لاستشعاره أن الله عز وجل ينظر إليه في تلك اللحظة، وربما يشتد به الفرح، وتعظم لديه لذة الغرور بروح المراقبة، فيضحك حتى تبدو نواجذه، وعندما تقلب في حياة هؤلاء الناس، تجد أن هذه الحالة الاستشعارية التي يمرون بها تخالف حقيقة علاقتهم مع الله، فهم إما في نوم، أو غفلة، أو لهو وانشغال بتوافه الأمور، وابتعاد عن تعمير الأرض وبناء الحياة، وهذه الأحوال تخالف حقيقة الإحسان، وقد تؤدي لمهلكة هؤلاء الناس.

رابعاً: من المعاني التي يشملها الإحسان أيضاً:

أ. إحسان العمل وإتقانه وإصلاحه، سواء في العبادة أو في المعاملات أو أي عمل كان. قال الله تعالى: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ {البقرة: ١١٢}.

وقال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾ (النساء: ١٢٥).

ب . الإحسان إلى الناس، كالوالدين والأقربين واليتامى والمساكين والمسلمين وسائر الخلق أجمعين. قال الله تعالى: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ} (البقرة: ٨٣).

ج . الإحسان إلى الكون من حولنا؛ الحيوان، النبات، الأرض، الماء... إلخ. قال الله تعالى: {وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ} (الأعراف: ٥٦).

فالإحسان الحق ليس إحسان صلاة وصيام فقط، بل هو منهج حياة وأسلوب معيشة، هو عبادة ومعاملة، هو صلاة وحسن خلق، هو طاعة وأداء الحقوق إلى أهلها. فهذه المعاني كلها تثبت سعة معنى "الإحسان" وشموله عن المعنى القاصر الذي يفهمه بعض المسلمين.

خامساً: من أخلاق الأنبياء مقابلة الإساءة بالإحسان^١ :

الأنبياء القدوة الحسنة : من يستعرض سير الأنبياء والصالحين، يجد أنهم ما بلغوا مراتب الكمال من العلم والإيمان إلا بصدقهم وبعضوهم وصَفَحهم، وهو أرفع من العفو؛ لأنه بلا معاتبة، وإنَّ من أخلاقهم وصفاتهم العفو عَمَّنْ أَسَاءَ إِلَيْهِمْ قولاً وفعلاً، وأنهم أعطوا دروساً في التربية الحقّة على معاني الأخلاق الفاضلة السامية.

ومنهم سيدنا يوسف - عليه السّلام - فقد كاد له إخوته حتى هموا بقتله، ثم ما لقيه منهم من حسد وكيد وافتراء، ولكنه قابل ذلك كلّهُ بالإحسان والعفو، بل والدعاء لهم بالمغفرة، وكان بإمكانه - وهو سلطان بيده النفوذ والقوة، وأمره مطاع - أن يوقع بهم أشدَّ أنواع العقوبة، ولكنه عفا عنهم، وهو من كمال الإحسان أن يعفو عن مقدرة

١/ مقال: تكريم المنان فيمن قابل الإساءة بالإحسان - مرشد الحياتي - شبة الألوكة الشرعية .

واقترار، فقال لهم بعد اجتماعه بهم: ﴿ قَالُوا تَاللّٰهِ لَقَدْ أَثَرَكَ اللّٰهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴾ * قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللّٰهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿ [يوسف: ٩١ - ٩٢]، وكان عاقبة الإحسان انقلاب العداوة إلى محبة ووُد.

أَمَّا نَبِيُّنَا الْكَرِيمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقد أُوذِيَ بأعظم من ذلك؛ حيث أخرج من بلده عُدوانًا وظلمًا، ومن قبل قومه وعشيرته مع حرصهم على الفتك به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم لما نصره الله عليهم، قال لهم في أعظم جمع يومِ النَّصْر العظيم: ((وَأَنَا أَقُولُ كَمَا قَالَ أَخِي يُوسُفُ: لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ))، فقال عمر رضي الله عنه :- فَفِضْتُ عَرَقًا مِنَ الْحَيَاءِ مِنْ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^١.

ومن ذلك: إحسانه إلى عدو الله ابن أبي بن سلول زعيم المنافقين، والذي ما فتئ يكيّدُ لرسول الإسلام مرة في عرضه - السيدة المبرّأة من فوق سبع سموات، عائشة الصديقة بنت الصديق - ومرة أخرى بخذلانه والانصراف عن الجيش في معركة تبوك، وتارة أخرى بمُحالفته لأعداء الله اليهود للكيّد للإسلام وأهله، ولكنّه عفا عنه، بل أكرمه حيًّا وميتًا ودفنه بقميصه، بل تَمَتَّى - بأبي هو وأمّي - ما هو أكبر من ذلك عندما نزل قوله - تعالى :- ﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾ [التوبة: ٨٠]، فقد تمنى صلى الله عليه وسلم أن لو كانت الزيادة على السبعين سببًا في أن يغفر الله لهم، فيزيد على السبعين رغبة أن يغفر الله لهم فقد ذكر ابن عباس انه لما نزلت هذه الآية قال صلى الله عليه وسلم : **(اسمع ربي قد رخص لي فيهم ، فوالله لاستغفرن لهم أكثر من سبعين مرة لعل الله أن يغفر لهم)** ^٢.

١/ ذكره عبدالحق الإشبيلي في الأحكام الصُغرى - الصفحة أو الرقم: ٥٥٨، وقال: "أشار في المقدمة أنه صحيح الإسناد"، وانظر: "تفسير ابن كثير"، ج ٢ ص ٤٧٢، وسيرة ابن هشام، ج ٤ - ص ٤١٢.

٢/ تفسير ابن كثير، ج ٢ ص ٣٦٣؛ حيث ذكر الأثر عن ابن عباس ،وعروة بن الزبير ومجاهد بن جبر، وقتادة، ورواه ابن جرير بأسانيد.

ترى، أي برِّ وإحسان أعظم من ذلك؟! وهو مما لا يقدر عليه إلاَّ صاحب القلب الكبير، ومَن جعله الله رحمةً للخلق أجمعين، وفي السيرة النبوية نماذج كثيرة من عفوه وإحسانه، وبره وصفحه وعفوه عن المُذنبين، ولعلَّ الكثير منا يذكر قصيدة كعب بن زهير (البردة)، والتي قدمها بين يدي الرسول المعظم، وهو يطلبُ الاعتذار عما بدر منه؛ مما يستوجب هدر دمه، لكن الرسول الكريم عفا عنه، بل وجازاه بِبردته الشريفة، فأنشده كعب بأبيات بقيَ الزمن يرددها دَهْرًا بعد دهر، ومنها هذه الأبيات الرائعة:

أُنْبِئْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَوْعَدَنِي وَالْعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَأْمُولُ

وَقَدْ أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ مُعْتَذِرًا وَالْعُذْرُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَقْبُولُ

سادساً: جزاء الإحسان في الدنيا والآخرة :

ليست العقيدة الإسلامية إلا بناء أخلاقياً أراد الله به ضبط سلوك الأمة الإسلامية لتصبح أمة وسطاً يتحلى معتنقيها بأخلاق أهل الجنة، ومن ثم فإن التجارة مع الله هي التجارة الربحية، فالإحسان بكل صوره لا جزاء له إلا الجنة، (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان)؛ لما لا وقد قال عز وجل في سورة يونس: (لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) .

والجنة هي الإحسان الإلهي الأعظم الذي يطمح المؤمن في الوصول إليه. وهي ثواب المحسنين، الذين أحسنوا العمل في دنياهم أملاً في محبة الله وعظيم جنته، ونصره وتأييده ولطفه وفرجه، فسبحانه القائل: "إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ".

قال الفخر الرازي في قوله تعالى : (وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ): فإما أن يكون المراد من المحسن من كان محسناً بالطاعة في هذا التكليف أو من كان محسناً بطاعات أخرى في سائر التكليف.

أما على التقدير الأول: فالزيادة الموعودة يمكن أن تكون من منافع الدنيا وأن تكون من منافع الدين.

أما الاحتمال الأول: وهو أن تكون من منافع الدنيا، فالمعنى أن من كان محسنًا بهذه الطاعة فإننا نزيده سعة في الدنيا ونفتح عليه قري غير هذه القرية، وأما **الاحتمال الثاني:** وهو أن تكون من منافع الآخرة، فالمعنى أن من كان محسنًا بهذه الطاعة والتوبة فإننا نغفر له خطاياهم ونزيده على غفران الذنوب إعطاء الثواب الجزيل كما قال: {لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ} [يونس: ٢٦]، أي نجازيهم بالإحسان إحسانًا وزيادة كما جعل الثواب للحسنة الواحدة عشرًا، وأكثر من ذلك، وأما إن كان المراد من المحسنين من كان محسنًا بطاعات أخرى بعد هذه التوبة، فيكون المعنى أنا نجعل دخولكم الباب سجدًا وقولكم حطة مؤثرًا في غفران الذنوب، ثم إذا أتيتم بعد ذلك بطاعات أخرى أعطيناكم الثواب على تلك الطاعات الزائدة، وفي الآية تأويل آخر، وهو أن المعنى من كان خاطئًا غفرنا له ذنبه بهذا الفعل، ومن لم يكن خاطئًا بل كان محسنًا زدنا في إحسانه، أي كتبنا تلك الطاعة في حسناته وزدناه زيادة منا فيها فتكون المغفرة للمؤمنين والزيادة للمطيعين. اهـ

البشارة الرابعة عشرة

مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ وَالْكَرَامَةَ فَعَلِيهِ بِالْإِسْتِقَامَةِ^١

عمدة هذه البشارة قوله تعالى :: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ سورة فاطر (١٠).

وجه البشارة : أن المسلم الطائع لله تعالى المستقيم على أمره لا بد أن يستشعر عزته بالله تعالى لأن في الآية إشارة إلى أن طالب العزة لن ينالها إلا بالله تعالى وذلك لا يكون إلا بطاعته كما قال تعالى ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ فمن كان لله وبالله فلن يهون بل يمشي مرفوع الرأس عالي الجبين إذ انتسابه لله للعزير القوي يجعله يرى نفسه عزيزا دون وإنما الذلة لمن عصى ربه سبحانه وخالف أمره . وسيزداد المعنى وضوحا عندما نذكر كلام المفسرين لهذه الآية الكريمة .

أولاً : أقوال المفسرين في قوله تعالى (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا) :

قال فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى : قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ .

لَمَّا بَيَّنَّ بُرْهَانَ الْإِيمَانِ إِشَارَةً إِلَى مَا كَانَ يَمْنَعُ الْكُفَّارَ مِنْهُ وَهُوَ الْعِزَّةُ الظَّاهِرَةُ الَّتِي كَانُوا يَتَوَهَّمُونَهَا مِنْ حَيْثُ إِنَّهُمْ مَا كَانُوا فِي طَاعَةِ أَحَدٍ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مَنْ يَأْمُرُهُمْ وَيَنْهَاهُمْ، فَكَانُوا يَنْحِتُونَ الْأَصْنَامَ وَكَانُوا يَقُولُونَ إِنَّ هَذِهِ آلِهَتُنَا، ثُمَّ إِنَّهُمْ كَانُوا يَنْقُلُونَهَا مَعَ

١/ قوانين القرآن الكريم - الدرس : ٠٢ - قانون العزة - موسوعة النابلسي ، مقال : عزة الغرباء - موقع المنجد

أَنْفُسِهِمْ، وَأَيُّهُ عِزَّةٌ فَوْقَ الْمَعِيَّةِ مَعَ الْمَعْبُودِ فَهَمَّ كَانُوا يَطْلُبُونَ الْعِزَّةَ وَهِيَ عَدَمُ التَّذَلُّ لِلرَّسُولِ وَتَرْكُ الْإِتْبَاعِ لَهُ، فَقَالَ: إِنْ كُنْتُمْ تَطْلُبُونَ هَذَا الْكُفْرَ الْعِزَّةَ فِي الْحَقِيقَةِ، فَهِيَ كُلُّهَا لِلَّهِ وَمَنْ يَتَذَلَّلْ لَهُ فَهُوَ الْعَزِيزُ، قَالَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ وَقَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨] فَقَوْلُهُ: ﴿جَمِيعًا﴾ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ لَا عِزَّةَ لِغَيْرِهِ، فَنَقُولُ: قَوْلُهُ: ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ﴾ أَيُّ فِي الْحَقِيقَةِ وَبِالذَّاتِ وَقَوْلُهُ: ﴿وَلِرَسُولِهِ﴾ أَيُّ بِوَاسِطَةِ الْقُرْبِ مِنَ الْعَزِيزِ وَهُوَ اللَّهُ وَلِلْمُؤْمِنِينَ بِوَاسِطَةِ قُرْبِهِمْ مِنَ الْعَزِيزِ بِاللَّهِ وَهُوَ الرَّسُولُ، وَذَلِكَ لِأَنَّ عِزَّةَ الْمُؤْمِنِينَ بِوَاسِطَةِ النَّبِيِّ ﷺ أَلَا تَرَى قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ آل عمران (٣١) ^١.

١١/ إكمالاً للفائدة أذكر بقية كلام الرازي في تمام الآية حيث يقول :

المَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ: فِي قَوْلِهِ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ وَجُوهٌ:

أَحَدُهَا: كَلِمَةُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هِيَ الطَّيِّبَةُ.

وثَانِيهَا: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ طَيِّبٌ.

ثَالِثُهَا: هَذِهِ الْكَلِمَاتُ الْأَرْبَعُ وَخَامِسَةٌ وَهِيَ تَبَارَكَ اللَّهُ وَالْمُخْتَارُ أَنَّ كُلَّ كَلَامٍ هُوَ ذِكْرُ اللَّهِ أَوْ هُوَ لِلَّهِ كَالنَّصِيحَةِ وَالْعِلْمِ، فَهُوَ إِلَيْهِ يَصْعَدُ.

المَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ وَفِي الْهَاءِ وَجْهَانِ:

أَحَدُهُمَا: هِيَ عَائِدَةٌ إِلَى الْكَلِمِ الطَّيِّبِ: أَيِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ هُوَ الَّذِي يَرْفَعُهُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ، وَرَدَّ فِي الْخَبَرِ: "«لَا يَقْبَلُ اللَّهُ قَوْلًا بِلا عَمَلٍ»".

وثَانِيهَا: هِيَ عَائِدَةٌ إِلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَعَلَى هَذَا فِي الْفَاعِلِ الرَّافِعِ وَجْهَانِ:

أَحَدُهُمَا: هُوَ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ يَرْفَعُ الْعَمَلَ الصَّالِحَ، وَهَذَا يُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا﴾ (النَّحْل: ٩٧) ﴿مَنْ ذَكَرَ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾.

وثَانِيهَا: الرَّافِعُ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى.

المَسْأَلَةُ الْخَامِسَةُ: مَا وَجْهُ تَرْجِيحِ الذِّكْرِ عَلَى الْعَمَلِ عَلَى الْوَجْهِ الثَّانِي حَيْثُ يَصْعَدُ الْكَلِمُ بِنَفْسِهِ وَيَرْفَعُ الْعَمَلُ بِغَيْرِهِ، فَنَقُولُ: الْكَلَامُ شَرِيفٌ، فَإِنَّ امْتِيَّازَ الْإِنْسَانِ عَنْ كُلِّ حَيَوَانٍ بِالنُّطْقِ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ (الإِسْرَاء: ٧٠) أَيُّ بِالنَّفْسِ النَّاطِقَةِ، وَالْعَمَلُ حَرَكَةٌ وَسُكُونٌ يَشْتَرِكُ فِيهِ الْإِنْسَانُ وَغَيْرُهُ، وَالشَّرِيفُ إِذَا وَصَلَ إِلَى بَابِ الْمَلِكِ لَا يُمْنَعُ وَمَنْ دُونَهُ لَا يَجِدُ الطَّرِيقَ إِلَّا عِنْدَ الطَّلَبِ، وَيَدُلُّ عَلَى هَذَا أَنَّ الْكَافِرَ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ

ثانياً : الطَّرِيقُ الَّذِي بِهِ تَحْصِلُ الْعِزَّةُ ^١ :

قال السيد رشيد رضا رحمه الله تعالى : وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ إِلَى آخِرِهِ كَالْبَيَانِ لِطَرِيقِ تَحْصِيلِ الْعِزَّةِ وَسُلُوكِ السَّبِيلِ إِلَى نَيْلِهَا وَهُوَ الطَّاعَةُ الْقَوْلِيَّةُ وَالْفِعْلِيَّةُ، وَقِيلَ: بَيَانٌ لِكَوْنِ الْعِزَّةِ كُلِّهَا لِلَّهِ تَعَالَى وَبِيَدِهِ سُبْحَانَهُ لِأَنَّهَا بِالطَّاعَةِ وَهِيَ لَا يُعْتَدُّ بِهَا مَا لَمْ تُقْبَلْ، وَقِيلَ: اسْتِثْنَاءُ كَلَامٍ، وَعَلَى الْأَوَّلِ الْمُعْوَلُ.

و﴿الْكَلِمُ﴾ اسْمٌ جِنْسِيٌّ جَمْعِيٌّ عِنْدَ جَمْعٍ وَاحِدُهُ كَلِمَةٌ، وَالْمُرَادُ بِالْكَلِمِ الطَّيِّبِ عَلَى مَا فِي الْكَشَافِ وَالْبَحْرِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَمَعْنَى كَوْنِهِ طَيِّبًا عَلَى مَا قِيلَ إِنَّ الْعَقْلَ السَّلِيمَ يَسْتَطِيعُهُ وَيَسْتَلِذُّهُ لِمَا فِيهِ مِنَ الدَّلَالَةِ عَلَى التَّوْحِيدِ الَّذِي هُوَ مَدَارُ النِّجَاةِ وَالْوَسِيلَةُ إِلَى النِّعَمِ الْمُقِيمِ أَوْ يَسْتَلِذُّهُ الشَّرْعُ أَوْ الْمَلَائِكَةُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

وَقِيلَ: إِنَّهُ حَسَنٌ يَقْبَلُهُ الْعَقْلُ وَلَا يَرُدُّهُ، وَإِطْلَاقُ الْكَلِمِ عَلَى ذَلِكَ إِنْ كَانَ وَاحِدُهُ الْكَلِمَةُ بِالْمَعْنَى الْحَقِيقِيِّ ظَاهِرٌ لِتَضَمُّنِهِ عِدَّةَ كَلِمَاتٍ لَكِنْ فِي وَصْفِهِ بِالطَّيِّبِ بِالنَّظَرِ إِلَى غَيْرِ الْأَسْمِ الْجَلِيلِ خَفَاءً، وَلَعَلَّ ذَلِكَ بِاعْتِبَارِ خُصُوصِيَّةِ التَّرَكِيبِ، وَإِنْ كَانَ وَاحِدُهُ هُنَا الْكَلِمَةُ بِالْمَعْنَى الْمَجَازِيِّ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١١٥]، الْأَعْرَافِ: [١٣٧] وَ﴿كَلَا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾ [الْمُؤْمِنُونَ: ١٠٠] وَقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا شَاعِرٌ كَلِمَةُ لُبَيْدٍ» وَقَوْلِهِمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ، إِلَى مَا لَا يُحْصَى كَثْرَةً.

الشَّهَادَةُ إِنْ كَانَ عَنْ صِدْقٍ أَمِنْ عَذَابِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِنْ كَانَ ظَاهِرًا أَمِنْ فِي نَفْسِهِ وَدَمِهِ وَأَهْلِهِ وَحَرَمِهِ فِي الدُّنْيَا، وَلَا كَذَلِكَ الْعَمَلُ بِالْجَوَارِحِ، وَقَدْ ذَكَرْنَا ذَلِكَ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ (النِّسَاء: ٥٧).

وَوَجْهٌ آخَرُ: الْقَلْبُ هُوَ الْأَصْلُ، وَقَدْ تَقَدَّمَ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ) وَمَا فِي الْقَلْبِ لَا يَظْهَرُ إِلَّا بِاللِّسَانِ، وَمَا فِي اللِّسَانِ لَا يَتَبَيَّنُ صِدْقُهُ إِلَّا بِالْفِعْلِ، أَلَا تَرَى أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَتَكَلَّمُ بِكَلِمَةٍ إِلَّا عَنْ قَلْبٍ، وَأَمَّا الْفِعْلُ قَدْ يَكُونُ لَا عَنْ قَلْبٍ كَالْعَبَثِ بِالْحَيَّةِ: وَلَئِنْ النَّائِمُ لَا يَخْلُو عَنْ فِعْلٍ مِنْ حَرَكَةٍ وَتَقَلُّبٍ، وَهُوَ فِي أَكْثَرِ الْأَمْرِ لَا يَتَكَلَّمُ فِي نَوْمِهِ إِلَّا نَادِرًا، لِمَا ذَكَرْنَا أَنَّ الْكَلَامَ بِالْقَلْبِ وَلَا كَذَلِكَ الْعَمَلُ، فَالْقَوْلُ أَشْرَفُ.

وقال الرازي رحمه الله تعالى : قَوْلُهُ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ تَقْرِيرٌ لِبَيَانِ الْعِزَّةِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْكُفَّارَ كَانُوا يَقُولُونَ نَحْنُ لَا نَعْبُدُ مَنْ لَا نَرَاهُ وَلَا نَحْضُرُ عِنْدَهُ؛ لِأَنَّ الْبُعْدَ مِنَ الْمَلِكِ ذِلَّةٌ، فَقَالَ تَعَالَى: إِنْ كُنْتُمْ لَا تَصِلُونَ إِلَيْهِ، فَهُوَ يَسْمَعُ كَلَامَكُمْ وَيَقْبَلُ الطَّيِّبَ فَمَنْ قَبِلَ كَلَامَهُ وَصَعِدَ إِلَيْهِ فَهُوَ عَزِيزٌ وَمَنْ رَدَّ كَلَامَهُ فِي وَجْهِهِ فَهُوَ ذَلِيلٌ، وَأَمَّا هَذِهِ الْأَصْنَامُ لَا يَتَبَيَّنُ عِنْدَهَا الدَّلِيلُ مِنَ الْعَزِيزِ إِذْ لَا عِلْمَ لَهَا فَكُلُّ أَحَدٍ يَمَسُّهَا، وَكَذَلِكَ يَرَى عِلْمَكُمْ فَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا رَفَعَهُ إِلَيْهِ، وَمَنْ عَمِلَ سَيِّئًا رَدَّهُ عَلَيْهِ فَالْعَزِيزُ مِنَ الَّذِي عَمَلُهُ لَوَجْهِهِ وَالدَّلِيلُ مَنْ يُدْفَعُ الَّذِي عَمَلُهُ فِي وَجْهِهِ، وَأَمَّا هَذِهِ الْأَصْنَامُ فَلَا تَعْلَمُ شَيْئًا فَلَا عَزِيزٌ يَرْفَعُ عِنْدَهَا وَلَا ذَلِيلٌ، فَلَا عِزَّةَ يَهَا بَلْ عِلْمُهَا ذِلَّةٌ .

ثالثاً :قانون العزة والذِّلَّة: إن في الإنسان دوافع ثلاث أساسية، دافع إلى الطعام والشراب حفاظاً على الفرد، ودافع إلى المرأة أو إلى الجنس الآخر حفاظاً على النوع.

فلو أن الإنسان حقق الدافع الأول والثاني، فهناك دافع ثالث سماه علماء النفس تأكيد الذات، يمكن أن تسميه الاعتزاز بالكرامة، فقد يكون الإنسان طاعماً وناعماً، لكنه يهان، فلا يحتمل هذه الإهانة، ولعل من أشد أنواع العقوبات أن يُصَغَّرَ الإنسان، أو أن يهان، لذلك كانت الحاجة أساسية إلى أن تكون عزيزاً، إلى أن تكون كريماً، إلى أن تكون في موضع لست مهاناً فيه، ولست ذليلاً، فما القانون في ذلك ؟

العزة منحة إلهية لكل مؤمن :

هذه العزة في نفس المسلم، هذه العزة، والاعتزاز بالدين؛ عندما يكون رضىت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً، منبع العزة من اسم الله العزيز، والعزة يأخذها المسلم، ويرومها، وينالها، ويلتمسها من العزة التي هي صفة الله عز وجل، فهو يعتز بربه، ويطلب العزة منه إنه عزيز بجناب الله، وقد نهى الله المؤمنين عن الهوان، وجعلهم أعزة (وَلَا تَحْزَنُوا وَ أَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ) .

منبع العزة من اسم الله العزيز، والعزة يأخذها المسلم، ويرومها، وينالها، ويلتمسها من العزة التي هي صفة الله عز وجل، فهو يعتز بربه، ويطلب العزة منه إنه عزيز بجناب الله، وقد نهى الله المؤمنين عن الهوان، وجعلهم أعزة (وَلَا تَحْزَنُوا وَ أَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ) سورة آل عمران ١٣٩.

فلا تضعفوا بسبب ما جرى لكم من الهزائم في أحد وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ ستكون العاقبة لكم، والنصرة من نصيبكم يا أيها المؤمنون فلكم العقبى في الظفر، والانتصار على الأعداء.

رابعاً: العزة منها المحموده، ومنها المذمومة^١:

أما العزة المحموده فهي: "أن يعتز الانسان بربه وبدينه، وأن يكون مع المؤمنين ليناً متواضعاً، وعلى أعداء الله عزيزاً مترفعاً، ومن العزة المحموده الترفع عن الدنيا وسفاسف الأمور وتوافه القضايا."

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤].

وأما العزة المذمومة فهي: "البعد عن الوهاب، والفخر بالأنساب، والتعلق بالتراب، والتعالي على العباد، ورفض النصح والإرشاد."

قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [البقرة: ٢٠٤ - ٢٠٦].

١/ مقال بعنوان: في العزة كل لذة - للأستاذ محمد عبدالرحمن صادق - شبكة الألوكة الشرعية - بتصرف.

العزة: آية الله التي منحها لعباده المسلمين، واختصهم بها، وهي اللباس العظيم الذي خلعه على عباده؛ كما خلع على أعدائه أهل الكفر خلع الذل والمهانة (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا) سورة فاطر ١٠.

ولذلك كان الذين يبتغون العزة من الكافرين حقراء، أذلاء، ولو ظهرُوا أمام الناس بمظهر المنتصر؛ فإنهم في حقيقة أنفسهم أذلاء يحقرون أنفسهم (الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْبَتُهُمْ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةُ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا) سورة النساء ١٣٩.

يستمد المسلم إذاً عزه من قوة ربه، يستمد قوته من إيمانه بالله، فكلما كان أقوى إيماناً؛ كان أعز، وأمنع وأغلب.

خامساً: بعض مواقف العزة من حياة الصحابة والتابعين:

إن طالب العزة يلزمه التعرف على سيرة مَنْ أعزهم الله تعالى ممن سبقوه؛ ليحذو حذوهم، ويقتفي أثرهم، ويسير على دربهم، كما يلزمه الموائمة بين اللين والشدّة، وأن يعرف الفرق بين العزة والكبر، فيكون كالنطاسي الذي يضع الترياق في موضعه دون إفراط أو تفريط، فلولا قوة المسلمين ما رضخ الكفار في صلح الحديبية، ولا في فتح مكة، ولا تمت الفتوحات، ولولا اللين والرحمة ما جاءتهم الوفود، وما فتحت لهم البلاد، وما دان لهم العباد.

1/ موقف للعزة في غزوة الأحزاب: جاء في الرحيق المختوم للمباركفوري - رحمه الله - قال: "... كان لا بد من إقدام حاسم، يُفضي إلى تخاذل الأحزاب، وتحقيقاً لهذا الهدف أراد أن يصلح عينة بن حصن والحارث بن عوف رئيسي غطفان على ثلث ثمار المدينة، حتى ينصرفا بقومهما، ويخلو المسلمون لإلحاق الهزيمة الساحقة العاجلة على قريش، التي اختبروا مدى قوتها وبأسها مراراً، وجرت المرافضة على ذلك، فاستشار السعديين في ذلك، فقالوا: يا رسول الله، إن كان الله أمرك بهذا فسمعاً

وطاعة، وإن كان شيء تصنعه لنا فلا حاجة لنا فيه، لقد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قرى أو بيعًا، فحين أكرمنا الله بالإسلام، وهدانا له، وأعزنا بك نعطهم أموالنا؟ والله لا نعطهم إلا السيف، فصوب رأيهما، وقال: **(إنما هو شيء أصنعه لكم؛ لما رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة).**

٢/ موقف ربي بن عامر رضي الله عنه عندما بعثه سعد بن أبي وقاس رضي الله عنه لرستم:

جاء في البداية والنهاية لابن كثير - رحمه الله - قال: "ثم بعث إليه سعد رسولاً آخر بطلبه، وهو ربي بن عامر، فدخل عليه وقد زينوا مجلسه بالنمارق المذهبة، والزرايبي الحرير، وأظهر اليواقيت واللآلئ الثمينة، والزينة العظيمة، وعليه تاجه، وغير ذلك من الأمتعة الثمينة، وقد جلس على سرير من ذهب.

ودخل ربي بثياب صفيقة، وسيف وثرس، وفرس قصيرة، ولم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط، ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد، وأقبل وعليه سلاحه ودرعه وبيضة على رأسه، فقالوا له: ضع سلاحك، فقال: إني لم آتكم، وإنما جئتكم حين دعوتموني، فإن تركتموني هكذا وإلا رجعت، فقال رستم: ائذنوا له، فأقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق، فخرق عامتها، فقالوا له: ما جاء بكم؟ **فقال: الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه، ومن أبى قاتلناه أبداً حتى نفضي إلى موعود الله، قالوا: وما موعود الله؟ قال: الجنة لمن مات على قتال من أبى، والظفر لمن بقي.**

فقال رستم: قد سمعت مقالتيكم، فهل لكم أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه وتنظروا؟ قال: نعم، كم أحب إليكم؟ أيوماً أو يومين؟ قال: لا، بل حتى نكتب أهل رأينا

ورؤساء قومنا، فقال: ما سنّ لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نؤخر الأعداء عند اللقاء أكثر من ثلاث، فانظر في أمرك وأمرهم، واختَرْ واحدة من ثلاث بعد الأجل، فقال: أسيدهم أنت؟ قال: لا، ولكن المسلمون كالجسد الواحد، يُجير أدناهم على أعلاهم، فاجتمع رستم برؤساء قومه، فقال: هل رأيتم قط أعزَّ وأرجح من كلام هذا الرجل؟ فقالوا: معاذ الله أن تميل إلى شيء من هذا وتدع دينك لهذا الكلب! أما ترى إلى ثيابه؟! فقال: ويلكم! لا تنظروا إلى الثياب، وانظروا إلى الرأي والكلام والسيرة، **إن العرب يستخفون بالثياب والمأكّل، ويصونون الأحساب.**"

3/ موقف الرسائل التي أرسلها خالد رضي الله عنه إلى خاصة الفُرس وعامتهم:

جاء في تاريخ الطبري: "أجمع خالد أمره على منازلته الفرس في ساحات ملكهم بعد أن صفاه له الجو في العراق، وأمن ظهره بانحسار أمر فارس عن العرب، فيما بين الحيرة ودجلة.

وكان أهل فارس في هذه الفترة على خلاف شديد فيمن يولونه عليهم بعد موت كسراهم أزدشير، فانتَهز خالد هذه الفرصة وكتب إلى خاصتهم يقول: من خالد بن الوليد إلى ملوك فارس: أما بعد، فالحمد لله الذي حل نظامكم، ووَهَن كيدكم، وفرَّق كلمتكم، وأوهن بأسكم، وسلب أموالكم، وأزال عزكم، فإذا أتاكم كتابي فأسلموا تسلّموا، أو اعتقدوا من الذمة، وأجيبوا إلى الجزية، وإلا والله الذي لا إله إلا هو لأسيرن إليكم بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة، ويرغبون في الآخرة كما ترغبون في الدنيا"، وكتب إلى عامتهم.

فقال: "من خالد بن الوليد إلى مرازمة أهل فارس: الحمد لله الذي فضَّ خدمتكم، وفرَّق جمعكم، وأوهن بأسكم، وسلب أموالكم، وأزال عزكم، فإذا أتاكم كتابي فأسلموا تسلّموا، أو اعتقدوا من الذمة، وأجيبوا إلى الجزية، وإلا والله الذي لا إله

إلا هو لأسيرنَّ إليكم يقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة، ويرغبون في الآخرة كما ترغبون في الدنيا."

٤/ موقف سعيد بن المسيَّب مع عبدالملك بن مروان: جاء في سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي - رحمه الله - قال:

"عن ميمون بن مهران، قال: قدم عبدالملك بن مروان المدينة فامتنعت منه القائلةُ، واستيقظ، فقال لحاجبه: انظر هل في المسجد أحد من حدثنا؟ فخرج فإذا سعيد بن المسيَّب في حلقتة، فقام حيث ينظر إليه، ثم غمزه وأشار إليه بإصبعه، ثم ولى، فلم يتحرَّك سعيد، فقال: لا أراه فطن، فجاء ودنا منه، ثم غمزه، وقال: ألم ترني أشير إليك؟ قال: وما حاجتك؟ قال: أجِبْ أمير المؤمنين، فقال: إليَّ أرسلك؟ قال: لا، ولكن قال: انظر بعض حدثنا، فلم أرَ أحدًا أهياً منك، قال: اذهب فأعلِّمه أني لست من حدثنا، فخرج الحاجب وهو يقول: ما أرى هذا الشيخ إلا مجنوناً، وذهب فأخبر عبدالملك، فقال: ذاك سعيد بن المسيَّب، فدعَّه."

سادساً: بعض مواقف العزَّة من حياة بعض الأئمة المشهورين :

١/ موقف الإمام البخاري - رحمه الله - مع أمير بخارى:

روى (غنجار) - محدِّث بخارى - في تاريخه عن ابن منير: أن سلطان بخارى بعث إلى محمد بن إسماعيل البخاري يقول: "احمل إليَّ كتاب "الجامع" و"التاريخ" لأسمع منك"، فقال البخاري لرسوله: "قل له: أنا لا أُذِلُّ العلم، ولا آتي أبواب السلاطين، فإن كانت لك حاجة إلى شيء منه، فلتحضُرني في مسجدي، أو في داري"؛ اهـ

وجاء في كتاب "فيض القدير" للمناوي - رحمه الله -: "فينبغي للعالم ألا يشين علمه وتعليمه بالطمع، ولو ممن يعلمه، بنحو مال أو خدمة، وإن قلَّ، ولو على صورة الهدية التي لولا اشتغاله عليه لم يُهدِّها، وقد حث الأئمة على ألا يُدَسَّسَ العلم بالأطماع، ولا

يُذَلَّ بالذهاب إلى غير أهله من أبناء الدنيا بلا ضرورة، ولا إلى من يتعلمه منه، وإن عظم شأنه وكبر قدره وسلطانه.

والحكايات عن مالك بن أنس رحمه الله تعالى وغيره مشهورة؛ فعلى العالم تناول ما يحتاجه من الدنيا على الوجه المعتدل من القناعة لا الطمع، وأقل درجاته أن يستقذر التعلق بالدنيا، ولا يبالي بفوتها؛ فإنه أعلم الناس بخسستها وسرعة زوالها، وحقارتها وكثرة عنائها وقلة غنائها."

٢/ موقف العز بن عبدالسلام "سلطان العلماء" مع الصالح إسماعيل:

عندما كان العز بن عبدالسلام في دمشق، كان الحاكم رجلاً يقال له: "الملك الصالح إسماعيل" من بني أيوب، فوَلَّى العز بن عبدالسلام خطابة الجامع الأموي، وبعد فترة قام الملك الصالح إسماعيل هذا بالتحالف مع النصاري الصليبيين، أعداء الله ورسله، فحالفهم وسَلَّم لهم قلعة الشقيف، وصفد، وبعض الحصون، وبعض المدن؛ وذلك من أجل أن يستعين بهم على قتال الملك الصالح أيوب في مصر، فلما رأى العز بن عبدالسلام هذا الموقف الخائن الموالى لأعداء الله ورسله عليهم السلام، لم يصبر؛ فصعد على المنبر، وتكلم وأنكر على الصالح إسماعيل تحالفه مع الصليبيين، وقالها له صريحة، وقطع الدعاء له في الخطبة، بعدما كان اعتاد أن يدعو له، وختم الخطبة بقوله: "اللهم أبرم لهذه الأمة أمراً رشداً تُعز فيه وليك، وتُذل فيه عدوك، ويؤمر فيه بالمعروف، وينهى فيه عن المنكر"، ثم نزل.

وعرف الأمير الملك الصالح إسماعيل أنه يريد، فغضب عليه غضباً شديداً، وأمر بإبعاده عن الخطابة، وسجنه، وبعدما حصل الهرج والمرج، واضطرب أمر الناس، أخرجته من السجن ومنعه من الخطبة بعد ذلك.

وخرج العزُّ بن عبد السلام من دمشق مغضَبًا إلى جهة بيت المقدس، وصادف أن خرج الملك الصالح إسماعيل إلى تلك الجهة أيضًا والتقى أمراء النصارى قريبًا من بيت المقدس، فأرسل رجلًا من بطانته وقال له: "اذهب إلى العز بن عبد السلام، ولأطفه ولاينه بالكلام الحسن، واطلب منه أن يأتي إليّ، ويعتذر مني، ويعود إلى ما كان عليه"، فذهب الرجل إلى العز بن عبد السلام وقال له: "ليس بينك وبين أن تعود إلى منصبك وأعمالك وزيادة على ما كنت عليه إلا أن تأتي وتقبّل يد السلطان لا غير"، فضحك العز بن عبد السلام ضحكة الساخر، وقال: "يا مسكين، والله ما أرضى أن يقبّل الملك الصالح إسماعيل يدي، فضلًا عن أن أقبل يده، يا قوم، أنا في وادٍ وأنتم في وادٍ آخر، الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاكُم به"، قال: "إذن نسجّنك!"، فقال: "افعلوا ما بدا لكم"، فأخذوه وسجنوه في خيمة، فكان يقرأ فيها القرآن ويتعبّد ويذكر الله تعالى.

وفي إحدى المرات، كان الملك الصالح إسماعيل قد عقد اجتماعًا مع بعض زعماء النصارى الصليبيين، كان اجتماعهم قريبًا من العز بن عبد السلام بحيث يسمعون قراءته للقرآن، فقال: "هل تسمعون هذا الذي يقرأ؟"، قالوا: "نعم"، فقال متفاخرًا: "هذا هو أكبر قساوسة المسلمين، سجنّاه؛ لأنه اعترض علينا في محالفتنا لكم، وتسليمنا لكم بعض الحصون والقلاع، واتفاقنا معكم على قتال المصريين"، فقال له ملوك النصارى: "والله، لو كان هذا القسيسُ عندنا، لغسلنا رجليه وشربنا مرقته!"، لو كان عندنا رجل بهذا الإخلاص للأمة وبهذه القوة وبهذه الشجاعة، لكننا نغسل رجليه، ولشربنا الماء الذي غسلنا به رجليه، فأصيب الملك إسماعيل بالخيبة والذلّ، وكانت هذه بداية هزيمته وفشله، وجاءت جنود المصريين، وانتصرت عليه وعلى من كانوا متحالفين معه من الصليبيين، وأفرجت عن الإمام العز بن عبد السلام.

سابعاً: بعض مواقف العزّة من حياة بعض العلماء والمصلحين المتأخرين:

١/ موقف الشيخ سعيد الحلبي رحمه الله مع إبراهيم بن محمد علي حاكم مصر:

دَخَلَ إبراهيم باشا بن محمد علي حاكم مصر المسجد الأموي في وقت كان فيه عالم الشام الشيخ سعيد الحلبي يُلقي درسًا في المصلين، ومر إبراهيم باشا من جانب الشيخ، وكان مَادًّا رِجله، فلم يحركها، ولم يبدل جلسته، فاستاء إبراهيم باشا، واغتاظ غيظًا شديدًا، وخرج من المسجد، وقد أضمر في نفسه شرًّا بالشيخ، وما أن وصل قصره حتى حَفَّ به المنافقون من كل جانب، يزيّنون له الفتك بالشيخ الذي تحدّى جبروته وسلطانَه.

وما زالوا يؤلّبونه حتى أمر بإحضار الشيخ مكبًّا بالسلاسل، وما كاد الجند يتحركون لجلب الشيخ حتى عاد إبراهيم باشا فغيّر رأيه؛ فقد كان يعلم أن أي إساءة للشيخ ستفتح له أبوابًا من المشاكل لا قِبَل له بإغلاقها، وهداه تفكيره إلى طريقة أخرى ينتقم بها من الشيخ، طريقة الإغراء بالمال، فإذا قبله الشيخ ضمن ولاءه، وسقطت هيبتَه في نفوس المسلمين، فلا يبقى له تأثيرٌ عليهم.

وأسرع إبراهيم باشا فأرسل إلى الشيخ ألف ليرة ذهبية، وهو مبلغ يسيل له اللعاب في تلك الأيام، وطلب من وزيره أن يعطي المال للشيخ على مرأى ومسمع من تلامذته ومريديه، وانطلق الوزير بالمال إلى المسجد، واقترب من الشيخ وهو يلقي درسه، فألقى السلام، وقال للشيخ بصوت عالٍ سمعه كل من حول الشيخ: هذه ألف ليرة ذهبية يرى مولانا الباشا أن تستعين بها على أمرك، ونظر الشيخ نظرة إشفاق نحو الوزير، وقال له بهدوء وسكينة: يا بني، عُدْ بنقود سيدك ورُدّها إليه، وقل له: **(إن الذي يمد رِجله، لا يمد يده).**

٢/ موقف الشيخ عبدالحميد الجزائري رحمه الله مع المندوب السامي الفرنسي:

استدعى المندوب السامي الفرنسي . في سوريا . الشيخ عبدالحميد الجزائري وقال له: إما أن تقلع عن تلقين تلاميذك هذه الأفكار، وإلا أرسلت جنودًا لإغلاق المسجد الذي تنفث فيه هذه السموم ضدنا، وإخماد أصواتك المنكرة، فأجاب الشيخ عبدالحميد:

أيها الحاكم، إنك لا تستطيع ذلك، واستشاط الحاكم غضبًا: كيف لا أستطيع؟ قال الشيخ: إذا كنتُ في عُرْسٍ هنأت وعلمت المحتفلين، وإذا كنتُ في مأتمٍ وعظت المعزين، وإن جلستُ في قطارٍ علّمت المسافرين، وإن دخلت السجن أرشدت المسجونين، وإن قتلتموني ألهمت مشاعر المواطنين، وخيرٌ لك أيها الحاكم ألا تتعرّض للأمة في دينها ولغتها.

إن المواقفَ التي تم ذكرها ما هي إلا حفنة من بحر لا قاع له من العزّة التي خلفها الأوائل؛ لتكون لنا معينًا لا ينضب، وزادًا لا ينفد، والأمثلة على ذلك كثيرة، بل أكثر من أن تُعد، ومنها ما هو بين أيدينا إلى الآن، ولولا قول ابن مسعود رضي الله عنه: "مَنْ كَانَ **مُسْتَنًّا فَلَيْسَتْ بِيَمِينِهِ قَدَمَاتُ؛ فَإِنَّ الْحَيَّ لَا تَوْمَنَ عَلَيْهِ الْفِتْنَةُ**"؛ (رواه ابن عبد البر) - لذكرنا من النماذج الكثير والكثير، ولا بد علينا أن ندرك بل نوقن أننا رعاةٌ وحرّاس وأمناء على عزّة مَنْ أعزهم الله، وأمناء على تضحية مَنْ ضحّوا، وثبات مَنْ ثبتوا، وصمود مَنْ صمدوا؛ حتى لا نكون حلقة ضعيفة في هذه السلسلة المباركة الممتدة إلى يوم القيامة بإذنه تعالى، ولا يكون ذلك إلا بالإيمان والتقوى، والصبر والمصابرة، والطمع فيما عند الله تعالى، فما عند الله لا يُنالُ إلا بطاعة الله.

البشارة الخامسة عشرة

وعد إلهي بمزيد من الهداية والثبات لمن اتعظ بالآيات

عمدة هذه البشارة قوله تعالى : (وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اخْرَجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا * وَإِذَا لَاتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا * وَلَهْدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا) النساء (٦٦ - ٦٨) .

وجه البشارة : أن المسلم يسمع كثيرا من الخطب والمواعظ خلال الأسبوع الواحد فאלله يرشده إلى أن هذا الاستماع إنما يكون نافعا حين يجتهد للعمل ولا ينفعه مجرد الاستماع من هذا العالم أو ذالك الداعية كما لا يكفي التأثير ، ثم بشرته الآية بأربعة هوفي امس الحاجة إليها ، وهي : أن يعطى خيرا في الدنيا والآخرة، ويثبت على دينه ويعظم أجره على أعماله الصالحة ، ويزيده الله هداية في الصراط المستقيم .

ولما كان الكلام على هذه الآية طويل وممتع أحببت أن أقصر على بعض النقاط:

أولاً: فوائد من كلام المفسرين :

قوله تعالى : (وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ) من الأوامر والنواهي المقرونة بحكمها ،
وبيان فائدتها ، والوعد والوعيد لمن عمل بها ومن صد عنها

قوله تعالى : (لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ) في حفظ مصالحهم ، واعتزاز أنفسهم بارتقاء أمتهم ، وفي
عاقبة أمرهم وآخرتهم .

قوله تعالى : (لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا) في أمر دينهم ، التثبیت : التقوية بجعل
الشيء ثابتا راسخا ، وإنما كان العمل وإتيان الأمور الموعوظ بها في الدين يزيد العامل
قوة وثباتا ؛ لأن الأعمال هي التي يكون بها العلم الإجمالي المبهم تفصيليا جليا ، وهي
التي تطبع الأخلاق والملكات في نفس العامل ، وتبدد المخاوف والأوهام من نفسه ،
مثال ذلك : أن بذل المال في سبيل الله تعالى بأعمال البر آية من أقوى آيات الإيمان ،
وقربة من أكبر أسباب السعادة والرضوان ، فمن آمن بذلك ولم يعمل به لا يكون
علمه بمنافعه وفوائده له وللأمة والملة إلا ناقصا ، وكلما اعتن له سبب من أسباب
البذل تحداه في نفسه طائفة من أسباب الإمساك والبخل ، كالخوف من الفقر
والإملاق ، أو نقصان ماله عن مال بعض الأقران ، أو تعليل النفس بادخار ما احتيج
إلى بذله الآن ليوضع فيما هو خير وأنفع في مستقبل الزمان ، فإذا هو اعتاد البذل
صار السخاء خلقا له ، لا يثنيه وسواس ولا خوف ، واتسعت معرفته بطرق منافعه ،
ووضع المال في خير مواضعه .

أقول : وذكر الرازي في التثبیت ثلاثة أوجه :

- 1/ أن ذلك أقرب إلى ثباتهم واستمرارهم ، لأن الطاعة تدعو إلى مثلها .
- 2/ أن ذلك يكون أثبت في نفسه ؛ لأنه حق ، والحق ثابت والباطل زائل .
- 3/ أن الإنسان يطلب الخير أولا ، فإذا حصله طلب أن يكون الحاصل ثابتا باقيا ،
فقوله تعالى : لكان خيرا لهم إشارة إلى الحالة الأولى ، وقوله : وأشد تثبيثا إشارة إلى
الحالة الثانية .

وقال بعضهم : معنى قوله تعالى : (وأشد تثبिता) أي يكون في الأخذ بالتكليف الذي يطاق تثبيت على الحق، هو أشد تثبيت وأقواه. وكان في التكليف الذي يطاق تثبيت للحق؛ لأنه يمكن الاستمرار عليه، والاستمرار على فعل ما هو حق يثبته ويقرب الغاية منه، ولذلك كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يدعو إلى المداومة على الخير ولو كان قليلا، وقد قال -صلى الله عليه وسلم-: **"أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل"**.

وإن الاستمرار على طاعة الله يؤدي إلى مثلها، وإن الاستمرار على السهل يجعل المكلف قادرا على الصعب، ثم على الأصعب، وهكذا حتى يصل إلى أعلى درجات التكليف مشقة، فيكون بعد هذه الخطوات أمرا مستطاعا. وإذا وصل إلى ذلك يكون الأجر العظيم، لذا قال سبحانه: وإذا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما

وإنما قام المكلفون بما كلفوا، وأدوا حق الله تعالى، وقد زاد ثباتهم على الحق، ونالوا الخير، فإن لهم مع ذلك جزاء عظيما، لا حدود لعظمته.

وقد تأكدت عظمة الجزاء بأمر ثلاثة:

١/ **تنكيره**، فهذا التنكير يشير إلى أنه غير محدود بحدود، فهي عظمة أقصى ما يصل إليه الخيال.

٢/ **أنه قال إن ذلك من لدن الله تعالى**، وهذا شرف إضافي لهذا الجزاء، وهو جزاء يعلو على كل جزاء من الناس، ثم إنه جزاء يستهان في سبيله كل أذى.

٣/ **الوصف بالعظمة**، والذي وصفه بذلك هو الحكيم الخبير، والخلق العظيم.

وقوله تعالى (لَهْدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا) :

قال السعدي رحمه الله : رتب ما يحصل لهم على فعل ما يوعظون به، وهو أربعة أمور: (الرابع) الهداية إلى صراط مستقيم. وهذا عموم بعد خصوص، لشرف الهداية إلى الصراط المستقيم، من كونها متضمنة للعلم بالحق، ومحبته وإثاره

والعمل به، وتوقف السعادة والفلاح على ذلك، فمن هُديَ إلى صراط مستقيم، فقد وُفِّقَ لكل خير و اندفع عنه كل شر وضير.

ثانياً : عشرة وسائل تعين على الثبات على دين الله تعالى ^١:

ومن رحمة الله عز وجل بنا أن بين لنا في كتابه وعلى لسان نبيه وفي سيرته صلى الله عليه وسلم وسائل كثيرة للثبات. أستعرض معك أيها القارئ الكريم بعضاً منها:

١/ **الإقبال على القرآن:** القرآن العظيم وسيلة الثبات الأولى، وهو حبل الله المتين، والنور المبين، من تمسك به عصمه الله، ومن اتبعه أنجاه الله، ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم. نص الله على أن الغاية التي من أجلها أنزل هذا الكتاب منجماً مفصلاً هي التثبيت، فقال تعالى في معرض الرد على شبه الكفار: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً . وَلَا يَأْتُوكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا} [الفرقان: ٣٢، ٣٣]. لماذا كان القرآن مصدراً للتثبيت؟

- **لأنه يزرع الإيمان ويزكي النفس بالصلة بالله.** - لأن تلك الآيات تنزل برداً وسلاماً على قلب المؤمن فلا تعصف به رياح الفتنة، ويطمئن قلبه بذكر الله.

- **لأنه يزود المسلم بالتصورات والقيم الصحيحة التي يستطيع من خلالها أن يقوّم الأوضاع من حوله،** وكذا الموازين التي تهئ له الحكم على الأمور فلا يضطرب حكمه، ولا تتناقض أقواله باختلاف الأحداث والأشخاص.

٢/ **التزام شرع الله والعمل الصالح:** قال الله تعالى: {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ} [إبراهيم:

١/ وسائل الثبات على دين الله - للشيخ المنجد - موقع طريق الإسلام - باختصار .

[٢٧]. قال قتادة: "أما الحياة الدنيا فيثبتهم بالخير والعمل الصالح، وفي الآخرة في القبر".
(تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٢١/٣).

وكذا روي عن غير واحد من السلف وقال سبحانه: {وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا} [النساء: ٦٦] أي على الحق.

وهذا بين، وإلا فهل نتوقع ثباتاً من الكسالى القاعدين عن الأعمال الصالحة إذا أطلت الفتنة برأسها وادلهم الخطب؟! ولكن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم صراطاً مستقيماً.
ولذلك كان صلى الله عليه وسلم يثابر على الأعمال الصالحة، وكان أحب العمل إليه أدومه وإن قل.

٣/ تدبر قصص الأنبياء ودراساتها للتأسي والعمل: والدليل على ذلك قوله تعالى: {وَكَلَّا نَقْصُصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ} [هود: ١٢٠].

فما نزلت تلك الآيات على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم للتلهي والتفكه، وإنما لغرض عظيم هو تثبيت فؤاد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفئدة المؤمنين معه. فلو تأملت يا أخي قول الله عز وجل: {قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ . قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ . وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ} [الأنبياء: ٦٨ - ٧٠] قال ابن عباس: "كان آخر قول إبراهيم حين أُلقي في النار: حسبي الله ونعم الوكيل" (الفتح ٢٢/٨). ألا تشعر بمعنى من معاني الثبات أمام الطغيان والعذاب يدخل نفسك وأنت تتأمل هذه القصة؟

- لو تدبرت قول الله عز وجل في قصة موسى: {فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ . قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ} [الشعراء: ٦١، ٦٢]. ألا تحس بمعنى آخر من معاني الثبات عند ملاحقة الطالبين، والثبات في لحظات الشدة وسط صرخات اليائسين وأنت تتدبر هذه القصة؟ لو

استعرضت قصة سحرة فرعون، ذلك المثل العجيب للثلة التي ثبتت على الحق بعدما تبين.

٤/ الدعاء: من صفات عباد الله المؤمنين أنهم يتوجهون إلى الله بالدعاء أن

يثبتهم: {رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا} [آل عمران: ٨]، {...رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا

وَتَبِّتْ أَقْدَامَنَا..} [البقرة: ٢٨٥]، ولما كانت «قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من

أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء» رواه الإمام أحمد ومسلم كان رسول

الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول: **«يا مقلب القلوب ثبت قلبي على**

دينك» رواه الترمذي وهو في صحيح الجامع (٧٨٦٤).

٥/ ذكر الله: وهو من أعظم أسباب التثبيت؛ تأمل في هذا الاقتران بين

الأمرين في قوله عز وجل: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا**

اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ} [الأنفال: ٤٥].

فجعله من أعظم ما يعين على الثبات في الجهاد. (وتأمل أبدان فارس والروم

كيف خانتهن أحوج ما كانوا إليها) -ما بين القوسين مقتبس من كلام ابن القيم رحمه الله في الداء والدواء-

بالرغم من قلة عدد وعدة الذاكرين الله كثيراً.

وبماذا استعان يوسف عليه السلام في الثبات أمام فتنة المرأة ذات المنصب

والجمال لما دعته إلى نفسها؟ ألم يدخل في حصن (معاذ الله) فتكسرت أمواج

جنود الشهوات على أسوار حصنه؟ وكذا تكون فاعلية الأذكار في تثبيت

المؤمنين.

٦/ الحرص على أن يسلك المسلم طريقاً صحيحاً؛ والطريق الوحيد الصحيح

الذي يجب على كل مسلم سلوكه هو طريق أهل السنة والجماعة، طريق

الطائفة المنصورة والفرقة الناجية، أهل العقيدة الصافية والمنهج السليم

واتباع السنة والدليل، والتميز عن أعداء الله ومفاصلة أهل الباطل. وإذا أردت

أن تعرف قيمة هذا في الثبات فتأمل وسائل نفسك: لماذا ضل كثير من

السابقين واللاحقين وتحيروا ولم تثبت أقدامهم على الصراط المستقيم ولا

ماتوا عليه؟ أو وصلوا إليه بعدما انقضى جل عمرهم وأضاعوا أوقاتاً ثمينة من حياتهم

٧/ الثقة بالطريق: لا شك أنه كلما ازدادت الثقة بالطريق الذي يسلكه المسلم، كان ثباته عليه أكبر.. ولهذا وسائل منها:

- **استشعار أن الصراط المستقيم الذي تسلكه يا أخي ليس جديداً ولا وليد قرنك وزمانك،** وإنما هو طريق عتيق (عتيق صفة مدح) قد سار فيه من قبلك الأنبياء والصديقون والعلماء والشهداء والصالحون، فتزول غربتك، وتبديل وحشتك أنساً، وكأبتك فرحاً وسروراً، لأنك تشعر بأن أولئك كلهم أخوة لك في الطريق والمنهج.

- **الشعور بالاصطفاء،** قال الله عز وجل: {الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى} [النمل: ٥٩]. وقال: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا} [فاطر: ٣٢]. وقال: {وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ} [يوسف: ٦].

وكما أن الله اصطفى الأنبياء فللصالحين نصيب من ذلك الاصطفاء وهو ما ورثوه من علوم الأنبياء. ماذا يكون شعورك لو أن الله خلقك جماداً، أو دابة، أو كافراً ملحداً، أو داعياً إلى بدعة، أو فاسقاً، أو مسلماً غير داعية لإسلامه، أو داعية في طريق متعدد الأخطاء؟ ألا ترى أن شعورك باصطفاء الله لك وأن جعلك داعية من أهل السنة والجماعة من عوامل ثباتك على منهجك وطريقك؟

٨/ ممارسة الدعوة إلى الله عز وجل: النفس إن لم تتحرك تأسن، وإن لم تنطلق تتعفن، ومن أعظم مجالات انطلاق النفس: الدعوة إلى الله، فهي وظيفة الرسل، ومخلصه النفس من العذاب؛ فيها تتفجر الطاقات، وتنجز المهمات {فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ} [الشورى: ١٥].

وليس يصح شيء يقال فيه "فلان لا يتقدم ولا يتأخر" فإن النفس إن لم تشغلها بالطاعة شغلتك بالمعصية، والإيمان يزيد وينقص. والدعوة إلى المنهج الصحيح ببذل الوقت، وكدّ الفكر، وسعي الجسد، وانطلاق اللسان، بحيث تصبح الدعوة هم المسلم وشغله الشاغل يقطع الطريق على محاولات الشيطان بالإضلال والفتنة، زد على ذلك ما يحدث في نفس الداعية من الشعور بالتحدي تجاه العوائق، والمعاندين، وأهل الباطل، وهو يسير في مشواره الدعوي، فيرتقي إيمانه، وتقوى أركانه. فتكون الدعوة بالإضافة لما فيها من الأجر العظيم وسيلة من وسائل الثبات، والحماية من التراجع والتقهقر، لأن الذي يُهاجم لا يحتاج للدفاع، والله مع الدعاة يثبتهم ويسدد خطاهم والداعية كالطبيب يحارب المرض بخبرته وعلمه.

٩/ التأمل في نعيم الجنة وعذاب النار وتذكر الموت: والجنة بلاد الأفراح، وسلوة الأحزان، ومحط رحال المؤمنين والنفس مفطورة على عدم التضحية والعمل والثبات إلا بمقابل يهون عليها الصعاب، ويدلل لها ما في الطريق من عقبات ومشاق. فالذي يعلم الأجر تهون عليه مشقة العمل، وهو يسير ويعلم بأنه إذا لم يثبت فستفوته جنة عرضها السموات والأرض، ثم إن النفس تحتاج إلى ما يرفعها من الطين الأرضي ويجذبها إلى العالم العلوي. وكان النبي صلى الله عليه وسلم يستخدم ذكر الجنة في تثبيت أصحابه، ففي الحديث الحسن الصحيح مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بياسر وعمار وأم عمار وهم يؤذون في الله تعالى فقال لهم: «صبراً آل ياسر صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة»^١.

وكذلك كان صلى الله عليه وسلم يقول للأنصار: «إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض» (متفق عليه). وكذلك من تأمل حال الفريقين في

١/ رواه الحاكم ٣/٣٨٣، وهو حديث حسن صحيح، انظر تخريجه في فقه السيرة تحقيق الألباني - ص (١٠٣).

القبر، والحشر، والحساب، والميزان، والصراط، وسائر منازل الآخرة. كما أن تذكر الموت يحيي المسلم من التردّي، ويوقفه عند حدود الله فلا يتعدها. لأنه إذا علم أن الموت أدنى من شرك نعله، وأن ساعته قد تكون بعد لحظات، فكيف تسول له نفسه أن يزل، أو يتمادى في الانحراف، ولأجل هذا قال صلى الله عليه وسلم: «أكثرُوا من ذكر هادم اللذات»^١

١٠/ معرفة حقيقة الباطل وعدم الاغترار به: في قول الله عز وجل: {لَا يَغُرُّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ} [آل عمران: ١٩٦] تسرية عن المؤمنين وتثبيت لهم. وفي قوله عز وجل: {فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً} [الرعد: ١٧] عبرة لأولي الألباب في عدم الخوف من الباطل والاستسلام له. ومن طريقة القرآن فضح أهل الباطل وتعرية أهدافهم ووسائلهم: {وَكَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ} [الأنعام: ٥٥] حتى لا يؤخذ المسلمون على حين غرة، وحتى يعرفوا من أين يؤتى الإسلام. وكم سمعنا ورأينا حركات تهاوت ودعاة زلت أقدامهم ففقدوا الثبات لما أتوا من حيث لم يحتسبوا بسبب جهلهم بأعدائهم.

١/ (رواه الترمذي ٥٠/٢ وصححه في إرواء الغليل ١٤٥/٣).

البشارة السادسة عشرة

مَنْ أَحْسَنَ صَحْبَةَ الْقُرْآنِ نَالَ طَهَارَةَ الْقَلْبِ وَرَاحَةَ النَّفْسِ وَعَافِيَةَ الْبَدَنِ

عمدة هذه البشارة قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ) يونس (٥٧) وقوله تعالى : (وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا) الإسراء (٨٢) .

وجه البشارة من الآية : ما من أحد من البشر إلا ويعاني من أمراض إن لم تكن حسية فمعنوية كالحسد والكبر والعجب والرياء وحب الدنيا ونحوها ، وربما يعاني البعض من أمراض فكرية أعني وجود شبهات في الأحكام العقدية أو الشرعية .

إذن وجه البشارة أن يقال : إن الله تعالى وصف القرآن بأنه شفاء وقد تكرر هذا الوصف في عدد من الآيات مطلقا كما في آية الإسراء ومقيدا كما في آية يونس ، وهذا يعني أنه شفاء لكل مرض قلبي أو عقلي أو نفسي أو عضوي - كما سيأتي بيانه - ومعلوم أن الشفاء لا يأتي إلا بدواء ولا بد لكل دواء من اسعمالات معينة حتى يكون

سببا في الشفاء ، ومن هنا كان الاستشفاء بالقرآن لا يتم إلا بكثرة تلاوته والاستماع إليه مع الحب والتعظيم والإجلال ، ولذا قلت : مَنْ أَحْسَنَ صَحْبَةَ الْقُرْآنِ نَالَ طَهَارَةَ الْقَلْبِ وَرَاحَةَ النَّفْسِ وَعَافِيَةَ الْبَدَنِ .

وتفصيل القول في هذه البشارة يتضمن عددا من النقاط ، كالآتي :

أولا : كلام المفسرين في الآية الكريمة^١ : مجمل ما قاله المفسرون يشير إلى أن الآية تعني :

١/ القرآن شفاء : والشفاء هو أن يسقيه أدوية تزيل عن باطنه تلك الأخلاط الفاسدة الموجبة للمرض ، فكَذَلِكَ الْأَنْبِيَاءُ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - إِذَا مَنَعُوا الْخَلْقَ عَنْ فِعْلِ الْمُحْظُورَاتِ صَارَتْ ظَوَاهِرُهُمْ مَطْهَرَةً عَنْ فِعْلِ مَا لَا يَنْبَغِي ، فَحِينَئِذٍ يَأْمُرُونَهُمْ بِطَهَارَةِ الْبَاطِنِ ، وَذَلِكَ بِالْمُجَاهَدَةِ فِي إِزَالَةِ الْأَخْلَاقِ الذَّمِيمَةِ ، وَتَحْصِيلِ الْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ ، وَأَوَائِلُهَا مَا ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي قَوْلِهِ : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) النحل (٩٠) .

وذلك لأننا ذكرنا أن العقائد الفاسدة والأخلاق الذميمة جارية مجرى الأمراض ، فإذا زالت فقد حصل الشفاء للقلب ، وصار جوهر الروح مطهرا عن جميع النقوش المانعة عن مطالعة عالم الملكوت .

٢/ القرآن شفاء لما في الصدور من أمراض الشهوات الصادة عن الانقياد للشرع وأمراض الشبهات، القادحة في العلم اليقيني، فإن ما فيه من المواعظ والترغيب والترهيب، والوعد والوعيد، مما يوجب للعبد الرغبة والرغبة.

١/ تفسير الرازي والألوسي والمنار والسعدي .

وإذا وجدت في قلبك الرغبة في الخير، والرغبة من الشر، ونمتا على تكرار ما يرد إليها من معاني القرآن، أوجب ذلك تقديم مراد الله على مراد النفس، وصار ما يرضي الله أحب إلى العبد من شهوة نفسه.

وإذا صح القلب من مرضه، ورفل بأثواب العافية، تبعته الجوارح كلها، فإنها تصلح بصلاحه، وتفسد بفساده.

٣/ تفصيل رائع للرازي في الاسشفاء بالقرآن : قال رحمه الله تعالى : جميع القرآن شفاء للمؤمنين، واعلم أن القرآن شفاء من : الأمراض الروحانية ، وشفاء أيضا من الأمراض الجسمية :

أما كونه شفاء من الأمراض الروحانية فظاهر : وذلك لأن الأمراض الروحانية نوعان : الاعتقادات الباطلة والأخلاق المذمومة .

أما الاعتقادات الباطلة فأشدها فسادا الاعتقادات الفاسدة في الإلهيات والنبوات والمعاد والقضاء والقدر ، والقرآن كتاب مشتمل على دلائل المذهب الحق في هذه المطالب ، وإبطال المذاهب الباطلة فيها ، ولما كان أقوى الأمراض الروحانية هو الخطأ في هذه المطالب ، والقرآن مشتمل على الدلائل الكاشفة عما في هذه المذاهب الباطلة من العيوب الباطنة لا جرم كان القرآن شفاء من هذا النوع من المرض الروحاني .

وأما الأخلاق المذمومة فالقرآن مشتمل على تفصيلها وتعريف ما فيها من المفساد والإرشاد إلى الأخلاق الفاضلة الكاملة والأعمال المحمودة فكان القرآن شفاء من هذا النوع من المرض فثبت أن القرآن شفاء من جميع الأمراض الروحانية ، وأما كونه شفاء من الأمراض الجسمية فلأن التبرك بقراءته يدفع كثيرا من الأمراض ، ولما اعترف الجمهور من الفلاسفة وأصحاب الطلسمات بأن لقراءة الرقي المجهولة والعزائم التي لا يفهم منها شيء أثارا عظيمة في تحصيل المنافع ودفع المفساد ، فلأن تكون

قراءة هذا القرآن العظيم المشتمل على ذكر الله وكبريائه وتعظيم الملائكة المقربين وتحقير المردة والشياطين سببا لحصول النفع في الدين والدنيا كان أولى .

ثانياً : القرآن شفاء من الأمراض البدنية كما يشفي من الأمراض القلبية ^١ :

والأدلة على ذلك كثيرة ، منها :

ما ورد في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: انطلق نفرٌ من أصحاب النبي صَلَّى الله عليه وسلّم في سفرة سافروها، حتّى نزلوا على حيٍّ من أحياء العرب، فاستضافوهم، فأبوا أن يُضيّفوهم، فلدغ سيّد ذلك الحي، فسعوا له بكلّ شيء، لا ينفعه شيءٌ، فقال بعضهم: لو أتيتم هؤلاء الرّهط الذين نزلوا، لعَلّهم أن يكون عند بعضهم شيء، فأتوهم، فقالوا: يا أيّها الرّهط، إنّ سيّدنا لدغ، وسعينا له بكلّ شيء، لا ينفعه، فهل عند أحدٍ منكم من شيء؟ فقال بعضهم: نعم، والله، إنّّي لأرقي، ولكن استضفناكم، فلم تُضيّفونا، فما أنا براقٍ حتّى تجعلوا لنا جُعلاً، فصالحوهم على قطعٍ من الغنم، فانطلق يتفّل عليه، ويقرا: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾، فكأنّما نُشِطَ من عقال، فانطلق يمشي وما به قلبه، قال: فأوفّوهم جُعْلهم الذي صالحوهم عليه، فقال بعضهم: اقتسموا، فقال الذي رَقِيَ: لا تفعلوا، حتّى نأتي رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلّم - فنذكّر له الذي كان، فننظر ما يأمرنا، فقَدِموا على رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم فذكروا له ذلك، فقال: **(وما يُدريك أنّها رُقِيّة؟)**، ثم قال: **(قد أصبتم، اقسّموا، واضربوا لي معكم سهماً).**

وفي ذلك يقول ابن القيم - رحمه الله -: "فقد تضمّن هذا الحديث حصولَ شفاءٍ هذا اللديغ بقراءة الفاتحة عليه، فأغنّته عن الدّواء، وربّما بلغت من شفائه ما لم يبلغه الدّواء" ^١.

١/ من أراد التوسع في هذا الموضوع يمكنه مرجعة كتاب (كيف تعالج مريضك بالرقية الشرعية) - تأليف الشيخ عبد الله بن محمد السدحان .

ويقول رحمه الله في كتابه زاد المعاد : (فالقرآن هو الشفاء التام من جميع الأدواء القلبية والبدينية ، وأدواء الدنيا والآخرة ، وما كل أحد يؤهل ولا يوفق للاستشفاء به ، وإذا أحسن العليل التداوي به ووضعه على دائه بصدق وإيمان وقبول تام واعتقاد جازم واستيفاء شروطه لم يقامه الداء أبداً ، وكيف تقاوم الأدواء كلام رب الأرض والسماء الذي لو نزل على الجبال لصدعها أو على الأرض لقطّعها ؟ فما من مرض من أمراض القلوب والأبدان إلا وفي القرآن سبيل الدلالة على دوائه وسببه ، فمن لم يشفه القرآن فلا شفاه الله ، ومن لم يكفه فلا كفاه الله) .

قال ابن كثير - رحمه الله : "وقد ورد أنَّ أمير المؤمنين عمر - رضي الله عنه - كان يُرقى ويحصن بالفاتحة... وقد سمّاها رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلّم - : " بالراقية والشافية"؛ "تفسير القرآن العظيم، تفسير سورة الفاتحة".

الأصل في التداوي هو^٢: أن يكون بالقرآن ، ثم بالأسباب الدوائية حتى في الأمراض العضوية ، لا كما يزعمه جهلة القراء من أن مَنْ كان مرضه عضوياً فليذهب إلى المستشفيات ، ومن كان مرضه نفسياً فليذهب إلى العيادات النفسية ، أما إن كان مرضه روحياً فعلاجه بالقراءة !!

فمن أين لهم هذا التقسيم ؟ فالقرآن طِب القلوب ودواؤها وعافية الأبدان وشفائها ، قال تعالى : (ونزل من القرآن ما هو شفاء) .

وانظر إلى كلمة شفاء ، ولم يقل دواء لأنها نتيجة ظاهرة ، أما الدواء فيحتمل أن يشفي وقد لا يشفي . ولابد من اليقين وحسن الظن بالله (لأن من شروط انتفاع العليل بالدواء قبوله واعتقاد النفع به) . ولا يجرب كلام الله لأن هذا خلل في الاعتقاد ، فلو جرب ماء زمزم مثلاً لم ينتفع به ، إذا لم يُصاحب ذلك باليقين واعتقاد النفع به .

١/ مدارج السالكين (٦٧/١).

٢/ كيف تعالج مريضك بالرقية الشرعية - تأليف الشيخ عبد الله بن محمد السدحان .

ثالثاً : كيفية الاستشفاء بالاستماع إلى القرآن^١ :

يقول الأستاذ : عبد الدائم الكحيل^٢ : أخي القارئ! أقول لك وبثقة تامة وعن تجربة، يمكنك بتغيير بسيط في حياتك أن تحصل على نتائج كبيرة جداً وغير متوقعة وقد تغير حياتك بالكامل كما غير حياتي من قبلك. الإجراء المطلوب هو أن تستمع للقرآن قدر المستطاع صباحاً وظهراً ومساءً وأنت نائم، وحين تستيقظ وقبل النوم، وفي كل أوقاتك.

إن سماع القرآن لن يكلفك سوى أن يكون لديك أي وسيلة للاستماع مثل كمبيوتر محمول، أو مسجلة كاسيت، أو فلاش صغير مع سماعات أذن، أو تلفزيون أو راديو، حيث تقوم بالاستماع فقط لأي شيء تصادفه من آيات القرآن.

إن صوت القرآن هو عبارة عن أمواج صوتية لها تردد محدد، وطول موجة محدد، وهذه الأمواج تنشر حقولاً اهتزازية تؤثر على خلايا الدماغ وتحقق إعادة التوازن لها، مما يمنحها مناعة كبيرة في مقاومة الأمراض بما فيها السرطان، إذ أن السرطان ما هو إلا خلل في عمل الخلايا، والتأثير بسماع القرآن على هذه الخلايا يعيد برمجتها من جديد، وكأننا أمام كمبيوتر مليء بالفيروسات ثم قمنا بعملية "فرمتة" وإدخال برامج

١/ موقع أسرار الإعجاز العلمي موقع مخصص لأبحاث ومقالات عبد الدائم الكحيل .

٢/ عبد الدائم صالح الكحيل (١٣٨٥ هـ - ٥ مايو ١٩٦٦ م مدينة حمص في سوريا) باحث في مجال الإعجاز العلمي في القرآن والسنة النبوية وله العديد من الأعمال المنشورة ، منها : روائع الإعجاز العلمي في القرآن الكريم. -- الله يتجلى في آياته. -أسرار الكون بين العلم والقرآن. - معجزة السبع المثاني. أسرار (الم) في القرآن الكريم. - حقائق تكشف أسرار القصة القرآنية. - معجزة القرن الحادي والعشرين. - معجزة (قل هو الله أحد). -معجزة القرآن في عصر المعلوماتية. - سلسلة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة (كتيبات ١-١٢). -سلسلة معجزة الرقم سبعة في القرآن الكريم (كتيبات ١-١٢). - أسرار إعجاز القرآن: ٧٠ حقيقة رقمية تشهد على صدق القرآن.

جديدة فيصبح أدائه عالياً، هذا يتعلق ببرامجنا بنا نحن البشر فكيف بالبرامج التي يحملها كلام خالق البشر سبحانه وتعالى؟

رابعاً : التأثير المذهل لسماع القرآن على سبيل العموم^١ : إن السماع المتكرر للآيات يعطي الفوائد التالية والمؤكد:

- زيادة في مناعة الجسم.
- زيادة في القدرة على الإبداع.
- زيادة القدرة على التركيز.
- علاج أمراض مزمنة ومستعصية.
- تغيير ملموس في السلوك والقدرة على التعامل مع الآخرين وكسب ثقتهم.
- الهدوء النفسي وعلاج التوتر العصبي.
- علاج الانفعالات والغضب وسرعة التهور.
- القدرة على اتخاذ القرارات السليمة.
- سوف تنسى أي شيء له علاقة بالخوف أو التردد أو القلق.
- تطوير الشخصية والحصول على شخصية أقوى.
- علاج لكثير من الأمراض العادية مثل التحسس والرشح والزكام والصداع.
- تحسن القدرة على النطق وسرعة الكلام.
- وقاية من أمراض خبيثة كالسرطان وغيره.

١١/ موقع أسرار الإعجاز العلمي موقع مخصص لأبحاث ومقالات عبد الدائم الكحيل .

- تغير في العادات السيئة مثل الإفراط في الطعام وترك الدخان.

يتابع الكحيل : أخي القارئ: إن هذه الأشياء حدثت معي وقد كنت ذات يوم مدخناً ولا أتصور نفسي أنني أترك الدخان، ولكنني بعد مداومة سماع القرآن وجدت نفسي أترك الدخان دون أي جهد، بل إنني أستغرب كيف تغيرت حياتي كلها ولماذا؟ ولكنني بعدما قرأت أساليب حديثة للعلاج ومنها العلاج بالصوت والذبذبات الصوتية عرفت سرّ التغير الكبير في حياتي، ألا وهو سماع القرآن، لأنني ببساطة لم أقم بأي شيء آخر سوى الاستماع المستمر للقرآن الكريم.

وأختم هذا البحث الإيماني بحقيقة لمستها وعشتها وهي أنك مهما أعطيت من وقتك للقرآن فلن ينقص هذا الوقت! بل على العكس ستكتشف دائماً أن لديك زيادة في الوقت، وإذا كان النبي الكريم صلى الله عليه وسلم يقول: ما نقص مال من صدقة، فإنه يمكننا القول: ما نقص وقت من سماع قرآن، أي أننا لو أنفقنا كل وقتنا على سماع القرآن فسوف نجد أن الله سيبارك لنا في هذا الوقت وسيهيئ لنا أعمال الخير وسيوفر علينا الكثير من ضياع الوقت والمشاكل، بل سوف تجد أن العمل الذي كان يستغرق معك عدة أيام لتحقيقه، سوف تجد بعد مداومة سماع القرآن أن نفس العمل سيتحقق في دقائق معدودة!!

نسأل الله تعالى أن يجعل القرآن شفاء لما في صدورنا ونوراً لنا في الدنيا والآخرة ولنفرح برحمة الله وفضله أن منّ علينا بكتاب كله شفاء ورحمة وخاطبنا فقال: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ) [يونس: ٥٧-٥٨].

خامساً : حالات مرضية شفيت ببركة الاسشفاء بالقرآن^١ :

الحالة الأولى : رجل كان مصاباً بمرض السرطان وقد حاول العلاج هنا في المملكة ولكن قيل له : لا علاج لك إلا في الدول الغربية !!

اضطر للذهاب إلى أمريكا وكان معه أخوه ، وبعد فحصه قال الطبيب لمرافقه : إنه لا يمكن علاج هذا المرض فقد استفحل وسيبقى على هذه الحال حتى يموت !!

وفي الليل تذر أخوه المرافق قول الله تعالى (وإذا مرضت فهو يشفين) فأخذ يقرأ عليه طوال الليل ما استطاع من سورة الفاتحة حتى سورة الناس ، وبعدها نام ، فلما جاء الغد وجد أن أخاه بدأ يتحسن ! فأعاد عليه القراءة مرة أخرى كما فعل في الأولى ، وبدأ التحسن واضحاً عليه ، فكرر القراءة عليه عدة مرات ، وبعد أن تم إعادة الفحص مرة أخرى قال الطبيب لأخيه مستغرباً : هل هذا هو المريض الذي فحصناه في المرة السابقة ؟! أجابه نعم فقد شفي هذا الرجل بتوفيق من الله ثم بقراءة القرآن الكريم عليه .

الحالة الثانية : فتاة صالحة على خلق ودين .. شاء الله أن تصاب بمرض عضال ألا وهو سرطان الكبد ، حُملت إلى المستشفى وبعد فترة قال الأطباء لأخيها إن حالتها تزداد سوءاً وقد تموت في أية لحظة !!

ولما شعرت الفتاة بأن حالتها سيئة طلبت من أخيها أن يأتي لها بمصحف لتقرأ فيه ، وأخذت تتلو آيات الله في الليل والنهار وكلما قرأت نفثت في كفيها ثم مسحته به ما استطاعت من جسدها ، وهكذا استمرت أياماً وليالي عدة ، وكانت المفاجأة للأطباء أن الفتاة تتحسن يوماً بعد يوم وبوادر الشفاء تبدو على محياها ، فتعجب الأطباء من ذلك ... واستمرت على ذلك حتى شفيت تماماً والحمد لله .

١/ مقال بعنوان : صفة مجربة علاجا مدهشا لجميع الأمراض – للأستاذ عادل أبو عبد الرحمن - مجلة القمة العدد الخامس ذو القعدة ١٤٢٥ هـ - نقلا عن موقع صيد الفوائد – (انتقيت بعض الحالات بحسب ما يناسب المقام) .

الحالة الثالثة : أقيم في إحدى المستشفيات ندوة عن الرضاعة الطبيعية ، فأخذت الدكتورة تشرح للحاضرات أهمية الرضاعة الطبيعية وفوائدها للأم والطفل ، فقامت إحدى الحاضرات ورفعت ابنتها الصغيرة وقالت : هذه أكبر مثال على فوائد الرضاعة ، فهي الوحيدة من أخواتها التي أرضعتها من ثديي ، فلم تكمل الشهر الرابع إلا وأصبحت تجلس ، وفي الشهر السادس بدأت تحبو ، ثم مشت قبل إكمال الشهر العاشر !!وعندما خرجت الأم من الندوة سقطت الطفلة على الأرض وتشنجت وانشلت يديها ورجليها ، وجلست الأم تبكي أمامها ماذا تفعل بها وما الذي أصابها فجأة ...؟! **إلى أن هداها الله لتذهب بها إلى إحدى الأخوات الصالحات ، لترقي - بالرقية الشرعية - طفلتها واستمرت معها فترة أسبوعين أو أكثر ، بعدها بدأت تعود صحتها وجوارحها شيئاً فشيئاً إلى أن شفاها الله ، ولله الحمد والمنة .**

الحالة الرابعة : امرأة مريضة منذ ست سنوات تقريباً وقد ظهرت عليها أعراض المرض من مثل : الوسواس في الغسل ، وضعف البنية ، وترك الصلاة نهائياً ، والبعد عن الزوج ..ذهب بها زوجها إلى الأطباء ولم تستفد منهم شيئاً ، ثم أحالوها إلى الطبيب النفسي ونفس النتيجة ، وأخيراً ذكروا لها أحد القراء - المعالج بالرقية الشرعية - فذهبت إليه وقرأ عليها **فترة قصيرة فتحسن حالتها في فترة قصيرة إلى خمسين في المائة ، واستمرت على القراءة لمدة عام كامل حتى تحسنت تماماً والحمد لله .**

الحالة الخامسة : كنت أشعر أن المحافظة على الصلاة أمر صعب جداً ، في البداية كنت أحاول أداؤها ولكن مع الزمن بدأت أشعر بما يشبه الملل والخوف ، وقلة النوم ، وفقدان الشهية ، حتى أفلت مني زمام نفسي ..قصرت كثيراً في واجباتي الدينية ، صرت أشعر بالكراهية لنفسي ، أتهرب من كل إنسان يذكرني بالله والعبادة .. انغمست في المعاصي !!ولكنني كنت أبكي في الليل خوفاً من الله حتى أنام ، واشتكت حالتي لقريب لي فأشار علي بالرقية الشرعية ، فبدأت باستعمالها بنفسي ، وبعد فترة

وجيزة شعرت بأني أحياء من جديد ، حيث بدأت تلك المظاهر السيئة تنقشع من حياتي ، وعُدت إلى ربي وإلى صلاتي واستقامتي أحسن مما كنت عليه ولله الحمد .

الحالة السادسة : رجل أصيب بفشل كلوي منذ عدة سنوات ، وكان من شدة مرضه أنه صار يحتاج إلى الغسيل يوماً بعد يوم ، حتى شعر بالتعب والإرهاق ، وأصبحت صورة الموت تترأى بين عينيه كل لحظة !!

ولم يفكر في يوم من الأيام أو يخطر على باله أن يكون للرقية وقراءة القرآن نفع أو تأثير في شفائه من هذا المرض الذي ظاهره عضوياً ، إلى أن قيل له : لماذا لا تستعمل الرقية الشرعية ، **وبعد إلحاح واستعمال لها إذ به يجد الشفاء والعافية** خلال أشهر قليلة ولله الحمد .

الحالة السابعة : امرأة حامل ، وفي الشهر الثالث أخبرتها الطبيبة من خلال الأشعة الصوتية بأن الطفل خلقه مشوه !! أصابها الحزن والجزع بعد سماع هذا النبأ ، ولما أخبرت هذه المرأة إحدى صديقاتها بذلك أشارت عليها بسرعة إسقاطه قبل أن يكبر ! ولكنها لم تفعل خوفاً من الله وعقوبته .. أما صديقتها الأخرى فإنها أشارت عليها بحسن التوكل على الله وصدق اللجوء إليه **وكثرة التقرب إليه بصالح الأعمال واستعمال الرقية الشرعية** .. فلما فعلت ذلك بصدق وإخلاص ، إذا بها تُنجب ذكراً جميلاً وبدون تشوهات خلقية ، وعاش إلى أن كبر ولله الحمد ، بخلاف إخوته الذكور الذين كانوا يموتون فور ولادتهم !!

وأختم بما قاله الشيخ السدحان :

وقد تمت بحمد الله القراءة على كثير من الأمراض وبخاصة المستعصية والتي سببها الشيطان منها ، مثل : السرطان ، الجلطة ، الربو المزمن ، الشلل الرباعي ، العقم ، السكر ، القلب ، وغيرها ، وتم الشفاء منها بفضل من الله ومنّة .

البشارة السابعة عشرة

أولياء الله تعالى يرون الرؤى المبشرة لهم بخيري الدنيا والآخرة

عمدة هذه البشارة قوله تعالى : (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ
(٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا
تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) يونس (٦٢-٦٤).

وجه البشارة : أن الاتقياء وهم في سيرهم إلى الله تعالى قد يعترهم ما يعتري البشر
من الملل والكسل ، أو يأتي الشيطان لأحدهم فيشككه في قبول العمل ، أو تميل

نفسه إلى شئ من الشهوات فيميل إليها ويغفل عن بعض العمل ، وحينها يريه الله تعالى رؤيا صالحة تنفض عنه الغبار وتنشطه لمواصلته سيره إلى العزيز الغفار .

ولقد شبه بعضهم الرؤيا الصالحة بالاستراحات التي تكون في الطريق البري أو باللافتات الإرشادية حيث يطمئن المسافر إلى أنه لا يزال يمشي في الطريق الصحيح فهو يجد استراحة بين الحين والآخر أو يجد لافتة تبين له أنه بقي كذا كيلو متر ، ومتى ما فقد هذه الأشياء شك في طريقه ، وفي نفس الوقت إذا نزل في استراحة على الطريق لا يطيل المقام فيها بل يواصل سيره، وهكذا المؤمن إذا رأى رؤيا صالحة فإنه تطمئنه ولكن لا يقف عندها ويظن أنه قد وصل إلى مبتغاه ، والله أعلم

أولاً: ما جاء في تفسير الآية الكريمة^١:

١/ قال الرازي : وأما قوله تعالى : (لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة) ففيه أقوال :

الأول : المراد منه الرؤيا الصالحة ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - : أنه قال : " البشرى هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له " وعنه عليه الصلاة والسلام : " ذهبت النبوة وبقيت المبشرات " وعنه عليه الصلاة والسلام : " الرؤيا الصالحة من الله ، والحلم من الشيطان ، فإذا حلم أحدكم حلما يخافه فليتعوذ منه وليبصق عن شماله ثلاث مرات فإنه لا يضره " وعنه - صلى الله عليه وسلم - : " الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزء من النبوة " وعن ابن مسعود : الرؤيا ثلاثة : لهم بهم به الرجل من النهار فيراه في الليل ، وحضور الشيطان ، والرؤيا التي هي الرؤيا الصادقة .

وعن إبراهيم الرؤيا ثلاثة : فالمبشرة من الله جزء من سبعين جزءا من النبوة ، والشئ بهم به أحدكم بالنهار فعله يراه بالليل ، والتخويف من الشيطان ، فإذا رأى أحدكم ما يحزنه فليقل : أعوذ بما عادت به ملائكة الله من شر رؤياي التي رأيته أن تضربي في دنياي أو في آخري .

واعلم أنا إذا حملنا قوله : (لهم البشرى) على الرؤيا الصادقة فظاهر هذا النص يقتضي أن لا تحصل هذه الحالة إلا لهم ، والعقل أيضا يدل عليه ، وذلك لأن ولي الله هو الذي يكون مستغرق القلب والروح بذكر الله ، ومن كان كذلك فهو عند النوم لا يبقى في روحه إلا معرفة الله ، ومن المعلوم أن معرفة الله ونور جلال الله لا يفيد إلا الحق والصدق ، وأما من يكون متوزع الفكر على أحوال هذا العالم الكدر المظلم ، فإنه إذا نام يبقى كذلك ، فلا جرم لا اعتماد على رؤياه ، فلهذا السبب قال : (لهم البشرى في الحياة الدنيا) على سبيل الحصر والتخصيص .

القول الثاني : في تفسير البشرى ، أنها عبارة عن محبة الناس له وعن ذكرهم إياه بالثناء الحسن ؛ عن أبي ذر قال : قلت : يا رسول الله إن الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس ! فقال : " تلك عاجل بشرى المؤمن " .

ذهب أكثر المفسرين إلى أن المراد بالبشرى : الرؤيا الصالحة، لما رواه الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم : أنه قال : (البشرى هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له) وعنه عليه الصلاة والسلام : (ذهبت النبوة وبقيت المبشرات) أخرجه أحمد وابن ماجه وصححه ابن خزيمة .

ثانياً : أهمية الرؤيا الصالحة في الإسلام :

واعلم أن المباحث العقلية تقوي هذا المعنى ، وذلك أن الكمال محبوب لذاته لا لغيره ، وكل من اتصف بصفة من صفات الكمال ، صار محبوباً لكل أحد ، ولا كمال للعبد أعلى وأشرف من كونه مستغرق القلب بمعرفة الله ، مستغرق اللسان بذكر الله ، مستغرق الجوارح والأعضاء بعبودية الله ، فإذا ظهر عليه أمر من هذا الباب ، صارت الألسنة جارية بمدحه ، والقلوب مجبولة على حبه ، وكلما كانت هذه الصفات الشريفة أكثر ، كانت هذه المحبة أقوى ، وأيضاً فنور معرفة الله مخدوم بالذات ، ففي أي قلب حضر صار ذلك الإنسان مخدوماً بالطبع ، ألا ترى أن البهائم والسباع قد تكون أقوى من الإنسان ، ثم إنها إذا شاهدت الإنسان هابته وفرت منه وما ذاك إلا لمهابة النفس الناطقة .

والقول الثالث : في تفسير البشرى أنها عبارة عن حصول البشرى لهم عند الموت قال تعالى : (تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة) [فصلت : ٣٠] وأما البشرى في الآخرة فسلام الملائكة عليهم كما قال تعالى : (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليهم) [الرعد : ٢٣] وسلام الله عليهم كما قال : (سلام قولاً من رب رحيم) [يس : ٥٨] ويندرج في هذا الباب ما ذكره الله في هذا الكتاب الكريم من بياض وجوههم وإعطاء الصحائف بأيامهم ، وما يلحقون فيها من الأحوال السارة ، فكل ذلك من المبشرات .

والقول الرابع : أن ذلك عبارة عما بشر الله عباده المتقين في كتابه وعلى ألسنة أنبيائه من جنته وكريم ثوابه ودليله قوله : (يبشركم ربهم برحمة منه ورضوان) [التوبة : ٢١] .

واعلم أن لفظ البشارة مشتق من خبر سار يظهر أثره في بشرة الوجه ، فكل ما كان كذلك دخل في هذه الآية ، ومجموع الأمور المذكورة مشتركة في هذه الصفة ، فيكون الكل داخلاً فيه فكل ما يتعلق من هذه الوجوه بالدنيا فهو داخل تحت قوله : (لهم البشرى في الحياة الدنيا) وكل ما يتعلق بالآخرة فهو داخل تحت قوله : (وفي الآخرة) ثم إنه تعالى لما ذكر صفة أولياء الله وشرح أحوالهم قال تعالى : (لا تبديل لكلمات الله) والمراد أنه لا خلف فيها ، والكلمة والقول سواء ، ونظيره قوله : (ما يبدل القول لدي) [ق : ٢٩] وهذا أحد ما يقوي أن المراد بالبشرى وعد الله بالثواب والكرامة لمن أطاعه بقوله : (يبشركم ربهم برحمة منه ورضوان) ثم بين تعالى أن : (ذلك هو الفوز العظيم) وهو كقوله تعالى : (وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملكا كبيرا) [الإنسان : ٢٠] ثم قال القاضي : قوله : (لا تبديل لكلمات الله) يدل على أنها قابلة للتبديل ، وكل ما قبل العدم امتنع أن يكون قديماً . ونظير هذا الاستدلال بحصول النسخ على أن حكم الله تعالى لا يكون قديماً وقد سبق الكلام على أمثال هذه الوجوه .

يوجد بين المسلمين مَنْ يظن أن ما يراه النائم لا تأثير له في حياته ولهذا لا يهتم بما يراه في منامه بل والعض يظن أن الرؤى كلها لا تخرج عن كونها نوع من الخرافات ونسي هؤلاء أو جهلوا ما ورد في الكتاب والسنة من نصوص تدل دلالة واضحة على أهمية الرؤى في حياة الناس ولهذا أحببت أن أسوق بعض تلك النصوص ، فأقول :

١/ أخرج الإمام أحمد عن أبي الدرداء وعن عبادة بن الصامت من طريقين أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال في تفسير قوله تعالى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ قال صلى الله عليه و سلم عن البشري في الحياة الدنيا: **(الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو ترى له)**.

٢/ إن تخصيص دواوين الحديث كتابا للرؤيا أو كتابا للتعبير لهو دلالة قاطعة على أن هذا الجزء المقدس من النبوة من صلب الدين لا من هامشه ، نجد عند الإمام البخاري في كتاب التعبير عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: **(أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه و سلم من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم)**. فرؤيا الأنبياء وحي، وتصديق ما يوحى إليهم مناما، وتنفيذه صدق لعصمتهم من الشيطان.

٣/ قال الله تعالى عن عبده إبراهيم لما صدق رؤيا ذبح ولده إسماعيل وبدأ في التنفيذ: ﴿وناديناہ أن یا ابراهيم قد صدقت الرؤیا إنا كذلك نجزي المحسنين﴾. (سورة الصافات، الآية: ١٠٤-١٠٥).

فتصديق الرؤيا من سمات الإحسان. فهو باب الغيب الذي بقي مفتوحا لوصلة الصالحين برهيم.

٤/ روى البخاري وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: **(لم يبق من بعدي من النبوة إلا المبشرات)** ، قالوا: وما المبشرات؟ قال : **(الرؤيا الصالحة)**.

وعنه أيضا أنه صلى الله عليه و سلم قال: (إذا اقترب الزمان لم تكذب رؤيا المؤمن تكذب ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزء من النبوة وما كان من النبوة فإنه لا يكذب).

٥/ أخرج الإمام مالك في الموطأ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم كان إذا انصرف من صلاة الغداة يقول: (هل رأى أحد منكم رؤيا؟) ويقول: (ليس يبقى بعدي من النبوة إلا الرؤيا الصالحة).

٦/ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: (من رآني في المنام فسيراني في اليقظة أو لكانما رآني في اليقظة لا يتمثل الشيطان بي) الحديث أخرجه الشيخان.

وأخرج البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه و سلم يقول: (من رآني فقد رأى الحق فإن الشيطان لا يتكوني).

٧/ لقد كان رسول الله صلى الله عليه و سلم والصحابة رضي الله عنهم من بعده يرون في منامهم ما يقترح عليهم خياراً جهادياً، أويشهرهم بنصر الله ، ودليل ذلك ما رواه البخاري عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه و سلم قال: (رأيت في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل، فذهب وهي إلى أنها اليمامة أو هَجَر، فإذا هي المدينة يثرب. ورأيت في رؤياي هذه أني هزرت سيفاً فانقطع صدره فإذا هو ما أصيب من المؤمنين يوم أحد ، ثم هزرته بأخرى فعاد أحسن ما كان، فإذا هو ما جاء الله به من الفتح، واجتماع المؤمنين).

وسار على نهج الصحابة الكرام معظم صالحى هذه الأمة الذين امتلأت كتب مناقبهم بما جاد الله عليهم من رؤيا رسول الله صلى الله عليه و سلم. وهي رؤيا حق.

ثالثاً: أنواع الرؤى والاحلام: ما يراه النائم في نومه على ثلاثة أنواع كما بينها النبي صلى الله عليه و سلم في الحديث : (والرؤيا ثلاثة: فرؤيا الصالحة بشرى من الله.

ورؤيا تحزين من الشيطان. ورؤيا مما يحدث المرء نفسه. فإن رأى أحدكم ما يكره، فليقم فليصل. ولا يحدث بها الناس) أخرجه مسلم في كتاب الرؤيا ٢٢٦٣.

وقد شرح العلماء هذه الأنواع الثلاث بقولهم :

النوع الأول : حديث الملك : وهي الرؤيا الصادقة التي يمكن أن تفسر. ويمكن أن تأتي في ثلاث صور :-

الأولى : أن تأتي صريحة بمعنى أن ما يراه الشخص يتحقق كما رآه تماما، ولكن هذا النوع نادر الحدوث ولكنه موجود .

الثانية : وهو الأغلب: أن تأتي الرؤيا في شكل رموز تحتاج إلى تفسير أو بمعنى آخر فك لشفرة هذه الرموز وهذا لا يتأتى إلا لمعبر حاذق يعرف معنى هذه الرموز ويعرف تأويلها .

الثالثة : أن تأتي الرؤيا في شكل هاتف، بمعنى أن يسمع الرائي صوتا ولا يرى أحدا، وفي الغالب يكون هذا النوع من الرؤى صادقا بمعنى أن ما يسمعه الشخص من أخبار غالبا ما يتحقق، ولكن هذا النوع من الرؤى نادر الحدوث أيضا.

الثاني : حديث الشيطان : وهذا النوع لا يحتاج إلى تفسير. ودائما ما يتسم بالمطارادات والخوف والوجود في أماكن غريبة أو في المقابر أو الجبال أو الأماكن المهجورة ، وهو ما يفتقر في الغالب إلى الترتيب الزمني للأحداث. ويمكن أن نقول بشكل عام : كل منام يستيقظ منه الإنسان مرعوبا خائفا أو متضايقا، فإنه من الشيطان؛ ليحزنه ولكنه لا يضره هذا المنام وعليه ألا يلتفت إليه ويتعوذ بالله من شره ، فيقول أعوذ بالله مما أريت، وكذلك يتعوذ بالله من الشيطان. كما قد تكون بعض المنامات من الشيطان بهدف التسلي بالإنسي، وإذا تكررت مثل تلك المنامات، فقد يدل ذلك على حاجة الرائي للرقية الشرعية؛ لتخليص روحه من المس أو السحر أو العين .

الثالث : حديث النفس : وهي ما يحدث الإنسان به نفسه في اليقظة فيراه في منامه، ولا تأويل له أيضاً. ويتأثر هذا النوع من المنامات بحياة الإنسان في اليقظة، فمثلاً المهنة أو الوظيفة وكذلك الهوايات، يظهر لذلك أثر واضح في تلك المنامات. وقد تكون نابعة من رد فعل نفسي، فمثلاً الإنسان الذي تعرض للظلم أو القهر قد يرى في منامه أنه ينتصر ممن ظلمه ويرد له الصاع صاعين. وقد تكون نابعة من رغبات الإنسان المكبوتة، فالذي يتمنى منصباً ما أو شراء شيء ما يعجز عن شرائه أو تحقيقه في اليقظة، قد يرى ذلك يتحقق في المنام، وكل ذلك لا تفسير له، إنما يمكن اعتباره من قبيل التنفيس عن رغبات النفس ومكنوناتها.

رابعاً : من أعظم المبشرات رؤية سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في المنام ^١ :

لقد وردت أحاديث كثيرة في شأن رؤيا الحبيب صلى الله عليه وسلم في المنام ، منها:

- عن أبي هريرة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : **(والذي نفس محمد في يده ليأتين على أحدكم يوم ولا يراني ثم لأن يراني أحب إليه من أهله وماله معهم)** رواه مسلم . - وعنه أيضاً رضي الله عنه قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : **" مَنْ رآني في المنام فسيراني في اليقظة ، ولا يتمثل الشيطان بي)** رواه البخاري ومسلم . وفي رواية: **(فقد رأى الحق)** . وفي رواية: **(من رآني في النوم فقد رآني، فإنه لا ينبغي للشيطان أن يتشبه بي)**. رواه مسلم.

- **قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى :** (فيه إشارة إلى أن الله تعالى وإن أمكنه - الشيطان - من التصور في أي صورة أراد، فإنه لم يمكنه من التصور في صورة النبي صلى الله عليه وسلم. وقد ذهب إلى هذا جماعة قالوا في الحديث: إن محل ذلك إذا رآه الرائي على صورته التي كان عليه، ومنهم من ضيق الفرض في ذلك حتى قال لا بد أن

١ / لمزيد من التفصيل يُنظر كتابي : بذُرُ التَّمَامُ الجَامِعُ لِأَحَادِيثِ فَضَائِلِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - ص (٢٣٦) وما بعدها .

يراه على صورته التي قبض عليها حتى يعتبر الشعرات البيض التي لم تبلغ عشرين شعرة. ثم قال رحمه الله : والصواب التعميم من جميع حالاته بشرط أن تكون صورته الحقيقة في وقت ما سواء كان في شبابه أو رجوليته أو كهوليته أو آخر عمره، وقد يكون لما خالف ذلك تعبير ما يتعلق بالرأي. كذا في الفتح). انتهى^١

خامساً: آداب الرؤيا : وللرؤيا آداب نبوية لخصها ابن حجر العسقلاني في قوله:

حاصل ما ذكر من أدب الرؤيا الصالحة أن يحمد الله عليها وأن يستبشر بها ، وأن يتحدث بها لمن يحب دون من يكره.

وحاصل ما ذكر من أدب الرؤيا المكروهة أربعة أشياء: أن يتعوذ بالله من شرها، ومن شر الشيطان وأن يتفل حين يهب من نومه عن يساره ثلاثاً، ولا يذكرها لأحد أصلاً. ووقع عند المصنف في باب القيد في المنام عن أبي هريرة خامسة وهي: الصلاة) وزاد مسلم سادسة وهي التحول عن جنبه الذي كان عليه.

أخرج الإمام مسلم عن أبي سلمة رضي الله عنه قال: إن كنت لأرى الرؤيا فتمرضني حتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **(الرؤيا الصالحة من الله. فإذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدث بها إلا من يحب. وإن رأى ما يكره يتفل عن يساره ثلاثاً وليتعوذ بالله من شر الشيطان وشرها. ولا يحدث بها أحداً فإنها لن تضره).**

ومن الآداب ألا يقصها إلا على حبيب مصدق، أو لبيب حكيم لأن الرؤيا لأول عابر. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(الرؤيا على رجل طائر ما لم يحدث بها، فإذا حدث بها وقعت).** رواه الدارمي. ولكون التعبير علماً يختص به العزيز الحكيم من شاء من عباد.

سادساً: تنبيهات مهمة :

١/ نقلاً عن تحفة الأحوذى شرح سنن الترمذى - ٥٤٨/٦.

١/ الرؤيا الصالحة أمانة لا يحق للرأي أن يزيد فيها أو ينقص منها فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (مَنْ أَفَرَى الْفِرَى أَنْ يُرَى عَيْنُهُ مَا لَمْ تَرَ). الحديث أخرجه البخاري.

تتعبد الهمم السامقة، والنفوس الشريفة في الظفر بمن يأخذ بيدها إلى الله. فيها هي ذي الرسائل الغيبية تعرض عليك، وها هي ذي الأصوات الداعية تتوالى عليك، فهل من مستجيب؟

٢/ الصادق في طلب الله تعالى لا يتعلق بالرؤيا المخبرة عن أحداث العالم بل الذي يهيمه رؤيا تبشره بالسعادة الأبدية، وبقربه من ربه، ورضاه عنه وتشجعه على سلوك الطريق إلى الله لكنها لا تضيف حكما جديدا من أحكام الشريعة ولا تعطل حكما معروف والرؤيا الصالحة تسر ولا تغر كما قال الإمام مالك رضي الله عنه ، ويتم صلاحها ويتحقق إن تلتها توبة واجتهاد وتشمير .

٣/ لا يلزم من عدم الرؤية له عدم صلاح الشخص، ولا يلزم أيضاً من شدة التقوى والمتابعة رؤية الرسول صلى الله عليه وسلم، فالأمر في النهاية توفيق من الله تعالى، وفضل من الله يؤتيه من يشاء. والله أعلم.

البشارة الثامنة عشرة

إحسان الظن بالله تعالى يورث الإطمئنان والأمان في الدنيا والآخرة

عمدة هذه البشارة قوله تعالى : - حكاية لحال الثلاثة الذين خلفوا من الصحابة الكرام - ﴿وظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ﴾ [التوبة: ١١٨].

وجه البشارة من الآية : أن هؤلاء الصحابة الإجلاء رضي الله تعالى وهم الثلاثة الذين خلفوا عن غزوة تبوك لعلمهم بأن الله تعالى عليهم بكل شئ وحفيظ على كل شئ ورحيم بهم ، قد علم صدقهم في إيمانهم وعجزهم حين تخلفوا ، فأحسنوا به

الظن أن يتوب عليهم ويظهر لنبيه صلى الله عليه وسلم ولبقية الصحب الكرام أنهم لا يزالون باقين على الإيمان فكان الله عند ظنهم حيث أحسنوا به الظن فاتاب عليهم بل وزادهم بأن جعل قصتهم تتلى في كتابه.. ولوساء ظنهم بالله تعالى لهلكوا . ولهذا أقول : هكذا تعلمنا منهم رضي الله تعالى عنهم أن تقتدي بهم في صدقهم وحسن ظنهم بالله تعالى لأنه رحمن رحيم ولطيف كريم وودود محسن متفضل .

أولاً: ما قيل في تفسير الآية الكريمة :

قوله تعالى : ﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا ﴾ [التوبة: ١١٨]: الذين أُخِرُوا عن التوبة ، قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة ، والضحاك وغير واحد: (هم الثلاثة الذين خُلِفُوا؛ أي: عن التوبة)؛ ﴿حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾: أي: ضاقت عليهم مع سَعَتِهَا، ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمُ أَنْفُسُهُمْ﴾: أي: ضاقت أنفسهم بما اعتراها من الغمِّ والهَمِّ، بحيث لا يسعها أنسٌ ولا سرورٌ، وذلك بسبب أن الرسولَ عليه الصلاة والسلام دعا لمقاطعتهم؛ فكان أحدهم يلقي السلام على أقرب أقربائه فلا يردُّ عليه، وهجرتهم نساؤهم وأهلهم حتى تاب الله عليهم.

قوله تعالى : ﴿ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ﴾: أيقنوا أنه لا معتصمَ لهم من الله، وعن عذابه إلا بالرجوع والإنابة إلى الله سبحانه وتعالى. ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ﴾ [التوبة: ١١٨]: أي: رجع عليهم بالقبول والرحمة؛ ليستقيموا على التوبة، ويداوموا عليها .

وقال بعض المفسرين : { وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ } ويقرب معناه من قوله عليه الصلاة والسلام في دعائه: (أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بعفوك من غضبك وأعوذ بك منك) ومن الناس من قال معنى قوله: { وَظَنُّوا } أي علموا كما في

١/ لا ملجأ من الله إلا إليه - ثامر عبدالغني - شبكة الألوكة الشرعية .

قوله: {الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مَلَاقُوا رَبِّهِمْ} [البقرة: ٤٦] والدليل عليه أنه تعالى ذكر هذا الوصف في حقهم في معرض المدح والثناء، ولا يكون كذلك إلا وكانوا عالمين بأنه لا ملجأ من الله إلا إليه.

وقال آخرون : وقف أمرهم على الوحي وهم ما كانوا قاطعين أن الله ينزل الوحي ببراءتهم عن النفاق ولكنهم كانوا يجوزون أن تطول المدة في بقائهم في الشدة فالتعن عاد إلى تجويز كون تلك المدة قصيرة، ولما وصفهم الله بهذه الصفات الثلاث.

ثانياً : حديث في معنى الآية وشرحه :

ولعله من أشهر الأحاديث الواردة في معنى الآية قول النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه في الحديث القدسي: **(أنا عند ظنِّ عبدي بي)** رواه مسلم .

يقول الإمام القرطبي رحمه الله في كتابه: المفهم لشرح صحيح مسلم: قيل معنى ظن عبدي بي؛ يعني: ظن الإجابة عند الدعاء، وظن القبول عند التوبة، وظن المغفرة عند الاستغفار، وظن المجازاة عند فعل العبادة بشروطها تمسكاً بصادق وعده جل وعلا.

نعم؛ إن الواجب على المؤمن أن يكون واثقاً بربه، مستعيناً به، يعلم أنه جل وعلا لا يخلف الميعاد، ولا يخلف الوعد، والله جل وعلا قوله الحق، فما وعد به عباده، فإنه يوفيهم زيادته.

ثالثاً : ثمرات حسن الظن بالله تعالى^١ :

١- ينال العبد بحسن ظنه بربه كل ما يرجوه

١/ حسن الظن بالله - الحلقة الثانية - موقع زاد الواعظين - بتصرف .

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رضي الله عنه- أَنَّ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- دَخَلَ عَلَى شَابٍّ وَهُوَ فِي الْمَوْتِ، فَقَالَ: (كَيْفَ تَجِدُكَ؟)، قَالَ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَرْجُو اللَّهَ، وَإِنِّي أَخَافُ ذُنُوبِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- (لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ مَا يَرْجُو وَأَمَنَهُ مِمَّا يَخَافُ). رواه الترمذي وابن ماجه وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح (٥٠٦/١).

قال ابن القيم: كلما كان العبد حسن الظن بالله، حسن الرجاء له، صادق التوكل عليه، فإن الله لا يخيب أمله فيه البتة، فإنه سبحانه لا يخيب أمل آمل، ولا يضيع عمل عامل^١.

٢- حسن الظن بالله تعالى يثمر في قلب العبد تعظيم الرب جل وعلا:

كلما ازداد حسن ظن العبد بربه كلما ازداد له تعظيماً وإجلالاً، فإذا تكلم راعى سمع الله، وإذا عمل راعى نظر الله له، وإذا سكت راعى علم الله فيه، فهو في كل أحواله دائم المراقبة لربه سبحانه، وقد عاتب الله تعالى أقواماً لا يُجلون الله ولا يعظمونه بسبب سوء ظنهم فيه فقال: {مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا} [نوح: ١٣] أي: لا تعاملونه مُعَامَلَةً من توقُّرونه وتعظمونه، فلو عظَّمتم الله وعرفتم حقه وحَدِّتموه وأطعتموه وشكركموه، فطاعته سُبْحَانَهُ واجْتَنَابَ مَعَاصِيهِ وَالْحَيَاءَ مِنْهُ بِحَسَبِ وَقَارِهِ فِي الْقَلْبِ^٢.

٣- حسن الظن بالله يورث العبد السخاء والكرم:

قال الحسن البصري: نظرت في السخاء فما وجدتُ له أصلاً ولا فرعاً إلا حسن الظن بالله عز وجل، وأصل البخل وفرعه سوء الظن بالله عز وجل.

١/ مدارج السالكين (٤٦٩/١).

٢/ الفوائد - لابن القيم - (ص: ١٨٧) بتصرف.

وقال بعضهم: إن لله تعالى عبادا ينفقون على قدر بضائعهم ولله عباد ينفقون على قدر حسن الظن بالله تعالى.

٤- حسن الظن بالله سبب لاستجابة الدعاء :

كلما كان العبد حسن الظن بالله، حسن الرجاء له، فإن الله لا يخيب أمله فيه البتة، فإنه سبحانه لا يخيب أمل آمل، ولا يضيع عمل عامل^١.

لذلك جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم: (ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ). رواه الترمذي وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٠٨/١).

وعَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم:- (إِنَّ رَبَّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحْيِي مَنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ، أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا). رواه أبو داود والترمذي وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٧٥٧).

٥- حسن الظن بالله يوجب للعبد الرضا بالله وعن الله والرضا بقضائه وقدره

- إن المؤمن حين يحسن الظن بربه لا يزال قلبه مطمئناً ونفسه آمنة تغمرها سعادة الرضى بقضاء الله وقدره وخضوعه لربه سبحانه.

- فقلب المؤمن حسنُ الظن بربه يتوقع منه الخير دائماً، يتوقع منه الخير في السراء والضراء، ويؤمن بأن الله يريد به الخير في الحالين؛ وسر ذلك أن قلبه موصول بالله، وفيض الخير من الله لا ينقطع أبداً؛ فمتى اتصل القلب به لمس هذه الحقيقة الأصيلة وأحسها إحساس مباشرة وتذوق، عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ -رضي الله عنه-، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ: (ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا). رواه مسلم.

٦- حسن الظن بالله سبب لحصول التوكل والتفويض لله في كل الأمور :

١/ مدارج السالكين - لابن القيم - (٤٦٩/١).

الواثق بربه يعتقد أن الله تعالى إذا حكم فلا مردَّ له ولا معقب لحكمه، فمن قسم الله له نصيبًا من رزق أو طاعة أو مال أو علم أو غيره فلا بد له من حصوله، ومن لم يقسم له ذلك فلا سبيل إليه ألبتة، كما لا سبيل له إلى الطيران إلى السماء، وأمن من فوات نصيبه الذي قسمه الله له، وأمن أيضًا من نقصان ما كتب الله له، فيظفر بروح الرضا وسروره، مع العلم بضرورة الأخذ بالأسباب، فعن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرُزِقْتُمْ كَمَا يُرْزَقُ الطَّيْرُ، تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا). رواه الترمذي وابن ماجه قال -الله- تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٢-٣]، أي: فهو يكفيه ويغنيه عن غيره.

عن محمد بن شقيق بن إبراهيم البلخي، قال: قال أبي: (رأيت إبراهيم بن أدهم؛ وأُهدي إليه يوماً سلّةً من تين، وهو عند غروب الشمس، فقسّم على جيرانه وعلى الفقراء)؛ فقال له بعض أصحابه: (ألا تدع لنا شيئاً؟!) قال: (ألستم صوّاماً؟!) قالوا: (بلى!) قال: (سبحان الله! أما لكم حياء! أما لكم أمانة! أما تخافون من الله العقوبة بسوء ظنكم بالله تعالى، وطول الأمل إلى المساء؟! ثقوا بالله وأحسنوا الظنّ بموعد الله، فإن الله تعالى يقول: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٦].

قال ابن القيم: على قدر حسن ظنك بربك ورجائك له. يكون توكلك عليه. ولذلك فسر بعضهم التوكل بحسن الظن بالله. والتحقيق: أن حسن الظن به يدعو إلى التوكل عليه. إذ لا يتصور التوكل على من ساء ظنك به، ولا التوكل على من لا ترجوه^١.

٧- حسن الظن بالله أقرب الطرق إلى الفرج :

١/ مدارج السالكين (٢/ ١٢١).

من أحسن الظن بربه وتوكل عليه حق توكله جعل الله له في كل أمره يسراً ومن كل كرب فرجاً ومخرجاً، قَالَ بعض الصَّالِحِينَ: اسْتَغْمِلْ فِي كُلِّ بَلِيَّةٍ تَطْرُقُكَ حَسَنَ الظَّنِّ بِاللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ، فِي كَشْفِهَا، فَإِنْ ذَلِكَ أَقْرَبُ بِكَ إِلَى الْفَرَجِ^١.

قال تعالى: {أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلِلَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ} [النمل: ٦٢].

٨- حسن الظن يمنع العبد من القنوط من رحمة الله ويحمله على الإسراع إلى التوبة:

فَمَنْ أَحْسَنَ ظَنَّهُ بِاللَّهِ مِنْ يُقْبَلُ عَلَى اللَّهِ بِالتَّوْبَةِ، وَالْإِنَابَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَالتَّسْلِيمِ إِلَيْهِ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا، ﴿وَأَنْيَبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ﴾ [الزمر: ٥٤].

ومن عرف ربه وكرمه وجوده استصغر في جنب كرمه وعفوه ذنبه، قال الله جل وعلا: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} [الزمر: ٥٣].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله تعالى عنه-، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ؛ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ، وَهُوَ يَكْتُبُ عَلَى نَفْسِهِ، وَهُوَ وَضَعَ عِنْدَهُ عَلَى الْعَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي). متفق عليه وهذا يوافق قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ -رضي الله عنه- عَنِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا).

١/ الفرع بعد الشدة - للتنوخي (١/ ١٥٤).

وقال سُهَيْلٌ، أَخُو حَزْمِ الْقُطَيْبِيِّ: (رَأَيْتُ مَالِكَ بْنَ دِينَارٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي مَنَامِي، فَقُلْتُ: يَا أَبَا يَحْيَى! لَيْتَ شِعْرِي؛ مَاذَا قَدِمْتَ بِهِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟) قَالَ: (قَدِمْتُ بِذُنُوبٍ كَثِيرَةٍ، مَحَاها عَنِّي حُسْنُ الظَّنِّ بِاللَّهِ) ^١.

قال ابن القيم رحمه الله " ولا ريب أن حسن الظن بالله إنما يكون مع الإحسان ، فإن المحسن حسن الظن بربه ، أنه يجازيه على إحسانه ، ولا يخلف وعده ، ويقبل توبته ، وأما المسيء المصير على الكبائر والظلم والمخالفات فإن وحشة المعاصي والظلم والحرام تمنعه من حسن الظن بربه ... **وبالجملة فحسن الظن إنما يكون مع انعقاد أسباب النجاة ، وأما مع انعقاد أسباب الهلاك فلا يتأتى إحسان الظن "**

يَا رَبِّ إِنِّ عَظَمْتُ ذُنُوبِي كَثْرَةً فَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنْ عَفْوِكَ أَعْظَمُ

أَدْعُوكَ رَبَّ كَمَا أَمَرْتَ تَضَرَّعًا فَإِذَا رَدَدْتَ يَدِي فَمَنْ ذَا يَرْحَمُ

إِنْ كَانَ لَا يَرْجُوكَ إِلَّا مُحْسِنٌ فَمَنْ الَّذِي يَرْجُو الْمُسِيءَ الْمَجْرَمُ

مَالِي إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ إِلَّا الرِّجَا وَجَمِيلَ ظَنِّي ثُمَّ أَنِّي مُسْلِمٌ

٩- حسن الظن بالله عز وجل من أسباب حسن الخاتمة، وسوء الظن بالله من أسباب سوء الخاتمة :

فينبغي للعبد أن يعلم أن الله عز وجل لا يظلم مثقال ذرة، ولا يظلم الناس شيئاً، وهو عند ظن عبده به عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- (**يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي**).

فعن جابر بن عبد الله الأنصاري -رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبل موته بثلاثة أيام، يقول: (**لا يموتنَّ أحدكم إلا وهو يُحسِنُ الظَّنَّ بالله عز وجل**)؛ رواه مسلم وغيره.

١/ حسن الظن بالله - لابن أبي الدنيا (ص: ٢٣)، رقم: (٧).

ففي حال القوة والنشاط، يكون المسلم بين الخوف والرجاء، فنظره في تقصيره تجاه ربه يَجْلِبُ له الخوف منه، فيسعى في العمل ويُبادر بالتوبة من تقصيره ونظره في سعة رحمة الله، وأنَّ الله يَعْفِر الذنوب جميعًا يَجْلِبُ له الطمع في رحمته، وفي حال الاحتضار ليس بحاجة للخوف؛ لأنَّ الخوف يَحْمِلُ على ترك المناهي، وفعل الأوامر، فيغلب المحتضر جانب الرجاء برَّه ويُسْتَحِبُّ لمن كان عنده أن يذكِّره بالوارد في سعة رحمة الله وفضله ومغفرته لذنوب الموحِّدين، ويذكِّره بأبواب الخير التي كان يقوم بها في صحته، فعندما حضرت عمرو بن العاص - رضي الله عنه - الوفاة، جعل ابنه عبدالله - رضي الله عنه - يقول: يا أبتاه، أما بَشَّرَكَ رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - بكذا؟ أما بَشَّرَكَ رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - بكذا؛ رواه مسلم وأحمد .

قال المزنِّي رحمه الله تعالى : دَخَلْتُ عَلَى الشَّافِعِيِّ فِي عِلَّتِهِ الَّتِي مَاتَ فِيهَا فَقُلْتُ لَهُ: أبا عبدِ اللَّهِ كَيْفَ أَصْبَحْتَ؟ قَالَ: أَصْبَحْتُ مِنَ الدُّنْيَا رَاحِلًا وَلِإِخْوَانِي مُفَارِقًا وَبِكَأْسِ الْمَنِيَّةِ شَارِبًا، وَعَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَارِدًا، وَلَا أَذْرِي نَفْسِي تَصِيرُ إِلَى الْجَنَّةِ فَأُهَنِّئُهَا أَمْ إِلَى النَّارِ فَأُعْزِّئُهَا، ثُمَّ بَكَى وَقَالَ:

وَلَمَّا قَسَا قَلْبِي وَضَاقَتْ مَذَاهِبِي جَعَلْتُ رَجَائِي نَحْوَ عَفْوِكَ سُلَّمًا

تَعَاظَمَنِي ذَنْبِي فَلَمَّا قَرَنْتُهُ بِعَفْوِكَ رَبِّي كَانَ عَفْوُكَ أَعْظَمًا

وَمَا زِلْتُ ذَا عَفْوٍ عَنِ الذَّنْبِ سَيِّدِي تَجُودُ وَتَعْفُو مِنْهُ وَتَكْرُمًا

رابعاً: الدوافع التي تدفع إلى حسن الظن بالله تعالى^١:

إن مما ينبغي للمسلم معرفته أن يعلم ما هي البواعث التي تدعو إلى إحسان الظن بالله، وتحتّم على المؤمن أن يضعها بين عينيه، ويحاسب نفسه على الأخذ بها. فمن هذه البواعث:

١/ حسن الظن بالله - الحلقة الثانية - موقع زاد الواعظين - بتصرف .

١- معرفة الله بأسمائه وصفاته :

من أهم البواعث والأسباب التي تفضي إلى حسن الظن بالله معرفة الله بأسمائه وصفاته ، **قال ابن القيم رحمه الله تعالى** : وأكثر الناس يظنون بالله غير الحق ظن السوء فيما يختص بهم وفيما يفعله بغيرهم، ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله وعرف أسماءه وصفاته، وعرف موجب حمده وحكمته^١.

وقال رحمه الله تعالى : العلم بالله أصل كل علم، وهو أصل علم العبد بسعادته وكماله ومصالح دنياه وآخرته لكل صفة من صفات الله عبودية خاصة هي من موجباتها ومقتضياتها أعني من موجبات العلم بها والتحقق بمعرفتها وهذا مطرد في جميع أنواع العبودية التي على القلب والجوارح^٢.

٢- أن يعلم المسلم أن في امتثاله لهذا الأمر استجابة لله تعالى وامتنالاً لأمره ولوصية رسوله صلى الله عليه وسلم :

وقد قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ } [الأنفال: ٢٤] **قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى** : أكمل الناس حياة أكملهم استجابة لله ورسوله، فكل ما جاء عن الله ورسوله هو الحياة، ومن فاته جزء منه فاته جزء من الحياة، وفيه من الحياة بحسب استجابته، والحياة الطيبة في الجنة مبنية على كمال الحياة الطيبة في الدنيا^٣. فكفى بهذا باعثاً لكل مؤمن على امتثال كل ما أمر الله به رسوله -صلى الله عليه وسلم.

١/ زاد المعاد - لابن القيم - (٣/ ٢٠٦).

٢/ مفتاح دار السعادة - لابن القيم - (١/ ٨٦).

٣/ الفوائد - لابن القيم - (ص: ٨٨).

٣- إدراك أهمية حسن الظن بالله ومدى أثره على سلوك النفس المؤمنة في حياتها وحتى الممات ومعرفة حال السلف وعظيم تمسكهم بهذا الأمر وحثهم عليه؛ فإن هذا أخرى في الاقتداء بهم وتمثل منهجهم^١

٤- من أعظم ما يعين المؤمن على حسن الظن بربه معرفته بواسع رحمة الله وكرمه وجوده وعظيم إحسانه بالخلق مهما أذنبوا وقصروا في طاعته كما في حديث أنس بن مالك، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ، وَلَا أُبَالِي) رواه الترمذي .

خامساً: بعض مواطن حسن الظن بالله^٢:

١/ مجلة البيان (١٣٤/١٨) .

٢/ ملخص من عدد من المقالات : تذكير المبتلى والأواه بإحسان الظن - الشيخ فؤاد بن يوسف أبو سعيد - وحسن الظن بالله - للشيخ أحمد الزومان - ومن التوحيد إحسان الظن بالله المجيد - الشيخ د. خالد بن عبدالرحمن الشايع - شبكة الألوكة الشرعية .

أ- **التفاؤل بالأسماء والأحوال الحسنة من حسن الظن بالله** والتشاؤم بالأسماء والأحوال السيئة من سوء الظن بالله ولذلك فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**لَا عَدُوَّ وَلَا طَيْرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الْقَالُ**» قالوا: وَمَا الْقَالُ؟ قال: «**كَلِمَةُ طَيِّبَةٌ**».

ب- **ومن كان له صبيان صغار وليس له دنيا تكفيهم فلا يخف من المستقبل وليحسن الظن بربه** ويوقن أن الله سيكفيهم رزقهم ويتكفل تربيتهم ويصونهم من الشرور إذا أصلح قصده وعمله وتعاهدهم بالدعاء فصلاح الوالد يعود على الولد بالصلاح والبركة واليمن كما جاء في قصة الولدين الذين ترك لهم أبوهم كنزا فتولاهما الله وحرسهما.

قال تعالى: (وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ).

قال ابن كثير رحمه الله : "فيه دليل على أن الرجل الصالح يحفظ في ذريته وتشمل بركة عبادته لهم في الدنيا والآخرة بشفاعته فيهم، ورفع درجاتهم إلى أعلى درجة في الجنة، لتقر عينه بهم، كما جاء في القرآن ووردت به السنة".

ج - **حسن الظن بنصر المؤمنين على الكافرين :** إذا كنا منقادين ومذعنين لأحكام الله تعالى، فالبشرى البشرى! بإحسان الظن بالله، وقرب النصر من الله، فإذا كان حسنُ الظن بالله حاضرا؛ كان الأملُ في نفوس أهل الحق ودعائه دائما قائما، كيف لا يكون كذلك؟! وربهم قد قال وقوله الحق: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف: ٩].

وَوَعَدَ سَبْحَانَهُ وَهُوَ لَا يَخْلِفُ الْمِيعَادَ: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥].

فمهما طال عصرُ الظلمات؛ فإن النصرَ -لا محالة- آتٍ ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤].

فالنصر يحتاج إلى حسن الظن، وحسن الظن يحتاج إلى إحسان العمل، [فَعَنِ الْحَسَنِ البصري -رحمه الله قال:- لَيْسَ الْإِيمَانُ بِالتَّمَنِّي، وَلَكِنْ مَا وَقَرَ فِي الْقَلْبِ، وَصَدَقَهُ الْعَمَلُ. إِنَّ قَوْمًا أَلْهَتْهُمْ أَمَانِي الْمَغْفِرَةِ حَتَّى خَرَجُوا مِنَ الدُّنْيَا وَلَا حَسَنَةَ لَهُمْ، وَقَالُوا: نُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ، وَكَذَبُوا؛ لَوْ أَحْسَنُوا الظَّنَّ بِهِ لَأَحْسَنُوا الْعَمَلَ] ١.

سادساً: علامات حسن الظن بالله :

١ - شدة الاجتهاد في طاعة الله والبعد عن المعاصي :

١/ ذكره في البحر المحيط في التفسير (٤/ ٧٤).

مما ينبغي أن يعلم أنه لا بد من حسن العمل مع إحسان الظن، فلا معنى لحسن الظن مع سوء العمل، إذ قد يمنعه سوء عمله من إحسان الظن بربه، وأسوأ من ذلك سوء الظن بالله مع سوء العمل.

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى : لا ريب أن حسن الظن إنما يكون مع الإحسان، فإن المحسن حسن الظن بربه أن يجازيه على إحسانه ولا يخلف وعده، ويقبل توبته. وأما المسيء المصير على الكبائر والظلم والمخالفات فإن وحشة المعاصي والظلم والحرام تمنعه من حسن الظن بربه.

قال الحسن البصري رحمه الله تعالى : إنَّ المؤمنَ أحسنَ الظنِّ بربِّه فأحسنَ العملَ، وإنَّ المنافقَ أساءَ الظنَّ فأساءَ العملَ^١.

قال الخطابي رحمه الله تعالى: إنما يحسن بالله الظن من حسن عمله فكأنه قال أحسنوا أعمالكم يحسن ظنكم بالله فإن من ساء عمله ساء ظنه^٢.

٢- العمل للدين والأخذ بأسباب النصر والتمكين :

مَنْ أحسن الظن بربه عز وجل فأيقن صدق وعده وتمام أمره وما أخبر به من نصرة الدين والتمكين في الأرض للمؤمنين، اجتهد في العمل لهذا الدين العظيم، والدعوة إلى الله، والجهاد في سبيله بماله ونفسه غير هيَّاب ولا وَّجَلٍ، بل يُقَدِّم إقدام الواثق بنصر الله وموعوده وهو يلمح نور الفجر الصادق وقد أطلَّ على هذه الأمة، فلا يعلق آماله إلا بالله سبحانه وتعالى، ولا يتوكل إلا عليه^٣.

٣- راحة النفس وطمأنينة القلب بما قدره الله :

١/ الداء والدواء - لابن القيم - (ص: ٢٥).

٢/ معالم السنن - للخطابي - (١/ ٣٠١).

٣/ مجلة البيان (١٣٤/ ١٨).

إن المؤمن حين يحسن الظن بربه لا يزال قلبه مطمئناً ونفسه آمنة تغمرها سعادة الرضى بقضاء الله وقدره وخضوعه لربه سبحانه فالقلب المؤمن حسنُ الظن بربه يتوقع منه الخير دائماً، يتوقع منه الخير في السراء والضراء، ويؤمن بأن الله يريد به الخير في الحالين؛ وسر ذلك أن قلبه موصول بالله، وفيض الخير من الله لا ينقطع أبداً؛ فمتى اتصل القلب به لمس هذه الحقيقة الأصيلة وأحسها إحساس مباشرة وتذوق^١.

تنبيه : ينبغي حسن الظن بالمؤمنين : حسن الظن خلق فريد وأمر حض عليه الإسلام ، وهو من أبرز أسباب التماسك الاجتماعي على مستوى الفرد والأسرة والمجتمع ، حسن الظن راحة للفؤاد وطمأنينة للنفس وسلامة من أذى الخواطر المقلقة التي تفني الجسد ، وتهدم الروح ، وتطرد السعادة ، وتكدر العيش ، لذلك كان أصلاً من أصول أخلاق الإسلام ، وعليه فلا يجوز لإنسان أن يسيء الظن بالآخرين لمجرد التهمة أو التحليل لموقف ، فإن هذا عين الكذب (إياكم والظن فإن الظن **أكذب الحديث**) رواه البخاري .

وقد نهى الرب جلا وعلا عباده المؤمنين من إساءة الظن بإخوانهم فقال " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ " وما ذاك إلا لأن الظن سيئة كبيرة موقعة لكثير من المنكرات العظيمة إذ هو ذريعة للتجسس ، كما أنه دافع إلى الوقوع في الغيبية المحرمة " ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً " فما أحوجنا إلى هذا الخلق العظيم لتدوم بيننا المحبة والوئام ، وتصفوا القلوب والصدور ، وتزول الشحناء والبغضاء ، ورحم الله القائل:

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلاً أن تعد معايبه

١/ مجلة البيان (١٣٤/ ١٨) .

البشارة التاسعة عشرة

صلوات ورحمات رب العالمين لعباده الصابرين

عمدة هذه البشارة قوله تعالى : ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا

لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿البقرة: ١٥٥ - ١٥٧﴾ .

وجه البشارة : أن المؤمن إذا صبر على مر القضاء مما يخالف الطبيعة البشرية فإن الله تعالى بشره بأن يكافئه على صبره بثلاثة أمور هي أحب إليه من الدنيا وما فيها لأنها عطية إلهية ومنحة ربانية^١ :

الأول : (عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ) : الصلاة من الله عز وجل الغفران والثناء الحسن .

الثاني : (وَرَحْمَةٌ) عظيمة، ومن رحمته إياهم، أن وفقهم للصبر الذي ينالون به كمال الأجر . وقيل : أراد بالرحمة كشف الكربة وقضاء الحاجة .

الثالث : (وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ) : أي أنهم المهتدون لهذه الطريقة الموصلة بصاحبها إلى كل خير ، وقيل : الذين عرفوا الحق وهو في هذا الموضع علمهم بأنهم لله وأنهم إليه راجعون وعملوا به وهو هنا صبرهم لله .

قال عمر رضي الله عنه : (نعم العدلان ونعم العلاوة : الذين إذا أصابهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) رواه البخاري . أراد بالعدلين الصلاة والرحمة ، وبالعلاوة الاهتداء .

وقيل : إلى استحقاق الثواب وإزالة الأجر، وقيل : إلى تسهيل المصائب وتخفيف الحزن .

ولما كان الكلام على الصبر وما للصابرين من بشارات مهم وطويل أحببت أن أخصه في النقاط الآتية :

أولا : الابتلاء سنة من سنن الله في عباده المؤمنين^١ :

١/ ملخصة من تفسير : الرازي والقرطبي والسعدي .

قوله تعالى (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ) أخبر تعالى أنه لا بد أن يبتلي عباده بالمحن ليتبين الصادق من الكاذب والجازع من الصابر، وهذه سنته تعالى في عباده؛ لأن السراء لو استمرت لأهل الإيمان، ولم يحصل معها محنة لحصل الاختلاط الذي هو فساد.

وحكمة الله تقتضي تمييز أهل الخير من أهل الشر. هذه فائدة المحن لا إزالة ما مع المؤمنين من الإيمان ولا ردهم عن دينهم فما كان الله ليضيع إيمان المؤمنين، فأخبر في هذه الآية أنه سيبتلي عباده {بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ} من الأعداء {وَالْجُوعِ} أي: بشيء يسير منهما؛ لأنه لو ابتلاهم بالخوف كله أو الجوع لهلكوا والمحن تمحص لا تهلك.

قوله تعالى {وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ} وهذا يشمل جميع النقص المعتري للأموال من جوائح سماوية وغرق وضياع، وأخذ الظلمة للأموال من الملوك الظلمة، وقطاع الطريق وغير ذلك.

{وَالْأَنْفُسِ} أي: ذهاب الأحباب من الأولاد، والأقارب، والأصحاب، ومن أنواع الأمراض في بدن العبد، أو بدن من يحبه.

{وَالثَّمَرَاتِ} أي: الحبوب وثمار النخيل والأشجار كلها والخضر بحرق أو آفة سماوية، من جراد ونحوه. فهذه الأمور، لا بد أن تقع، لأن العليم الخبير أخبر بها فوقعت كما أخبر.

ثانياً: مفهوم المصيبة والاسترجاع في الآية :

قوله تعالى (الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) المصائب جمع مصيبة ، وهي كل ما يصيب الإنسان بالأذى في نفسه من مرض ، أو ماله من

خسارة فادحة ، أو فقد حبيب ، أو مفاجأة بما لا يسر بل يضر كهزيمة في حرب ، أو غدر غادر ، أو غير ذلك مما يكرث الإنسان من كوارث ، والصبر المحمود في هذه الأحوال وغيرها هو الصبر الجميل الذي يكون من غير أنين وشكوى كصبر يعقوب عندما غاب ابنه يوسف إذ قال : فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ^١.

عن أبي سعيد وعن أبي هريرة رضي الله عنهما أنهما سمعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا سقم ولا حزن حتى ألهم يهمله إلا كفر به من سيئاته) أخرجه البخاري ومسلم واللفظ لمسلم .

وعن أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله : إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتى وأخلف لي خيراً منها إلا أخلف الله له خيراً منها) رواه مسلم.

قوله تعالى : (قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ) أي: مملوكون لله مدبرون تحت أمره وتصريفه فليس لنا من أنفسنا وأموالنا شيء، فإذا ابتلانا بشيء منها فقد تصرف أرحم الراحمين، بمماليكه وأموالهم، فلا اعتراض عليه، بل من كمال عبودية العبد، علمه، بأن وقوع البلية من المالك الحكيم الذي أرحم بعبده من نفسه، وهذا يدل على كونه راضيا بكل ما نزل به في الحال من أنواع البلاء .

وقوله : (وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) يدل على كونه في الحال راضيا بكل ما سينزل به بعد ذلك ، من إثابته على ما كان منه ، ومن تفويض الأمر إليه على ما نزل به ، ومن الانتصاف ممن ظلمه ، فيكون مذللاً نفسه ، راضيا بما وعده الله به من الأجر في الآخرة ^٢.

١/ زهرة التفاسير – للشيخ محمد أبو زهرة .

٢/ تفسر الرازي والألوسي والسعدي.

وفي توصيف الصابرين بقوله تعالى : الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون إشارة إلى أن الأجر لمن صبر وقت إصابتها، كما قال صلى الله عليه وسلم :
(إنما الصبر عند الصدمة الأولى) رواه البخاري ومسلم.

وليس الصبر بالاسترجاع باللسان، بل الصبر باللسان وبالقلب بأن يخطر بباله ما خلق لأجله من معرفة الله - تعالى - وتكميل نفسه، وأنه راجع إلى ربه وعائد إليه بالبقاء السرمدي، ومرتحل عن هذه الدنيا الفانية وتارك لها على علاقتها، ويتذكر نعم الله - تعالى - عليه، ليرى ما أعطاه أضعاف ما أخذ منه، فيهنو على نفسه ويستسلم له، والصبر من خواص الإنسان؛ لأنه يتعارض فيه العقل والشهوة .

ثالثاً : بيان معنى الصبر وأنواعه ومراتبه ١ :

الصبر ضبط النفس والاستيلاء عليها ، والصابرون هم الذين يضبطون أنفسهم فلا تنخلع قلوبهم بفرع ، ولا يصيبهم عندما يفاجئون بما لا يحبون ولذا عرفهم الله بقوله : الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون

والصبر يتنوع بتنوع موضوعه ، فهناك **صبر** على منازعة الأهواء والشهوات لتعميمها والاستيلاء عليها بجعل الشهوة أمة للعقل ليست مسيطرة عليه ، ولا مسيرة للنفس .

وهناك **صبر** لأداء الطاعات والقيام بالواجبات فإن ذلك يحتاج إلى عزم قوي لا يكل ولا يمل .

وهناك **صبر** على لغو القول من الناس ، واستهزاء السفهاء ، وتهكم ذوي الأهواء ، وهناك **صبر** بالإقامة مع الضعفاء وقد قال الله تعالى فيه : واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه .

١/ زهرة التفاسير – للشيخ محمد أبو زهرة .

وهناك **صبر** عند المصائب في الدنيا فلا يفزع ولا يجزع ويعلم أن الصبر فيه أجر وأن الجزع فيه وزر ، وهناك **صبر** عند لقاء الأعداء ولعله نتيجة لصفة الصبر وتشعبها في كل النواحي التي ذكرناها .

والصبر خير كله ، وهو أول صفات المؤمنين ، ومن الصبر ألا يكفر عند النعمة وألا يئس عند النقمة ، ولقد قال تعالى : ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليئوس كفور ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني إنه لفرح فخور إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير

ولقد قال - صلى الله عليه وسلم - فيما رواه مسلم بسنده عن صهيب ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له) فالصبر كله خير .

وقال ابن رجب الحنبلي في تفسيره :

الرضا فضل مندوب إليه ، مستحب ، **والصبر** واجب على المؤمن حتم . وفي الصبر خير كثير ، فإن الله أمر به ، ووعد عليه جزيل الأجر . قال الله عز وجل : إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب وقال : وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون قال الحسن : الرضا عزيز ، ولكن الصبر معول المؤمن .

والفرق بين الرضا والصبر : أن الصبر : كف النفس وحبسها عن التسخط مع وجود الألم ، وتمني زوال ذلك ، وكف الجوارح عن العمل : بمقتضى الجزع ، والرضا : انشراح الصدر وسعته بالقضاء ، وترك تمني زوال ذلك المؤلم ، وإن وجد الإحساس بالألم ، لكن الرضا يخففه ، لما يباشر القلب من روح اليقين والمعرفة ، وإذا قوي الرضا ، فقد يزيل الإحساس بالألم بالكلية .

رابعاً : لماذا هذه البشارة لهؤلاء الصابرين ؟ :

قال أحد الباحثين^١ : آية توقفت عندها كثيراً. في أولى لحظات ألهي. أحقاً أن الله تعالى وعد الصابرين هذا الوعد؟؟. ولماذا يمنح الله الصابرين كل هذه المنازل والدرجات والعود؟؟. ما ميزة الصابرين عن غيرهم؟؟. ولماذا وصفهم بالمهتدين وصلى عليهم؟؟.

أسئلة كثيرة دارت في خلدي وأنا أسترجع معنى هذه الآية. أتفكر فيها. كل هذا في أولى لحظات ألهي. فتفكرت في الأحوال التي يجب فيها الصبر فوجدت فيما وجدت ما يلي :

- **البلاء. امتحانٌ من الله عز وجل لعباده.** ليعرف الصادق من الكاذب. وليزيد ثبات المؤمن منهم. فينهار الإنسان - الكافر - أمامه. ويلعن القدر واليوم الذي نزل فيه هذا البلاء. ويندب حظه ويبكي، وقد يفقد عقله من هول ما يجد من بلاء. ومن ثم لا يجد أمامه سوى الانتحار ليرتاح من هذا البلاء الذي لا يرفع عنه ولا يجد سبيلاً لردّه.
- **الهم.** نيران تستعر في القلب. وتؤرقه وتضيع الوقت. وتشيب الرأس وتزيد الغضب. **فالهم.** عدوٌ للإنسان مرافقٌ له في حله وترحاله. بسبب الهم يخسر الإنسان علاقاته.
- **بسبب الهم يدمر الإنسان نفسه.** يحاول الخروج منه بشتى الطرق. المهدئات والمسكنات والمنشطات. وفي النهاية يصل الأمر به إلى الانتحار. للخروج من هذا الهم الذي نغص عليه لذة حياته.
- **الحزن. تتنوع أشكاله وطرائقه.** حتى يشحب الوجه. وتتغير الوجنات. ويعتصر القلب ألماً. فيلجأ الإنسان إلى تفريغ طاقة حزنه بطرق شتى. بالحرام والحلال. فقد يذهب لشرب المسكر كي يعيش في العالم الآخر. أو

١/ مقال بعنوان : وبشر الصابرين - للكاتب - مالك بن محمد الزعبي - شبكة الألوكة الشرعية .

يعتكف على الأفلام المحرمة. أو يمارس الحرام. ظناً منه أن شعوره باللذة والشهوة سينسيه ما به من حزن. فيزيد عليه الحزن. ويزداد هو تغيراً إلى الأسوأ. يقول الحياة ملل. الحياة ما فيها خير. ما تضحك لحظة إلا وتبكي ساعة. فيزداد حزنه بفقد حبيب. أو إخفاق في الحياة. فيجد أن أفضل طريق له للراحة. هو الانتحار.

تأملت هذه الأصناف الثلاثة (البلاء والهم والحزن) فوجدت أن هناك صنفاً رابعاً هو مغيب عن الواقع. قسم لم يتأثر بهذه الأصناف الثلاثة. بل زاد من قوته وثباته وإيمانه. إنه قسمٌ. نزل به بلاءٌ. يكاد يزلزل أركانه. وقد يجعله يفقد الكثير من إيمانه إن لم يكن صادقاً. يبتلي الله هذا المؤمن في دينه وماله ونفسه وأهله وعرضه. كما قال عليه الصلاة والسلام: ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة.

هكذا المؤمن. يستمر البلاء نازلاً صاعداً فيه. وكلما ازداد إيمانه ازداد بلاؤه. فكما قال عليه السلام: يبتلى الرجل على حسب دينه. ويستمر صابراً وهو يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، اللهم أجرنى في مصيبتى وأخلف لى خيراً منها. فيرتاح كيانه. ويرضى فؤاده. ويقول: يا رب إني بإيماني وقرآني. سأصبر أمام كل بلاء قد ينزل بي. يا رب. إني أريد أن أكون ممن قلت فيهم: ﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٢].

هذا هو المؤمن. وهذا هو الصبر. منزلة عظيمة. غابت عن الكثير منا. وتذكرها القليل. فوضعوا قوله تعالى: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧] أمام أعينهم ، ونبراساً لاشتعال همهم، فلنكن من الصابرين على ما ينزل بدنيا الكدر والتعب من بلاء ونصب. ننل أعلى المراتب والغرف في جنان الفردوس الأعلى.

خامساً: عشرة أسباب تعين على الصبر على البلاء: مما تقدم علمت أخي الحبيب أن الآية بشارة لمن يصبر على البلاء^١ فلزم أن نذكر ما يعين على ذلك .

وأفضل من أشار إلى تلك المعينات العلامة ابن القيم حيث قال رحمه الله في (طريق الهجرتين)^٢: "والصبر على البلاء ينشأ من أسباب عديدة:

أحدها: شهود جزائها وثوابها.

الثاني: شهود تكفيرها للسيئات ومحوها لها.

الثالث: شهود القدر السابق الجاري بها وأنها مقدرة في أم الكتاب قبل أن يُخلَق؛ فلا بدَّ منها؛ فجَزَعُه لا يزيده إلا بلاء.

الرابع: شهوده حقَّ الله عليه في تلك البلوى، وواجبه فيها الصبر بلا خلاف بين الأئمة، أو الصبر والرضا على أحد القولين؛ فهو مأمور بأداء حقِّ الله وعبوديته عليه في تلك البلوى؛ فلا بدَّ له منه وإلا تضاعفت عليه.

الخامس: شهود ترتبها عليه بذنبه؛ كما قال الله تعالى: {وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ} [الشورى من الآية: ٣٠] فهذا عامٌّ في كل مصيبة دقيقة وجليلة؛ فيشغله شهود هذا السبب بالاستغفار الذي هو أعظم الأسباب في دفع تلك المصيبة؛ قال عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه: **"ما نزل بلاء إلا بذنب، ولا رُفِعَ بلاء إلا بتوبة"**.

السادس: أن يعلم أن الله قد ارتضاها له واختارها وقسمها، وأنَّ العبودية تقتضي رضاه بما رضي له به سيده ومولاه؛ فإن لم يوفِّ قدرَ المقام حقَّه فهو لضعفه؛ فليُنزل إلى مقام الصبر عليها؛ فإن نزل عنه نزل إلى مقام الظلم وتعدّي الحق.

١/ مما هو معلوم أن الصبر ثلاثة أقسام: صبر على طاعة الله، وصبر عن محارم الله، وصبر على أقدار الله التي يجريها إما مما لا كسب للعباد فيه، وإما مما يجريه الله على أيدي بعض العباد من الإيذاء والاعتداء .

٢/ مقال بعنوان: عشريات ابن القيم - (٥) عشرة أسباب تعين على الصبر على البلاء - للكاتب عبد العزيز بن داخل المطيري - موقع طريق الإسلام .

السابع: أن يعلم أن هذه المصيبة هي داء نافع ساقه إليه الطبيب العليم بمصلحته الرحيم به؛ فليصبر على تجرعه ولا يتقيأه بتسخطه وشكواه فيذهب نفعه باطلاً.

الثامن: أن يعلم أن في عُقبى هذا الدواء من الشفاء والعافية والصحة وزوال الألم ما لم تحصل بدونه؛ فإذا طالعت نفسه كراهة هذا الدواء ومرارتته؛ فلينظر إلى عاقبته وحسن تأثيره، قال تعالى: {وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [البقرة من الآية: ٢١٦]، وقال الله تعالى: {فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا} [النساء من الآية: ١٩]،

وفي مثل هذا القائل:

لَعَلَّ عَتَبَكَ مَحْمُودٌ عَوَاقِبُهُ فَرُبَّمَا صَحَّتِ الْأَجْسَامُ بِالْعِلَلِ

التاسع: أن يعلم أن المصيبة ما جاءت لتهلكه وتقتله، وإنما جاءت لتمدح صبره وتبئليه؛ فيتبين حينئذ هل يصلح لاستخدامه؟ وجعله من أوليائه وحزبه أم لا؟ فإن ثبت اصطفاؤه واجتباؤه، وخلع عليه خلع الإكرام وألبسه ملابس الفضل، وجعل أوليائه وحزبه خداماً له وعوناً له، وإن انقلب على وجهه ونكص على عقبيه طرد وصُفَع قفاه وأقصي، وتضاعفت عليه المصيبة وهو لا يشعر في الحال بتضاعفها وزيادتها، ولكن سيعلم بعد ذلك بأن المصيبة في حقه صارت مصائب، كما يعلم الصابر أن المصيبة في حقه صارت نعمًا عديدة، وما بين هاتين المنزلتين المتباينتين إلا صبر ساعة، وتشجيع القلب في تلك الساعة، والمصيبة لا بد أن تطلع عن هذا وهذا، ولكن تطلع عن هذا بأنواع الكرامات والخيرات، وعن الآخر بالحرمان والخذلان؛ لأن ذلك تقدير العزيز العليم، وفضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

العاشر: أن يعلم أن الله يرَبِّي عبده على السراء والضراء والنعمة والبلاء؛ فيستخرج منه عبوديته في جميع الأحوال؛ فإن العبد على الحقيقة من قام بعبودية الله على اختلاف الأحوال .

وأما عبدُ السراء والعافية الذي يعبد الله على حرفٍ؛ فإن أصابه خير اطمأن به، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه؛ فليس من عبده الذين اختارهم لعبوديته؛ فلا ريب أن الإيمان الذي يثبت على محلّ الابتلاء والعافية هو الإيمان النافع وقت الحاجة، وأما إيمان العافية فلا يكاد يصحب العبد ويبلغه منازل المؤمنين، وإنما يصحبه إيمان يثبت على البلاء والعافية؛ فالابتلاء كير العبد ومَحَكُ إيمانه؛ فإما أن يخرج تَبْرًا أحمر، وإما أن يخرج زَغَلًا محضًا، وإما أن يخرج فيه مادّتان ذهبية ونحاسية فلا يزال به البلاء حتى يخرج المادة النحاسية من ذهبه، ويبقى ذهبًا خالصًا.

فلو علم العبد أن نعمة الله عليه في البلاء ليست بدون نعمة الله عليه في العافية لشغل قلبه بشكره ولسانه: "اللهم أعني على ذكرك وشكر وحسن عبادتك"، وكيف لا يشكر من قيّض له ما يستخرج خبثه ونحاسه، وصيَّره تَبْرًا خالصًا يصلح لمجاورته والنظر إليه في داره؟!

سادساً: قصص الصابرين والصابرات على البلاء :

لما كانت صبر الأنبياء على البلاء عليهم السلام معلوما من القرآن الكريم وصبر النبي صلى الله عليه وسلم معلوم من القرآن والسيرة النبوية أحببت أن أذكر هنا صبر الصالحين من الصحابة وغيرهم في هذه الأمة المحمدية المباركة المرحومة^١ .

١/ هذه القصص منقولة من مقال بعنوان : تسلية المؤمنين بقصص الصابرين – للكاتب يحيى نعيم محمد خلة – شبكة الألوكة الشرعية – بتصرف يسير .

١/ شدة صبر أبي طلحة الأنصاري وأم سليم رضي الله عنهما على فقد ولدهما الصغير:

عن أنس رضي الله عنه قال: اشتكى ابن لأبي طلحة، فخرج أبو طلحة إلى المسجد، فتوفي الغلام، فهيات أم سليم الميت، وقالت لأهلها: لا يخبرن أحد منكم أبا طلحة بوفاة ابنه، فرجع إلى أهله ومعه ناس من أهل المسجد من أصحابه، قال: ما فعل الغلام؟ قالت: خير مما كان، فقربت إليهم عشاءهم، فتعشوا، وخرج القوم.

وقامت المرأة إلى ما تقوم إليه المرأة، فلما كان آخر الليل، قالت: يا أبا طلحة، ألم تر إلى آل فلان، استعاروا عارية فتمتعوا بها، فلما طلبت كأنهم كرهوا ذلك، قال: ما أنصفوا، قالت: فإن ابنك كان عارية من الله تبارك وتعالى، وإن الله قبضه، فاسترجع وحمد الله، فلما أصبح غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما رآه قال: (بارك الله لكما في ليلتكما).

فحملت بعبد الله، فولدته ليلاً، وكرهت أن تحنكه حتى يحنكه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فحملته غدوةً ومعها تمرات عجوة، فوجدته يهنأ أباعر له [يعالج البعير من الجرب]، أو يسمها، فقلت: يا رسول الله، إن أم سليم ولدت الليلة، فكرهت أن تحنكه حتى يحنكه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: (أمعك شيء؟)، قلت: تمرات عجوة، فأخذ بعضهن فمضغن، ثم جمع بزاقه، فأوجره إياه، فجعل يتلمظ [يدير لسانه في فيه ويحركه يتبع أثر التمر]، فقال: (حبُّ الأنصار: التمر)، قال: قلت: يا رسول الله، سمّه، قال: (هو عبد الله)، فقال رجل من الأنصار: (فرأيت لهما تسعة أولاد، كلهم قد قرأ القرآن)؛ [مسند أحمد، وأصله في البخاري].

فانظري رحمك الله يا أختي المسلمة، كيف صبرت المرأة الصالحة على مصابها، وقد عوضها ربنا جل وعلا تسعة من حفظة القرآن، هذا في الدنيا، فكيف بالجزاء الآخروي؟!

٢/ امرأة من أهل الجنة تمشي على الأرض لصبرها على الصرع :

عن عطاء بن أبي رباح، قال: قال لي ابن عباس: (ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟!) قلت: (بلى)، قال: (هذه المرأة السوداء، أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: إني أصرع، وإني أتكشف، فادع الله لي)، قال: (إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك)، فقالت: (أصبر، وإني أتكشف، فادع الله ألا أتكشف)، (فدعا لها)؛ [متفق عليه].

٣/ قصة صبر أبي قلابة الجرمي رحمه الله على الشلل وعلى فقد ولده الصغير:

عن عبدالله بن محمد قال: (خرجت إلى ساحل البحر مرابطاً، وكان رابطنا يومئذ عريش مصر)، قال: (فلما انتهيت إلى الساحل، فإذا أنا ببطيحة، وفي البطيحة خيمة فيها رجل قد ذهب يده ورجلاه، وثقل سمعه وبصره، وما له من جارحة تنفعه إلا لسانه)، وهو يقول: (اللهم أوزعني أن أحمدك حمداً أكافئ به شكر نعمتك التي أنعمت بها عليّ، وفضلتي على كثير ممن خلقت تفضيلاً).

قال عبدالله: قلت: (والله لأتین هذا الرجل ولأسألنه أتى له هذا الكلام، فهم أم علم أم إلهام ألهم؟ فأتيت الرجل، فسلمت عليه، فقلت: سمعتك وأنت تقول: (اللهم أوزعني أن أحمدك حمداً أكافئ به شكر نعمتك التي أنعمت بها عليّ، وفضلتي على كثير ممن خلقت تفضيلاً)، فأی نعمة من نعم الله عليك تحمده عليها؟ وأي فضيلة تفضل بها عليك تشكره عليها؟).

قال: (وما ترى ما صنع ربي؟! والله لو أرسل السماء علي ناراً فأحرقتنی، وأمر الجبال فدمرتنی، وأمر البحار فغرقتنی، وأمر الأرض فبلعتنی، ما ازددت لربي إلا شكراً؛ لما أنعم علي من لساني هذا، ولكن يا عبدالله إذ أتيتني لي إليك حاجة، قد تراني على أي حالة أنا، أنا لست أقدر لنفسي على ضرٍ ولا نفع، ولقد كان معي بني

لي يتعاهدني في وقت صلاتي فيوضيني، وإذا جعت أطعمني، وإذا عطشت سقاني،
ولقد فقدته منذ ثلاثة أيام، فتحسسه لي رحمك الله).

فقلت: (والله ما مشى خلق في حاجة خلقٍ كان أعظم عند الله أجرًا ممن يمشي في
حاجة مثلك، فمضيت في طلب الغلام، فما مضيت غير بعيدٍ حتى صرت بين كَثبانٍ
من الرمل، فإذا أنا بالغلام قد افترسه سبع وأكل لحمه، فاسترجعت، وقلت: أئني لي
وجه رقيق آتي به الرجل؟! فبينما أنا مقبل نحوه إذ خطر على قلبي ذكر أيوب النبي
صلى الله عليه وسلم، فلما أتيتَه سلمت عليه، فرد علي السلام فقال: (ألست
بصاحبي؟)، قلت: (بلى)، قال: (ما فعلت في حاجتي؟).

فقلت: (أنت أكرم على الله أم أيوب النبي؟) قال: (بل أيوب النبي)، قلت: (هل
علمت ما صنع به ربه؟ أليس قد ابتلاه بماله وآله وولده؟) قال: (بلى)، قلت:
(فكيف وجده؟)، قال: (وجده صابرًا شاكراً حامداً)، قلت: (لم يرضَ منه ذلك حتى
أوحش من أقربائه وأحبائه؟)، قال: (نعم)، قلت: (فكيف وجده ربه؟)، قال: (وجده
صابراً شاكراً حامداً)، قلت: (فلم يرضَ منه بذلك حتى صيره عرضاً لمارٍ الطريق،
هل علمت؟) قال: (نعم)، قلت: (فكيف وجده ربه؟)، قال: (صابراً شاكراً حامداً،
أوجز رحمك الله)، قلت له: (إن الغلام الذي أرسلتني في طلبه وجدته بين كَثبانٍ
الرمل وقد افترسه سبع فأكل لحمه، فأعظم الله لك الأجر، وألهمك الصبر).

فقال المبتلى: (الحمد لله الذي لم يخلق من ذريتي خلقاً يعصيه فيعذبه بالنار)، ثم
استرجع وشهق شهقةً فمات، فقلت: (إنا لله وإنا إليه راجعون، عظمت مصيبتني،
رجل مثل هذا إن تركته أكلته السباع، وإن قعدت لم أقدر على ضرٍّ ولا نفعٍ)،
فسجيته بشملةٍ كانت عليه، وقعدت عند رأسه باكيًا، فبينما أنا قاعد إذ تهجم علي
أربعة رجالٍ، فقالوا: (يا عبد الله، ما حالك؟ وما قصتك؟)، فقصصت عليهم قصتي
وقصته، فقالوا لي: (اكشف لنا عن وجهه، فعسى أن نعرفه)، فكشفت عن وجهه،
فانكب القوم عليه يقبلون عينيه مرةً، ويديه أخرى، ويقولون: (بأبي عين طالما

غضبت عن محارم الله، وبأبي وجسمه طالما كنت ساجداً والناس نيام)، فقلت: (من هذا يرحمكم الله؟)، فقالوا: (هذا أبو قلابة الجرمي، صاحب ابن عباس، لقد كان شديد الحب لله وللنبي صلى الله عليه وسلم)، فغسلناه وكفناه بأثوابٍ كانت معنا، وصلينا عليه ودفناه.

فانصرف القوم، وانصرفت إلى رباطي، فلما أن جن علي الليل وضعت رأسي، فرأيته فيما يرى النائم في روضةٍ من رياض الجنة وعليه حلتان من حلل الجنة، وهو يتلو الوحي: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٤]، فقلت: (ألست بصاحبي؟)، قال: (بلى)، قلت: (أتى لك هذا؟)، قال: (إن لله درجاتٍ لا تنال إلا بالصبر عند البلاء، والشكر عند الرخاء، مع خشية الله عز وجل في السر والعلانية)؛ [ابن حبان/ الثقات].

رحم الله أبا قلابة، لا يد ولا رجل، ولا سمع ولا بصر، ثم تأكل السباع ولده الذي كان يخدمه، فيصبر ويحمد الله على نعمه؛ فعوضه الله روضة من رياض الجنة، فيا لها من كرامة!

٤/ صبر مطرف رحمه الله على فقد ولده :

عن ثابت قال: مات عبدالله بن مطرف، فخرج أبوه مطرف على قومه في ثياب حسنة وقد ادهن، فغضبوا، فقالوا: (يموت عبدالله وتخرج في مثل هذه مدهناً؟) قال: (أفأستكين لها [هل أخضع للمصيبة؟] وقد وعدني ربي تبارك وتعالى عليها خصلاً، كل خصلة منها أحب إلي من الدنيا كلها؟! قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦، ١٥٧]، فأستكين لها بعد ذلك؟! فوالله لو أن الدنيا وما فيها لي وأخذها الله مني ووعدني عليها شربة ماء غداً، ما رأيته لتلك الشربة أهلاً، فكيف بالصلوات والهدى والرحمة؟! [ابن الجوزي/ صفة الصفوة؛ ابن عساكر/ تاريخ دمشق].

البشارة العشرون

بالاستغفار ينال العبد الخير والبركة والنجاة من شر الأشرار

عمدة هذه البشارة قوله تعالى: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [هود (٣)] **وقوله تعالى** - حكاية عن نوح عليه السلام - : ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا * مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح: ١٠ - ١٤].

وجه البشارة : أن العبد المستغفر لربه الخائف من ذنبه ينال بعض بركات الاستغفار في الدنيا وهي ما أشارت إليها الآيات الكريمة ، فقد قال أهل التفسير في **قوله تعالى:** {وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى}، سورة هود : الآية (٣) هذه الآية الكريمة تدل على أن الاستغفار والتوبة إلى الله تعالى من الذنوب سبب لأن يمَتِّعَ الله من فعل ذلك متاعاً حسناً إلى أجل مسمى؛ لأنه رتب ذلك على الاستغفار والتوبة ترتيب الجزاء على شرطه.

والظاهر أن المراد بالمتاع الحسن: سعة الرزق، ورغد العيش، والعافية في الدنيا، وأن المراد بالأجل المسمى: الموت^١.

وجاء في تفسير آيات سورة نوح : أي إذا تبتم إلى الله واستغفرتموه وأطعتموه، كثر الله تعالى الرزق عليكم، وأسقاكم من بركات السماء، وأنبت لكم من بركات الأرض، وأنبت لكم الزرع، وأدر لكم الضرع، وأمدكم بأموال وبنين، أي: أعطاكم الأموال والأولاد، وجعل لكم جنات فيها أنواع الثمار، وخللها بالأنهار الجارية بينها ، وفي هذا دلالة على عظم فوائد الاستغفار وكثرة خيراته وتعدد ثمراته.

^{١/} أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن - للعلامة محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي - تفسير سورة هود الآية (٣).

وهذه الثمرات المذكورة هنا هي مما يناله العبد في دنياه من الخيرات العميمة والعطايا الكريمة والثمرات المتنوعة، وأما ما يناله المستغفرون يوم القيامة من الثواب الجزيل والأجر العظيم والرحمة والمغفرة والعق من النار والسلامة من العذاب، فأمر لا يحصيه إلا الله تعالى .

مدخل هام في بيان الاستغفار الذي به تحصل البشارات :

أن العبد المستغفر لربه الخائف من ذنبه ينال بعض بركات الاستغفار في الدنيا وهي ما أشارت إليها الآيات الكريمة ، فقد قال أهل التفسير في قوله تعالى: {وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى}، سورة هود : الآية (٣) هذه الآية الكريمة تدل على أن الاستغفار والتوبة إلى الله تعالى من الذنوب سبب لأن يمتّع الله من فعل ذلك متاعاً حسناً إلى أجل مسمى؛ لأنه رتب ذلك على الاستغفار والتوبة ترتيب الجزاء على شرطه.. وقد يستغرب البعض هذا الكلام ويقول الآيات واضحة في أن المستغفر إنما يستغفر لكي ينال هذه البشارات ؟

وأجيب عن ذلك : أنه فرق كبير جدا بين أن تستغفر لتنال تلك البشارات وبين أن تستغفر متذللاً لله تعالى طالبا منه أن يغفر لك ذنوبك نادما عليها - وترجوه أن يعافيك منها - وبين أن تستغفر وقلبك ملتفت إلى الدنيا وليس في نيتك التوبة ولا الرجوع إلى الله تعالى ، فهل مع فساد نيتك تتوقع بشارات الاستغفار وثمراته .. بل ربما تستحق العقوبة على استغفار ليس فيه رائحة التوبة ولا الندم على ما فرط منك .

ثم عد - أخي الكريم - إلى الآيات وتأملها تجد أن الله تعالى وعد المستغفرين على الاستغفار الصادق الخالص لوجهه تعالى ولم يقل لهم استغفروا لتنالوا كذا وكذا فظن بعض الناس أن علة تلك البشارات هي مجرد الاستغفار فأدخلوا لام التعليل في

النص وهي ليست موجودة فيه فأعد معي قراءة النص : (فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا) قال الله تعالى بعدها : (يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا) ولم يقل (ليرسل السماء عليكم مدرارا) فلو دخلت لام التعليل في النص لنال العبد ثمار الاستغفار حتى ولو لم يتب أو يندم .

إذن فالقضية مشروط مترتب على شرط فمن لم يأت بالشرط فلا يستحق المشروط ، وليست قضية تعليلية .

وأزيد الأمر وضوحا بمثال : فرق بين أن أقول لك : (زني أكرمك) و (زني لأكرمك) ففي الجملة الأولى وعد مني بإكرامك في حال زيارتك لي بسبب حيي لك ومكانتك عندي وأنت حينما تأتي لن يدور في خلد أنك تزورني لأجل الإكرام، وفي الجملة الثانية : أنت ستأتي وفي نيتك أن أقدم لك الإكرام وأنا ملتزم بذلك لأنني عللت زيارك لي بقولي (لأكرمك) ولكن ستكون في نظري طالبا لما وعدتك به ولك الحق في ذلك. ولكنك لست بمنزلة الأول.

فأنت ترى الآيات التي تعد المستغفر بتلك الثمار لأنه استغفر ربه لا لأنه أراد باستغفاره الدنيا وتأمل أيضا الآية الأخرى (وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمַغْفِرْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى) فقال (يُمَتِّعُكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا) ولم يقل لِيُمَتِّعُكُمْ . والله أعلم .

وتأمل قول العلامة القرطبي رحمه الله : (قال علماؤنا : الاستغفار المطلوب هو الذي يحل عقد الإصرار ويثبت معناه في الجنان ، لا التلفظ باللسان)، وسيأتي بتمامه قريباً . يريد بقوله هذا : أن من أتى بالاستغفار المطلوب أعطاه الله تعالى ما بشره به في كلامه أو بما ورد على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم .

وهذا ليس قول القرطبي وحده بل هو قول جميع المفسرين كما سيمر عليك بعد قليل من خلال الآيات التي سنعرض لها في هذه البشارة .

ونقل الإمام ابن رجب الحنبلي عن بعض العارفين أنه قال: (من لم يكن ثمرة استغفاره صحيح توبته، فهو كاذب في استغفاره)^١.

لعلي بهذه أكون قد أوضحت المراد من هذه المبشرة من المبشرات القرآنية ، ولما كان الكلام على الاستغفار كثير و، أحببت أن أخص بعض ما قيل فيه في نقاط سبع ، وأجو أن تكون كافية ، وهي :

أولاً: مفهوم الاستغفار والكيفية المطلوبة من العبد :

١/ الاستغفار في اللغة : طلبُ المغفرة بالمقال والفعال.

وعند الفقهاء : سؤالُ المغفرة كذلك، والمغفرة في الأصل: الستر، ويُراد بها التجاوزُ عن الذنب، وعدمُ المؤاخذة به، وأضاف بعضهم: إما بترك التوبيخ والعقاب رأسًا، أو بعد التقرير به فيما بين العبد وربّه.

٢/ الاستغفار المطلوب : قال الإمام القرطبي رحمه الله: قال علماؤنا : الاستغفار المطلوب هو الذي يحل عقد الإصرار ويثبت معناه في الجنان ، لا التلفظ باللسان. فأما من قال بلسانه : أستغفر الله ، وقلبه مصر على معصيته فاستغفاره ذلك يحتاج إلى استغفار ، وصغيرته لاحقة بالكبائر. وروي عن الحسن البصري أنه قال : استغفارنا يحتاج إلى استغفار.

ثم قال رحمه الله : هذا يقوله في زمانه ، فكيف في زماننا هذا الذي يرى فيه الإنسان مكبا على الظلم ! حريصا عليه لا يقلع ، والسُّبْحَة في يده زاعما أنه يستغفر الله من ذنبه وذلك استهزاء منه واستخفاف. وفي التنزيل {وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا}.

وقال ابن القيم رحمه الله : "وأما الاستغفارُ، فهو نوعان: مفرد، ومقرون^١. بالتوبة:

^١ / روايت التفسير (الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي) ١٥٢ / ٢.

فالمفرد: كقول نوح عليه السلام لقومه: ﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴾ [نوح: ١٠، ١١]، وقول صالح لقومه: ﴿ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [النمل: ٤٦]، وكقوله تعالى: ﴿ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٩٩]

والمقرون: كقوله تعالى: ﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ﴾ [هود: ٣]، وقول هود لقومه: ﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴾ [هود: ٥٢]،

ثانياً: أهمية الاستغفار وفوائده من القرآن الكريم ٢:

١- أن الله عز وجل أمر عباده بالاستغفار: من فضائل الاستغفار أن الله عز وجل أمر عباده به في آيات كثيرة من القرآن الكريم ومنها: قوله تعالى: ﴿ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ سورة البقرة (١٩٩) وقوله تعالى: ﴿ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ﴾ [هود: ٣]،

﴿ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ﴾ أمرهم بالاستغفار في مواطن مظنة القبول ، وأماكن الرحمة ، وهو طلب الغفران من الله باللسان مع التوبة بالقلب ، إذ الاستغفار باللسان دون التوبة بالقلب غير نافع ، وأمروا بالاستغفار ، وإن كان فيهم من لم يذنب ، كمن بلغ قبيل الإحرام ولم يقارف ذنباً وأحرم ، فيكون الاستغفار من مثل هذا لأجل أنه ربما صدر

١/ الاستغفار المفرد يأتي وحده دون توبة ولكنه متضمن لها بينما المقرون ما جاء مقروناً بالتوبة وكلا النوعين يفيد طلب العبد من ربه تعالى أن يغفر له ما مضى من الذنوب وأن يوفقه في المستقبل ألا يعود إليها . والله أعلم .

قال ابن القيم : (قرن الله - سبحانه وتعالى - بين التوبة والاستغفار ، في أكثر من آية من كتابه - تعالى - كما قال - عز وجل - على لسان نبيه - صلى الله عليه وسلم - : ﴿ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ﴾ [هود: ٣] فالاتغفار: طلب وقاية شرٍّ ما مضى، والتوبة الرجوع وطلب وقاية شرٍّ ما يخافه في المستقبل من سيئات أعماله، فهاهنا أمران لا بد منهما: مفارقة شيء، والرجوع إلى غيره، فخصت التوبة بالرجوع، والاستغفار بالمفارقة، وعند إفراد أحدهما يتناول الأمرين) مدارج السالكين لابن القيم، ١/ ٣٤٥.

٢ / الاستغفار فضائله وفوائده - إعداد/ د: أحمد عرفة - معيد بجامعة الأزهر - صيد الفوائد - بتصرف .

منه تقصير في أداء الواجبات والاحتراز من المحظورات ، وظاهر هذا الأمر أنه ليس طلب غفران من ذنب خاص ، بل طلب غفران الذنوب .

وقيل : إنه أمر بطلب غفران خاص ، والتقدير : واستغفروا الله مما كان من مخالفتكم في الوقوف والإفاضة ، فإنه غفور لكم ، رحيم فيما فرطتم فيه في حلكم وإحرامكم ، وفي سفركم ومقامكم. وفي الأمر بالاستغفار عقب الإفاضة ، أو معها ، دليل على أن ذلك الوقت ، وذلك المكان المفاض منه ، والمذهوب إليه من أزمان الإجابة وأماكنها ، والرحمة والمغفرة) ١.

٢- أن الله عز وجل مدح أهله : ومن فضائل الاستغفار أن الله عز وجل مدح أهله وأثنى عليهم في مواضع كثيرة من كتابه العزيز ومنها: قوله تعالى: { وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ } سورة آل عمران : الآية (١٧) .

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: قوله: { وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ } دلّ على فضيلة الاستغفار وقت الأسحار، وقد قيل: أن يعقوب عليه السلام، لما قال لبنيه {سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي} إنه أخرهم إلى وقت السحر). وقال تعالى: {وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ} . سورة الذاريات الآية (١٨). وصفهم بأنهم يحيون جُل الليل متعجدين ، فإذا أسحروا أخذوا في الاستغفار من رؤية أعمالهم. والسحر : السدس الأخير من الليل ، وفي بناء الفعل على الضمير إشعار بأنهم الأحقاء بأن يُوصفوا بالاستغفار ، كأنهم المختصون به ، لاستدامتهم له ، وإطناهم فيه) ٢.

قال أنس بن مالك رضي الله عنه: أمرنا أن نستغفر بالسحر سبعين استغفارة.

وقال سفيان الثوري رحمه الله : بلغني أنه إذا كان أول الليل نادى مناد ليقم القانتون فيقومون كذلك يصلون إلى السحر فإذا كان عند السحر نادى مناد : أين

١/ تفسير البحر المحيط : ج٢ ص٦٢ .

٢/ البحر المديد: أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي أبو العباس ج٧ ص٢٩٤ - طبعة دار الكتب العلمية - بيروت .

المستغفرون فيستغفر أولئك ويقوم آخرون فيصلون فيلحقون بهم فإذا طلع الفجر نادى مناد : ألا ليقيم الغافلون فيقومون من فرشهم كالموتى نشروا من قبورهم).

٣- أن الاستغفار من صفات المتقين : ومن فضائل الاستغفار أنه من صفات المتقين كما أخبر سبحانه وتعالى في قوله جل وعلا: {وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُولَٰئِكَ جَزَاءُهُمْ مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ } سورة آل عمران : الآيات : ١٣٣-١٣٦ .

قال الإمام القرطبي رحمه الله: قال علماؤنا : الاستغفار المطلوب هو الذي يحل عقد الإصرار ويثبت معناه في الجنان ، لا التلفظ باللسان. فأما من قال بلسانه : أستغفر الله ، وقلبه مصر على معصيته فاستغفاره ذلك يحتاج إلى استغفار ، وصغيرته لاحقة بالكبائر. وروي عن الحسن البصري أنه قال : استغفارنا يحتاج إلى استغفار.

ثم قال رحمه الله : هذا يقوله في زمانه ، فكيف في زماننا هذا الذي يرى فيه الإنسان مكبا على الظلم ! حريصا عليه لا يقلع ، والسُّبْحَة في يده زاعما أنه يستغفر الله من ذنبه وذلك استهزاء منه واستخفاف. وفي التنزيل {وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا} سورة البقرة : الآية (٢٣١) .

٤- أن الله عز وجل يغفر لمن استغفر: ومن فضائل الاستغفار أن الله عز وجل يغفر لمن استغفره قال تعالى: {وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا } سورة النساء : الآية : ١١٠ .

٥- الاستغفار يجلب الخيرات والبركات ويدفع البلاء: ومن فضائل الاستغفار أنه يجلب الخيرات والبركات للعبد ويدفع عنه البلاء يقول الله تعالى: { فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا * مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا } سورة نوح : الآيات (١٠-١٤)

أي إذا تبتم إلى الله واستغفرتموه وأطعتموه، كثر الرزق عليكم، وأسقاكم من بركات السماء، وأنبت لكم من بركات الأرض، وأنبت لكم الزرع، وأدر لكم الضرع، وأمدكم بأموال وبنين، أي: أعطاكم الأموال والأولاد، وجعل لكم جنات فيها أنواع الثمار، وخللها بالأنهار الجارية بينها ، وفي هذا دلالة على عظم فوائد الاستغفار وكثرة خيراته وتعدد ثمراته^١.

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: { فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا } أي: ارجعوا إليه وارجعوا عما أنتم فيه وتوبوا إليه من قريب، فإنه من تاب إليه تاب عليه، ولو كانت ذنوبه مهما كانت في الكفر والشرك ، ولهذا قال: { فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا } أي: متواصلة الأمطار. ولهذا تستحب قراءة هذه السورة في صلاة الاستسقاء لأجل هذه الآية. وهكذا روي عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب: أنه صعد المنبر ليستسقي، فلم يزد على الاستغفار، وقرأ الآيات في الاستغفار.

٦- الاستغفار من موجبات رحمته سبحانه وتعالى: ومن فضائل الاستغفار أنه من موجبات رحمته تعالى، قال جل وعلا: { لَوْ لَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ } سورة النمل : الآية (٤٦) .

١/ فقه الأدعية والأذكار : للدكتور عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ج٢ ص٢٧٦ .

٧- الاستغفار من مبعديات العذاب : وهو أيضا من مبعديات عذابه، أليس هو

القائل: {وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ} سورة الأنفال : الآية : ٣٣ .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان المشركون يطوفون بالبيت ويقولون لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك، فيقول النبي صلى الله عليه وسلم: قد، قد، ويقولون: اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك. ويقولون غفرانك غفرانك فأنزل الله {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ} الآية^١ ،

٨- الاستغفار يجلب القوة والخير: من فضائل الاستغفار أنه من الوسائل الجالبة للخير العميم والمتاع الحسن خاصة عند اقترانه بالتوبة، يقول الله تبارك وتعالى: {وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعاً حَسَناً إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ} سورة هود: الآية : ٤ . وقد سبق تفسيرها في أول الكلام على هذه البشارة .

ثالثاً: أهمية الاستغفار وفوائده من السنة النبوية :

وردت أحاديث كثيرة في السنة النبوية المطهرة يبين لنا فيها المصطفى صلى الله عليه وسلم فضل الاستغفار وأنه صلوات الله عليه وسلامه كان دائم التوبة والاستغفار مع أنه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ومنها :

١/ عن الأغر المزني رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة)** رواه مسلم^٢ .

١/ تفسير ابن كثير : ج٢ ص ٣٧٢ . وقال القرطبي : عن ابن عباس : كانوا يقولون في الطواف : غفرانك . والاستغفار وإن وقع من الفجار يدفع به ضرب من الشرور والأضرار . وقيل : إن الاستغفار راجع إلى المسلمين الذين هم بين أظهرهم . أي وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون من المسلمين ؛ فلما خرجوا عذبهم الله يوم بدر وغيره .

٢/ قال الإمام النووي رحمه الله: قوله صلى الله عليه وسلم: (إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة) قال أهل اللغة: الغين بالغين المعجمة والغيم بمعنى والمراد هنا ما يتغشى القلب .

٢/ عن أبي هريرة رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
(والله إنى لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة) أخرجه البخاري.

٣/ عن الزبير رضي الله عنه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : (من أحب
أن تسره صحيفته ؛ فليكثر فيها من الاستغفار) ^١.

٤/ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول : (قال الله تبارك وتعالى : يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على
ما كان فيك ولا أبالي ، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني
غفرت لك ، ولا أبالي ، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا
تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة) ^٢.

قال القاضي **قيل المراد** الفترات والغفلات عن الذكر الذي كان شأنه الدوام عليه فإذا فتر عنه أو غفل عد
ذلك ذنبا واستغفر منه قال **وقيل هو همه بسبب أمته** وما اطلع عليه من أحوالها بعده فيستغفر لهم **وقيل**
سببه اشتغاله بالنظر في مصالح أمته وأمورهم ومحاربة العدو ومداراته وتأليف المؤلفة ونحو ذلك فيشتغل
بذلك من عظيم مقامه فيراه ذنبا بالنسبة إلى عظيم منزلته وان كانت هذه الأمور من أعظم الطاعات وأفضل
الأعمال فهي نزول عن عالي درجته ورفيع مقامه من حضوره مع الله تعالى ومشاهدته ومراقبته وفراغه مما
سواه فيستغفر لذلك ، وقيل يحتمل أن هذا الغين هو السكينة التي تغطي قلبه لقوله تعالى فانزل السكينة
عليهم ويكون استغفاره إظهارا للعبودية والإفتقار وملازمة الخشوع وشكراً لما أولاه) شرح النووي على مسلم :
ج١٧ ص٢٣ وما بعدها .

١/ المعجم الأوسط للطبراني - باب الألف - من اسمه أحمد - حديث: ٨٤٦ ، شعب الإيمان للبيهقي - فصل في
إدامة ذكر الله عز وجل - حديث: ٦٦٥ وحسنه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم ٥٩٥٥ ، وصحيح الترغيب
حديث رقم ١٦١٩ .

٢/ سنن الترمذي الجامع الصحيح - الذبائح - أبواب الدعوات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - باب في
فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله بعباده - حديث: ٣٥٤٥ وصححه الألباني في صحيح سنن
الترمذي حديث رقم ٣٥٤٠ ، وصحيح الجامع حديث رقم ٤٣٣٨ .

٥/ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - فيما يحكى عن ربه عز وجل قال: (أُذنب عبد ذنبا فقال اللهم اغفر لي ذنبي. فقال تبارك وتعالى أُذنب عبدي ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب. ثم عاد فأذنب فقال أى رب اغفر لي ذنبي ، فقال تبارك وتعالى: عبدي أُذنب ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب ، ثم عاد فأذنب فقال أى رب اغفر لي ذنبي. فقال تبارك وتعالى أُذنب عبدي ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب واعمل ما شئت فقد غفرت لك) رواه مسلم . قال النووي (معناه فقد غفرت لك ما دمت تذنب ثم تتوب) اهـ.

٦/ عن زيد بن حارثة رضي الله عنه مولى النبي صلى الله عليه وسلم - أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من قال أستغفر الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه غفر له وإن كان فر من الزحف) ^١.

وفي هذا الحديث دلالة على أن الاستغفار يمحو الذنوب سواء كانت كبائر أو صغائر، فإن الفرار من الزحف من الكبائر.

لكن مما ينبغي أن يُعلم هنا أن المراد بالاستغفار ما اقترن به ترك الإصرار، فهو حينئذ يعد توبة نصوحا تجب ما قبلها، أما إن قال المرء بلسانه: أستغفر الله، وهو غير مقلع عن ذنب، فهو داع لله بالمغفرة، كما يقول: اللهم اغفر لي، وهذا طلب من الله المغفرة ودعاء بها، فيكون حكمه حكم سائر الدعاء لله، ويُرجى له الإجابة ^٢.

١/ أخرجه أبو داود في سننه - كتاب الصلاة- باب تفريع أبواب الوتر - باب في الاستغفار- حديث: ١٣٠٩ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود حديث ١٥١٧ .

٢/ وقد ذكر أهل العلم أن القائل: أستغفر الله وأتوب إليه له حالتان:

الأولى: أن يقول ذلك وهو مصر بقلبه على الذنب، فهذا كاذب في قوله: وأتوب إليه؛ لأنه غير تائب، فإن التوبة لا تكون مع الإصرار من العبد على الذنب.

رابعاً : درجات الاستغفار^١ :

الدرجة الأولى: الاستغفار باللسان: وهو أدنى الدَّرَجَات، وله فوائدٌ عديدة، ومنافعُ كثيرة:

منها: أَنَّهُ خَيْرٌ من السُّكُوت، ومنها: أَنَّهُ يتعوَّد صاحِبُهُ على الخير، والمداومةِ عليه، ومنها: أَنَّهُ يدعو العبد إلى الطَّاعات، والابتعاد عن الشَّرِّ، ومنها: أَنَّهُ يُرْجَى به حصولُ الاستجابة من الله الكريم الغَفَّار.

ولكن إن كان مع الإصرارِ على الذَّنْب فقد يكون مانِعاً من الإجابة؛ لما جاء في الحديث: عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - عن النبيِّ - صلى الله عليه وسلم - أَنَّهُ قال وهو على المنبر: **(ارْحَمُوا تُرْحَمُوا، واغْفِرُوا يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ، وَيَلْ لَأَقْمَعَ الْقَوْل، وَيَلْ لِلْمُصْرِينَ، الَّذِينَ يَصْرُونَ عَلَى مَا فَعَلُوا، وَهُمْ يَعْلَمُونَ)**^٢ قال المنذري في "الترغيب" (١٥٥ / ٣): "رواه أحمد بإسناد جيد".

الدرجة الثانية: الاستغفار بالقلب: فهو قوِيٌّ الأثر في تصفية القلوب من الكدر، وجزيل النَّفع، وبه تفرج الهموم، والغموم والكروب، وبه تَنْزِلُ الرحمات والبركات، وتفيض النفحات، وهو أعلى درجةً من الدرجة الأولى.

والحالة الثانية: أن يقول ذلك وهو مقلع بقلبه وعزمه ونيته عن المعصية، وجمهور أهل العلم على جواز قول التائب: أتوب إلى الله، وعلى جواز أن يعاهد العبد ربه على أن لا يعود إلى المعصية أبداً، فإن العزم على ذلك واجب عليه، فهو مخبر بما عزم عليه في الحال، وقد تقدم أن من شروط قبول التوبة العزم من العبد على عدم العودة إلى الذنب، فإن صح منه العزم على ذلك قبلت توبته، فإن عاد إلى الذنب مرة ثانية احتاج إلى توبة أخرى ليغفر له ذنبه، ولهذا فإن العبد ما دام كذلك كلما أذنب تاب وكلما أخطأ استغفر فهو حري بالمغفرة وإن تكرر الذنب والتوبة). فقه الأدعية والأذكار : ج٢ ص٢٨٧ . نقلا عن مقال : الاستغفار فضائله وفوائده - إعداد/ د: أحمد عرفة - معبد بجامعة الأزهر - صيد الفوائد .

١/ مختصر من مقال : درجات الاستغفار - عبده قايد الذريبي - شبكة الألوكة الشرعية .

٢/ قوله : (لَأَقْمَعَ) (قِمَعَ): وهو الإناء الذي يجعل في رأس الظرف ليملاً بالمائع . شبه استماع الذين يستمعون القول و لا يعونه ولا يعملون به بالأقماع التي لا تعي شيئاً مما يفرغ فيها ، فكأنه يمر عليها مجتازاً كما يمر الشراب في القمع .

الدرجة الثالثة: الاستغفار بالقلب واللسان: وهذا أفضل الدرجات، وأعلاها وأكملها، وهي درجة الخواصِّ والكُمَّل من عباد الله، وبه تجتمع الفضائل، ويصلح العباد، وبه تُغفر الزلَّات، وتكفَّر الخطيئات، وتضاعف الحسنات.

ومذهب أهل السُّنة الجزمُ بترتُّب المغفرة على الاستغفار المقرون بالتَّوبة الصحيحة، المتوفِّرة للشروط المعتبرة فيها.

قال بعضهم: "الاستغفار جامعٌ لِمعانٍ: **أولُّها** الندم على ما مضى، **الثاني:** العزم على التَّرك، **الثالث:** أداء ما ضيَّعت من فرض لله، **الرابع:** ردُّ المظالم في الأموال والأعراض، والمُصالحةُ عليها، **الخامس:** إذابة كلِّ لحم ودمٍ نبت على الحرام، **السادس:** إذاقة أَلَم الطاعة كما وجدت حلاوة المعصية"^١.

خامساً: صيغ الاستغفار:

من صيغ الاستغفار في القرآن الكريم:

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤١].

﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ [المؤمنون: ١١٨].

﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٣].

﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

من صيغ الاستغفار المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (سيدُّ الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذُ بك

١/ سِير أعلام النبلاء" (١١/ ٥٣٥).

من شرِّ ما صنَّعت، أبوء لك بنعمتك عليّ، وأبوء بذنبي؛ فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوبَ إلا أنت) قال: (مَن قالها من النهار موقنًا بها، فمات من يومه قبل أن يُمسي، فهو من أهل الجنة، ومَن قالها من الليل وهو مُوقنٌ بها، فمات قبل أن يُصبح، فهو من أهل الجنة): صحيح البخاري^١.

١/ هذا الحديث لعظمته شرحه عدد من أهل العلم وكتب فيه المعاصرون عددا من المقالات واقتبست في هذه العجالة ما ذكره بعضهم : سيد الاستغفار من الأذكار المطلقة المستحبة التي يُستغفر الله بها في عموم الأوقات، غير أن استحبابه يتأكد أديار الصلوات؛ لقول النبي - صلى الله عليه وسلم -: «سَيِّدُ الْإِسْتِغْفَارِ إِذَا انْصَرَفَ أَحَدُكُمْ مِنْ صَلَاتِهِ أَنْ يَقُولَ» وذكره. رواه البزار وقال: " هَذَا الْإِسْنَادُ مِنْ أَحْسَنِ إِسْنَادٍ يُرَوَّى عَنْ شَدَّادٍ وَأَشَدِّهِ اتِّصَالًا عَنْهُ ". وكذلك، فإن من المواضع التي يتأكد فيها استحبابه وقت أذكار الصباح التي تكون بعد الفجر وأذكار المساء التي تكون بعد العصر. وجزاء من قال سيد الاستغفار دخول الجنة إن كان موقنًا بما تضمنه هذا الذكر يقيناً لا يعتريه جهل ولا شك ولا ريب.

قال ابن القيم - رحمه الله -، إذ كان الطلب بإقرار العبد بربوبية الله - جل وعلا - بقوله: " اللهم أنت ربي "، ودعائه باسم الرب الذي يحمل في معانيه قدرته وإحسانه وتربيته عبده وإصلاح أمره؛ ولذا كان غالب دعاء الأنبياء مصدراً باسم الرب، كدعاء إبراهيم - عليه السلام - بقوله: ﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَتَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾ [إبراهيم: ٣٥]. والثناء إنما كان بالألوهية : " لا إله إلا أنت"، المثبت انفراد الرب بالإنسية المتضمنة كمال علمه وقدرته ورحمته وحكمته وما يجب له من الصفات العلى والأسماء الحسنى وأنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له. ثم كان اعتراف المستغفر بخلق الله له؛ فهو الذي خلقه وأوجده ولم يكن شيئاً: " خلقتني "؛ فهو حقيق بان يتولى تمام الإحسان إليه بمغفرة ذنوبه، كما ابتداء الإحسان إليه بخلقه. ولزوم العبد قدره، وإظهاره فقره بعبوديته عند سؤال ربه مما يرفعه عند مولاه ويدني إجابة سؤاله: " وأنا عبدك ". والعبودية غاية إيجاد الخلق، وهي أشرف وصف أطلق على عبد؛ ولذا أضفاه الله - سبحانه - على نبيه في أشرف الأمكنة والأحوال فقال: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ﴾ [الإسراء: ١]، وقال: ﴿ وَأَنْتَ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾ [الجن: ١٩]. ومن لازم العبودية لله الوفاء بعهده ووعده، ولا وفاء إلا بثبات الحياة كلها: " وأنا على عهدك ووعدك "، أي: مقيم ثابت.

والوفاء بعهده الله يكون بامتنال أمره واجتناب نهيه، والوفاء بوعده يكون بالجزم بصدقه وعدم تخلفه، كاليقين بوعده الله نصر المؤمنين وثواب الطائعين؛ فالعبد يسير بين قيامه بعهده الله إليه وتصديقه بوعده. ولما كان الضعف سمة للمخلوق قيّد هذا الوفاء بالاستطاعة التي هي مناط التكليف: " ما استطعت "؛ أي: إنما أقوم بذلك بحسب استطاعتي، لا بحسب ما ينبغي لك وتستحقه علي. وصنائع الشر من لازم جهل الإنسان وظلمه الذي لا يُسَلَّم من ضره إلا بالاستعاذة بالله: " أعوذ بك من شر ما صنعت "؛ فاستعاذته بالله التجاء إليه وتحصن به وهروب إليه من المستعاذ منه، كما يتحصن الهارب من العدو بالحصن الذي ينجيه منه. واعتراف العبد بنعمة مولاه عليه من أسباب رضاه عنه وتجاوزه عن زلته سيما إن قرنه باعترافه بذنبه، " أبوء لك بنعمتك عليّ "؛ اعتراف بإنعام المنعم على وجه الخضوع له والذل والمحبة، وذلك هو أصل الشكر كما قال ابن

سادساً: الاستغفار هو المخرج للأمة كلها من أزماتها المتتالية ١ :

حياة الإنسان على سطح الأرض لا تخلو من مصاعب ومشكلات قد تكون بسيطة أو قوية أو تُشبه الزلزال، والإنسان في مواجهة مُشكلاته تختلف قدراته اختلافاً ضخماً؛ فهناك مَنْ يستطيع السيطرة على مشكلاته العاصفة، ويستطيع تيسير حياته وهناك مَنْ يَنْحني ويَنْزوي من مشكلات الحياة التي تُصنّف بأنها عادية جداً.

ولعلنا نتساءل عن السبب أو الأسباب التي تجعل حياة البعض يسيرة سلسة، بينما تبدو الحياة كعبء كبير لدى آخرين.

والحقيقة أنها أسباب كثيرة تتداخل فيها العوامل الوراثية وعناصر التربية الأولى والثقافة السائدة .. و..، لكن هناك سبب محوريّ وأساسي وركيزة أساسية لا يمكن لحياة إنسان على وجه الأرض أن تطيب بدونها، ألا وهو علاقة الإنسان بخالقه - عز وجل - فكلما اقترب الإنسان أكثر واستشعر قربَه منه - تعالى - ودعاه وذكره، كلما نظر للحياة بمنظار مختلف أوسع وأرحب، فهانت مشكلاته وتمكّن من الصبر مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٧]، والعكس صحيح أيضاً، فكلما ابتعد الإنسان عن خالقه ولم يذكره تحوّلت حياته لشقاء مُقيم كحياة شيطان؛

القيم. وقد اقترن اعتراف العبد بنعمة الله عليه باعترافه بتقصيره في حقه: "وأبوء بذنبي؛" فمن الله الإحسان، ومن العبد العصيان، والعارف يسير إلى الله بين مشاهدة المنّة ومطالعة عيب النفس والعمل. قال بعض أهل العلم: " ينبغي للعبد أن تكون أنفاسه كلها نفسين: نفساً يحمد فيه ربّه، ونفساً يستغفره من ذنبه". لجقّ بكر بن عبد الله المزني - رحمه الله - حملاً على حمله وهو يقول: الْحَمْدُ لِلَّهِ، اسْتَغْفِرُ اللَّهَ، قَالَ: فَانْتَظَرْتُهُ حَتَّى وَضَعَ مَا عَلَى ظَهْرِهِ، وَقُلْتُ لَهُ: مَا تُحْسِنُ غَيْرَ ذَا؟ قَالَ: بَلَى، أَحْسِنُ خَيْرًا كَثِيرًا: أَقْرَأُ كِتَابَ اللَّهِ، غَيْرَ أَنَّ الْعَبْدَ بَيْنَ نِعْمَةٍ وَذَنْبٍ؛ فَأَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى نِعَمَائِهِ السَّابِغَةِ، وَأَسْتَغْفِرُهُ لِذُنُوبِي، فَقَالَ بكر: الْحَمْدُ أَفْقَهُ مِنْ بَكْرٍ". والإقرار بالنعمة والذنب طريق لتمام العبودية وسلامتها من الآفات، يقول شيخ الإسلام - رحمه الله -: "ومتى شهد العبد هذين الأمرين استقامت له العبودية، وترقى في درجات المعرفة والإيمان. وتصاغرَتْ إليه نفسه، وتواضعَ لربّه. وهذا هو كمال العبودية، وبه يبرأ من العُجب والكِبَر وزينة العمل". نقلا عن مقال :

١/ مقال: الاستغفار ودوره في تيسير الحياة - أسامة الهتمي - شبكة الألوكة الشرعية - باختصار .

يقول تعالى: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ * وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ * حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾ [الزخرف: ٣٦ - ٣٨].

وَمِنْ أَهَمِّ الْمَفَاتِيحِ الَّتِي يَقْتَرِبُ بِهَا الْإِنْسَانُ مِنْ رَبِّهِ، وَمِنْ ثَمَّ تَتيسَّرُ حَيَاتُهُ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ جَزَائِهِ فِي الْآخِرَةِ: مِفْتَاحُ الْاسْتِغْفَارِ الَّذِي يَفْتَحُ الْأَبْوَابَ الْمُغْلَقَةَ وَالْمَوْصَدَةَ، وَيُزِيلُ الْمَرَارَةَ الَّتِي تَعْتَرِي الْإِنْسَانَ وَهُوَ يَصَارِعُ مَشْكَلَاتِهِ، بَلْ هُوَ يَحُلُّ الْمَشْكَلَاتِ الصَّعِيبَةَ مِنْ جَذُورِهَا؛ فَلِلْاسْتِغْفَارِ شَأْنٌ عَجِيبٌ لَا يَعْرِفُهُ إِلَّا مَنْ جَرَّبَهُ وَذَاقَ حَلَاوَتَهُ؛ يَقُولُ رَبُّنَا - عَزَّ وَجَلَّ - عَنِ الْاسْتِغْفَارِ: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح: ١٠، ١٢].

وَلَيْسَ مِنَ الْمُبَالَغَةِ فِي شَيْءٍ أَنْ نَقُولَ: إِنَّ كُلَّ مَشْكَلَاتِ الْحَيَاةِ مُرْتَبِطَةٌ بِقَضِيَّةِ الرِّزْقِ سَلْبًا وَإِيجَابًا؛ فَطَلِبُ الْمَالِ رِزْقٌ، وَطَلِبُ الْعِلْمِ رِزْقٌ، وَطَلِبُ الصَّحَةِ رِزْقٌ، وَطَلِبُ الزَّوْجَةِ الصَّالِحَةِ رِزْقٌ، وَطَلِبُ الْأَوْلَادِ رِزْقٌ، وَالرِّزْقُ يَأْتِي بِالْاسْتِغْفَارِ الصَّادِقِ مَعَ الْيَقِينِ الْجَازِمِ، وَبِهَذَا تُوَاخِجُهُ الْمَشْكَلَاتُ.

وَفِي الْحَدِيثِ: (مَنْ لَزِمَ الْاسْتِغْفَارَ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرْجًا، وَمِنْ كُلِّ ضَيْقٍ مَخْرَجًا، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ)؛ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ.

نَعَمْ؛ الْمَخْرَجُ مِنَ الْهَمِّ وَالْغَمِّ وَالضَّيْقِ - أَيًّا كَانَ سَبَبُهُ - هُوَ الْاسْتِغْفَارُ، وَالشَّوَاهِدُ كَثِيرَةٌ جَدًّا، وَكُتِبَ التَّرَاثُ مَلِيئَةً بِقِصَصِ الْعُلَمَاءِ وَالسَّلَفِ الصَّالِحِ مَعَ الْاسْتِغْفَارِ؛ فَكَانَ كُلُّ مَنْهُمْ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ لَجَأَ لِلْاسْتِغْفَارِ - بَيِّقِينَ - فَتُحَلَّ مَشْكَلَتُهُ أَوْ مَسْأَلَتُهُ بِيسْرٍ وَسُهولة^١.

١/ وأقول: العالم اليوم (مارس ٢٠٢٠) يعيش في بلاء عظيم ألا وهو: جائحة كورونا، ولا مخرج لهم إلا بأميرين: التقوى والاستغفار، فأما التقوى فقد سبق الحديث عنها في البشارتين الثالثة والرابعة، وأما الاستغفار فقد

علمته من خلال هذه البشارة فمن أراد النجاة له ولأهله وبلده فليلزم ما ورد في هذه البشارات الثلاث فلن يصيبه مكروه مع الأخذ بالأسباب الطبية لأن الله أقام الدنيا على الأسباب . والآن نكتب هنا أهم ما جاء في موقع منظمة الصحة العالمية فيما يتعلق بهذا الوباء :

ما هو فيروس كورونا؟ فيروسات كورونا هي فصيلة كبيرة من الفيروسات التي قد تسبب المرض للحيوان والإنسان. ومن المعروف أن عدداً من فيروسات كورونا تسبب لدى البشر حالات عدوى الجهاز التنفسي التي تتراوح حدتها من نزلات البرد الشائعة إلى الأمراض الأشد وخامة مثل متلازمة الشرق الأوسط التنفسية والمتلازمة التنفسية الحادة الوخيمة (السارس). ويسبب فيروس كورونا المُكتشف مؤخراً مرض فيروس كورونا كوفيد-١٩.

ما هو مرض كوفيد-١٩؟ هو مرض معد يسببه فيروس كورونا المُكتشف مؤخراً. ولم يكن هناك أي علم بوجود هذا الفيروس وهذا المرض المستجدين قبل اندلاع الفاشية في مدينة يوهان الصينية في كانون الأول/ديسمبر ٢٠١٩.

ما هي أعراض مرض كوفيد-١٩؟ تتمثل الأعراض الأكثر شيوعاً لمرض كوفيد-١٩ في الحمى والإرهاق والسعال الجاف. وقد يعاني بعض المرضى من الآلام والأوجاع، أو احتقان الأنف، أو الرشح، أو ألم الحلق، أو الإسهال. وعادة ما تكون هذه الأعراض خفيفة وتبدأ تدريجياً. ويصاب بعض الناس بالعدوى دون أن تظهر عليهم أي أعراض ودون أن يشعروا بالمرض. ويتعافى معظم الأشخاص (نحو ٨٠%) من المرض دون الحاجة إلى علاج خاص. وتشتد حدة المرض لدى شخص واحد تقريباً من كل ٦ أشخاص يصابون بعدوى كوفيد-١٩ حيث يعانون من صعوبة التنفس. وتزداد احتمالات إصابة المسنين والأشخاص المصابين بمشكلات طبية أساسية مثل ارتفاع ضغط الدم أو أمراض القلب أو داء السكري، بأمراض وخيمة. وقد توفي نحو ٢% من الأشخاص الذين أُصيبوا بالمرض. وينبغي للأشخاص الذين يعانون من الحمى والسعال وصعوبة التنفس التماس الرعاية الطبية. كيف يمكنني حماية نفسي ومنع انتشار المرض؟

تدابير الحماية للجميع : اطلع باستمرار على آخر المعلومات عن فاشية مرض كوفيد-١٩ التي تُتاح على موقع المنظمة الإلكتروني والتي تصدرها سلطة الصحة العمومية الوطنية والمحلية في بلدك. لقد سجّلت بلدان كثيرة في العالم حالات إصابة بمرض كوفيد-١٩ ، يمكنك الحد من احتمال إصابتك بمرض كوفيد-١٩ أو من انتشاره باتخاذ بعض الاحتياطات البسيطة:

- ١- نظف يديك جيداً بانتظام بفركهما مطهر كحولي لليدين أو بغسلهما بالماء والصابون.
- ٢- احتفظ بمسافة لا تقل عن متر واحد (٣ أقدام) بينك وبين أي شخص يسعل أو يعطس.
- ٣- تجنب لمس عينيك وأنفك وفمك.

فعندما تقف في انتظار حافلة تُقلُّك لمكان عملك، وعندما تأتي الحافلة - بعد طول انتظار - مُكدَّسة بالبشر وتختنق وأنت محاط بهؤلاء، ثم تقف هذه الحافلة وقتاً رهيباً طويلاً في إشارة مرور، فكيف تذهب لعملك وتبدأ يومك وأنت على هذه الحال إذا لم يكن الاستغفار هو رفيقك؟! أو كيف تعود لبيتك وتبتسم لزوجتك وأولادك وأنت على هذه الحال إن لم يكن الاستغفار هو رفيقك؟!

سابعاً: قصص معاصرة في تفريغ الهموم ببركة الاستغفار:

القصة الأولى: قصة الرجل الكويتي مع الانجاب^١:

قال الداعية خالد السلطان عن هذا الموقف الذي مر به مع احد المستغفرين :
في ليلة من ليالي التشريق (أيام الحج) وبالقرب من (البيت العتيق) القيت كلمة عن الاستغفار ومعناه وفضله وأثره وكان كلامي فيه الدليل والمنطق والعقل فلما انتهيت من كلمتي القصيرة (وهي عاداتي) طلب احد الحاضرين الحديث معي على انفراد فقبلت الحديث معه فبدأ بسرد قصته مع الاستغفار.

بو يوسف: انا تزوجت ولله الحمد ولكن زوجتي تأخرت بالانجاب فقممت ببذل الاسباب، ما سمعت عن طبيب إلا زرتة ثم سافرت بعد ذلك للخارج التمس العلاج

٤- تأكد من أتباعك أنت والمحيطين بك لممارسات النظافة التنفسية الجيدة. ويعني ذلك أن تغطي فمك وأنفك بكوعك المثنى أو بمنديل ورقي عند السعال أو العطس، ثم التخلص من المنديل المستعمل على الفور.

٥- إلزم المنزل إذا شعرت بالمرض. إذا كنت مصاباً بالحمى والسعال وصعوبة التنفس

١/ منتديات أتباع المرسلين . سيد الاستغفار - د. محمد بن عبدالله بن إبراهيم السحيم - شبكة الألوكة الشرعية .

والكل يؤكد بقوله (ما فيك إلا العافية انت وزوجتك) فرجعت الكويت وكلي رجاء بالله (والله على كل شيء قدير).قلت: اسأل الله ان يرزقك الذرية الصالحة يا بو يوسف وعليك بالدعاء خاصة انك في ايام عظيمة وفي مكان عظيم وأنت اليوم مجاور (البيت العتيق).

بو يوسف: آمين لكن بعد ما خلصت قصتي.

قلت: كمل يا بو يوسف كلي اذن صاغية.

بو يوسف: في يوم من الايام وأنا استمع لإذاعة القرآن الكريم (السعودية) سمعت من يقرأ الآية التي ذكرتها يا شيخ في كلمتك من سورة نوح (فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا).

فشرح الشيخ الآية وبين ان الاستغفار طريق لجلب الاطفال فعلمت الكلمات في بالي فلما رجعت للمنزل قلت لزوجتي ما سمعت وعزمنا على اخذ العلاج (الاستغفار) ليلا ونهارا سرا وعلانية (تدري يا شيخ ما حصل؟!!!).زوجتي حملت بنفس الشهر الذي استغفرنا فيه وجاء (يوسف) والحمد لله.

قلت: ما شاء الله صدق الله وهو خير الصادقين (والله لا يخلف الميعاد) وقال تعالى: (ومن أصدق من الله قيلا) (ومن اصدق من الله حديثا).

بو يوسف: شيخ إلى الان لم تنته قصتي بعد. قلت: خلاص جاك الولد (شنو بعد).

بو يوسف: لما انتهت زوجتي من النفاس قلت لها: استغفري يا ام يوسف للثاني فاستغفرنا مثل الأول فحملت بنفس الشهر وجاء الثاني بحمد الله ولما انتهت من نفاسها الثاني قلت استغفري يا أم يوسف نبي ثالث فاستغفرنا فجاء الثالث ولله الحمد فلما انتهت زوجتي من نفاسها قالت يا بو يوسف وقف عن الاستغفار (بنية

الاولاد) شوي حتى يكبر الأولاد وبعدها نرجع نستغفر للرابع بإذن الله. قلت: الله يبارك لك بما رزقك ويجعل ذريتك قرة عين خاصة أنك رأيت آية من آيات الله فيك وفي زوجتك وفي ذريتك.

بو يوسف: آمين الله يستجيب دعائك لكن يا شيخ ما خلصت بعد من قصتي.

قلت: ما انتهت الاحداث بعد! اكمل يا ابا يوسف.

بو يوسف: بعدما كبر الاولاد قليلا قلت لأم يوسف عندنا ثلاثة اولاد ونرجو من الله ان يرزقنا (بنت حلوة) استغفري يا ام يوسف وأنت ترجين بنتا.. فسكت بو يوسف. قلت: الله يرزقك البنت كما رزقك الأولاد يا أخي الكريم.

بو يوسف: ابشرك يا شيخ أنا اليوم جئت الحج وزوجتي في النفاس مع بنتها الجديدة (انتهت قصة بو يوسف) ^١.

القصة الثانية : فرج الله تعالى هم والده المالي ببركة الاستغفار ^٢ :

١/ قال أحد المعلقين : القصة السابقة فيها عدة أمور لازم نتعرف عليها حتى تكتمل المعاني:

(١) بان معك الاستغفار وفضله وآثره.

(٢) الاستغفار يؤثر على حسب نية المستغفر اي لأي شيء تستغفر لطلب مال.. ولد.. نجاح.. توبة.. فعلى نية المستغفر يكون الأثر بإذن الله.

(٣) يحتاج الاستغفار لنية صادقة ومخلصة لله وأن تدرك معناه وأن تفهم المراد منه فالنية لها اثرها في حياتك كلها.

(٤) الله لا يخلف الميعاد وإذا تخلف الاثر فاعلم ان هناك امرا تسبب به.

(٥) الاستغفار كالدعاء اما يأتيك ما طلبت وإما يأتيك غير طلبك واما يصرف عنك سوءاً بسبب استغفارك او ان يدخر الله لك ما استغفرت ليوم القيامة فيجازيك جزاء الضعف عنده جل في علاه .

٢/ المرجع السابق .

قال أحد الدعاة : كان ابي يمر بضائقه مالية وقلت سوف اشترى سياره وابعيها واعطي ثمنها لابي - كان ذلك في شهر رمضان المبارك - وعندما بدأت العشر الاواخر قررت الاعتكاف كان معتكفي في قبو الحرم المكي ، وقررت أن يكون دعائي طيلة العشر هو الاستغفار فقط ، إشتغلت به في قيامي وقعودي وفي كل احوالي ، وفي ليلة ثمان وعشرين ، اتى الي اخي وقال لي ان احد اصدقائك يريدك ضروري ولا بد ان تكلمه فاتصل اخي به واذا به يقول لي ان لك شيك بمبلغ ٨٠٠٠٠ الف ريال سعودي كتبه لك احد الامير عبدالعزيز بن فهد ، فقلت له والله الذي لا اله غيره لم اطلب احد ريال بل لم اطلب الدنيا ممن يملكها ، فقال لي اعرف انك سترفض المبلغ لكني انا من طلب المبلغ باسمك وقد زكاك احد العلماء واخذ رقم حسابي البنكي وحول المبلغ في الحال وعند خروجي ليلة العيد ذهبت الي فرع المطار وسحبت المبلغ كامل من البنك واخفيت به وبعد صلاة العيد قبلت راس والدي يرحمه الله وسلمت له المبلغ كاملاً كهدية العيد لابي وايقنت ان هذا كله من فضل الله وحده وبفضل كثرة الاستغفار .

القصة الثالثة : أخرج الله تعالى من السجن ورزقه المال ببركة الاستغفار:

إخواني في الله : أقسم لكم بالله الذي لا إله إلا هو ان هذه القصة حقيقية بكل ماجاء فيها ، وتتضمن قصتي هذه أنني رجل فقير إشتغلت في عدة أعمال ولكن الله لم ييسر لي النجاح فيها .. ثم قدر الله وسجنت في قضية سياسية في السعودية ، وكنت في السجن - الذي مكثت فيه قريباً من ثلاثة أشهر - قد لزمتم الاستغفار بشكل قوي بحيث أصبحت أستغفر في اليوم الواحد آلاف المرات ولله الحمد ، وعلى الرغم من أن قضيتي خطيرة وقليل أن أسجن عليها سنة !! ، ولكن الله تعالى فرج عني بعد ٨٧ يوماً فقط من سجلي ، ثم رزقني سبحانه وبحمده بعد خروجي من السجن بستين ألفاً من أحد المحسنين حيث علم بسوء أحوالي المادية فاستدعاني من تلقاء نفسه وأعطاني ثلاثين ألفاً وبعد فترة قليلة أعطاني مثلها فكانت ستين

ألفاً ، وقال لي : خذها عوناً على أمور دنياك !! .. وقد والله اشتد ذهولي مما جرى
فرأيت حينها رأي العين العواقب العظيمة للإستغفار ! .. وقد صدق النبي صلى
الله عليه وسلم حينما قال : (من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً ،
ومن كل ضيق مخرجاً ، ورزقه من حيث لا يحتسب)^١ . أخوكم في الله / سجين سابق في
السعودية .

القصة الرابعة : شفى الله تعالى ابنته ببركة الاستغفار^٢:

يقول الاستاذ : أسامة الهتيي : ومنذ نحوٍ من عام تعرّضتُ لأزمة هزت كياني عندما
رُزقتُ بطفلة مُبتسرة أمضت نحواً من الشهرين في الحضّانة، وحالتها بالغة السوء؛
فهي عاجزة عن التنفس تماماً، وموضوعة على جهاز التنفس الصناعي، ومصابة
بتسمّم دمويٍّ، وأمراض أخرى يزول واحد ويأتي آخر، والأطباء قد يئسوا من شفائها،
وبعضهم قال لي: لا تحزن إن توفيتُ؛ فنقص الأكسجين الذي تعرّضت له منذ
مولدها، ووجودها على جهاز التنفس الصناعي لفترة طويلة، قد يكون له تأثير على
البصر أو السمع أو الحركة أو الإدراك، في ذلك اليوم رأيته هيكلاً عظيماً تلقّاه الأجهزة
والآلات، وقد تلوّث وجهها وأنفها وفمها بالدم من كثرة الحقن والأجهزة، وهي موضوعة
في ذلك القفص الزجاجي، وفي طريق عودتي رأيت الأشجار خضراء وارفة، مملوءة
بالجمال والبهاء، فتدكّرتُ ابنتي المريضة الذابلة، ودعوت الله الذي أبدع هذا الجمال
والقوة أن يمنحهما لهذه الذابلة العاجزة فلذة كبدي، قرأتُ يومها مقالاً لرجل تعرّض
لنفس أزمي، وقال له الأطباء مثل ما قالوا لي، ففزع لصلاته ودعائه وتحقّقت المعجزة
وشفى الله ولده، وهو الآن لديه ست سنوات، وهو سليم معافٍ وأكثر إخوته ذكاءً،
ففزعت أنا أيضاً للاستغفار والدعاء وأنا أتلَمّس الأوقات الشريفة.

١/ حسنه الحافظ ابن حجر في " الأمالي المطلقة " ، ص (٢٥١) .

٢/ مقال : الاستغفار ودوره في تيسير الحياة - أسامة الهتيي - شبكة الألوكة الشرعية .

وفوجئت في نفس اليوم باتصال هاتفي من المستشفى يخبرونني أنهم سوف ينقلون ابنتي من جهاز التنفس الصناعي، وكنت كلما دعوتُ الله تنتقل ابنتي خطوة على طريق الشفاء حتى شُفيتُ تمامًا، وما هي الآن تجاوزت العام ولم يمَسَّها سوء، وإدراكها جيد للغاية، وحواسها سليمة، والأكثر من ذلك أنها أصبحت بالغة الجمال، فلم أر في حياتي طفلة بجمالها، وهذه شهادة كل من يراها، وعندما أرى هذا الجمال البديع أتذكر تلك الأشجار اليبانة التي جعلتني أدعو من أبدوها أن يَهَب لابنتي مثل جمالها.

البشارة الحادية والعشرون

ذو الحظِّ العظيم يحوِّل العدوَّ إلى وليٍّ حميمٍ

عمدة هذه البشارة قوله تعالى : (وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ) سورة فصلت (٣٤-٣٥).

وجه البشارة : معلوم أن قلوب العباد بيد الله تعالى ورضا الناس عنك أو غضبهم عليك لا يكون إلا بتقليب الله تعالى لقلوبهم ولهذا قال الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم في شأن التآلف الذي تم بين المهاجرين والأنصار (وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)^١ سورة الأنفال (٦٣).

١/ قال القرطبي : وألف بين قلوبهم أي جمع بين قلوب الأوس والخزرج . وكان تألف القلوب مع العصبية الشديدة في العرب من آيات النبي صلى الله عليه وسلم ومعجزاته ، لأن أحدهم كان يلطم اللطمة فيقاتل عنها حتى يستقيدها . وكانوا أشد خلق الله حمية ، فألف الله بالإيمان بينهم ، حتى قاتل الرجل أباه وأخاه بسبب الدين . وقيل : أراد التأليف بين المهاجرين والأنصار . والمعنى متقارب .

ومن هنا يمكننا القول : ربما بذلت الآلاف من الأموال لتنال رضا بعض الناس وهم لا يزدادون إلا بعداً عنك وسُخْطاً عليك ، وربما أحبك بعض الناس بدون سبب ظاهر منك ، **فالآية تشير إلى سبب ظاهر وهو الإحسان إلى المصطفى** - كما سيأتي تفصيله - فمن استعمله مع الأعداء تحولوا إلى أعز الأصدقاء ، وتلك هي البشارة ، لأن العداوات هي أعظم الأسباب الموصلة إلى نقص دين المؤمن ودنياه بل هي المؤدية إلى تضييع العمر وهو رأس مال الإنسان وعليه المعول .

ولكن صاحب هذه البشارة وصفه الله بأنه (ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ) ي نصيب وافر من الخير ، كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما ^١ .

وكما تعودت أن ألخص لك أخي الحبيب ما يتعلق بكل بشارة مما يتعلق بمفهومها وما ورد فيها من نصوص ومحفزات وذلك في نقاط :

أولاً : ما جاء في تفسير الآية الكريمة :

قال القرطبي رحمه الله تعالى : قال ابن عباس : أي : ادفع بحلمك جهل من يجهل عليك . وعنه أيضاً : هو الرجل يسب الرجل فيقول الآخر : إن كنت صادقاً فغفر الله لي ، وإن كنت كاذباً فغفر الله لك . وكذلك يروى في الأثر : أن أبا بكر الصديق - رضي الله عنه - قال ذلك لرجل نال منه .

قال السعدي رحمه الله تعالى : يقول تعالى : { وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ } أي : لا يستوي فعل الحسنات والطاعات لأجل رضا الله تعالى ، ولا فعل السيئات والمعاصي التي تسخطه ولا ترضيه ، ولا يستوي الإحسان إلى الخلق ، ولا الإساءة إليهم ، لا في ذاتها ، ولا في وصفها ، ولا في جزائها { هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ }

١/ نقلاً عن تفسير القرطبي . ونقل - القرطبي - عن قتادة ومجاهد : الحظ العظيم الجنة . قال الحسن : والله ما عظم حظ قط دون الجنة . وقيل : الكناية في يلقاها عن الجنة ، أي : ما يلقاها إلا الصابرون ، والمعنى متقارب .

ثم أمر بإحسان خاص، له موقع كبير، وهو الإحسان إلى من أساء إليك، فقال: { ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ } أي: فإذا أساء إليك مسيء من الخلق، خصوصًا من له حق كبير عليك، كالأقارب، والأصحاب، ونحوهم، إساءة بالقول أو بالفعل، فقابله بالإحسان إليه، فإن قطعك فصله، وإن ظلمك، فاعف عنه، وإن تكلم فيك، غائبًا أو حاضرًا، فلا تقابله، بل اعف عنه، وعامله بالقول اللين. وإن هجرك، وترك خطابك، فطَيِّب له الكلام، وابذل له السلام، فإذا قابلت الإساءة بالإحسان، حصل فائدة عظيمة.

{ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ } أي: كأنه قريب شفيق^١.

قوله تعالى ذلك { وَمَا يُلْقَاهَا } أي: وما يوفق لهذه الخصلة الحميدة { إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا } نفوسهم على ما تكره، وأجبروها على ما يحبه الله، فإن النفوس مجبولة على مقابلة المسيء بإساءته وعدم العفو عنه، فكيف بالإحسان؟.

فإذا صبر الإنسان نفسه، وامتلأ أمر به، وعرف جزيل الثواب، وعلم أن مقابلته للمسيء بجنس عمله، لا يفيد شئًا، ولا يزيد العداوة إلا شدة، وأن إحسانه إليه، ليس بواضع قدره، بل من تواضع لله رفعه، هان عليه الأمر، وفعل ذلك، متلذذًا مستحلًا له.

١/ ومما قاله المفسرون في معنى الحسنه والسيئة ما يأتي:

١- أن الحسنه هي التوحيد، وأن السيئة هي الشرك.

٢- أن الحسنه المداراة، والسيئة الغلظة.

٣- أن الحسنه الحلم، والسيئة الفحش.

٤- أن الحسنه الصبر، والسيئة النفور.

٥- أن الحسنه العفو، والسيئة الانتصار. وقيل إن هذه الآية نزلت في أبي جهل حيث كان يؤدي النبي صلى الله عليه وسلم فأمره الله بالصبر عليه والصفح عنه، وفي هذه الآية الكريمة تربية لنفوس المؤمنين وتوجيه لهم بالإحسان لمن أساء.

قوله تعالى : { وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ } لكونها من خصال خواص الخلق، التي ينال بها العبد الرفعة في الدنيا والآخرة، التي هي من أكبر خصال مكارم الأخلاق.

ثانياً : من أجمل الأخلاق المبادرة بالإحسان دون حصول الإساءة من أحد :

ذكر الأستاذ مهدي راسم سليم عددا من صور الإحسان في حياتنا الواقعية العملية كثيرة وعديدة أقتبس منها ما يلي ^١ :

١/ أن نقدم هدية لمن أحسنا إليه: أعتدنا الحديث عن الإحسان لمن أسأنا إليه لإعادة العلاقات الاجتماعية والمحافظة عليها ولأن الحسنات يذهبن السيئات، وبما أن حديثنا في هذا المقام عن الإحسان فالموضوع يتجاوز المقارنة بالتعامل والمماثلة بالتصرفات، فمنزلة الإحسان تقتضي أن نحسن ونهدي من أسدنا إليه معروفا وقدمنا له خدمة؛ حتى نَتِمَّ عملنا على أكمل وجه ولا نشعر بأفضليتنا عليه وحتى تكون هذه العبادة دون انتظار مقابل لتحقيق المعنى الحقيقي للإحسان.

٢/ الإحسان في التحية ورد السلام: مقام الإحسان هنا يقتضي ألا ترد التحية بمثلها وتصمت، ولا أن تصافح الشخص كأنك مكره على ذلك، بل الإحسان أن تبدأ أنت بالسلام أو ترده بأحسن منه، والإحسان كذلك أن تلقى أخاك بوجه طلق وابتسامة من القلب وتصافحه بفرح، وتشعره أنه من أحب الناس إليك.

وعند مصافحته مد له يدك برفق ولطف وافعل كما فعل رسول الله صلى عليه وسلم حيث كان "إِذَا اسْتَقْبَلَهُ الرَّجُلُ فَصَافَحَهُ لَا يَنْزِعُ يَدَهُ مِنْ يَدِهِ حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ الَّذِي يَنْزِعُ". رواه الترمذي وحسنه الألباني.

٣/ الإحسان في الكلام: وهذا النوع بالذات مطلوب؛ لأن كثرة مخالطة الناس والحديث معهم سمح للبعض بالترخص في أدب الحديث وتجاوز كثيرا من الخصوصيات، فما

١/ مقال لنعش مع بعضنا بإحسان - للكاتب الأستاذ. مهدي راسم سليم - موقع صيد الفوائد .

أجمل الإحسان هنا عندما ننادي المقربين منا بأحب الأسماء إليهم، وندعو لهم بظهر الغيب، ونكون مرآة صافية لإخواننا ننصحهم بالسر ونهمس بأذنهم بصمت، نقيّل عنهم العثرات ونبحث لهم عن الأعذار، ونظهر قلوبنا من الحقد والغل عليهم كي ينطق لساننا عند الحديث معهم بأطيب الكلمات وأعذب العبارات.

٤/ الإحسان في مهنتك: وهذا من أجمل مواضع الإحسان التي تشعر فيها أن الله يراك، وهذا لا يكون إلا عندما تتقن العمل بغياب المسؤول كما تتقنه في حضوره، وعندما تتفنن بالصناعة وتُجَمِّلُها للغريب كما تنتقي أفضل الأنواع وأجود السلع التي تخص بها أهل بيتك.

وعندما تكون مبادرا ومبدعا ومبتكرا ولا تنتظر الأوامر كي تعمل، أما عندما تكون مسؤولا ومديرا ومستقلا بالقرار فإنك تزين قراراتك الإدارية بالأخلاق، والأوامر الصادرة بالآداب، والإجراءات الإدارية بحسن المعشر ودوام الابتسامة، عندها يتقن العامل الحرفة ويتفانى المسؤول بالخدمة ونتفاخر بصناعاتنا ونحفر عليها بكل فرح وفخر (صناعة وطنية).

٥/ إذا أردنا أن نعيش بين بعضنا بإحسان فعلينا أن نستشعر رقابة الله في أقوالنا وأفعالنا وخلواتنا، وأن نبحث عن الخير لِيُسَطرَ في حياتنا ويوضع في ميزان حسناتنا، ثم نغسل قلوبنا من أمراضها لتصبح أنقى من الثلج في بياضه، فنقدم المعروف والنفع لغيرنا دون أن ننتظر مديحاً أو ثناء، فنحسن لمن أساء إلينا، ونخرج عن أحبابنا صدقة جارية هدية لهم دون إخبارهم لنلقي عند الله سبحانه وتعالى ﴿ عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرِجِينَ ﴾ (الحجر ٤٨).

ثالثاً : نموذجان في حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في رد السيئة بالحسنة :

الأول : قصة نبي الله يوسف -عليه السلام- مع إخوته :

حكى لنا القرآن الكريم مثالا رائعا في قصة نبي الله يوسف -عليه السلام- مع إخوته، بعد أن حسدوه لمحبة أبيه له، فألقوه في البئر ليتخلصوا منه، وتمرُّ الأيام ويهب الله ليوسف -عليه السلام- الملك والحكم، ويصبح له القوة والسلطان بعد أن صار وزيراً لملك مصر. وجاء إليه أخوته ودخلوا عليه يطلبون منه الحبوب والطعام لقومهم، ولم يعرفوه في بداية الأمر، ولكن يوسف عرفهم ولم يكشف لهم عن نفسه، وترددوا عليه أكثر من مرة، وكان في كل مرة يسحن وفادتهم ويعطيهم من الميرة التي جاءوا من أجلها فوق ما يؤملون، ولم يذكرهم بما فعلوه معه من رميه في الجب بعد محاولة بعضهم قتله.

وفي النهاية عرفهم يوسف بنفسه، فتذكروا ما كان منهم نحوه، فخافوا أن يبطش بهم، وينتقم منهم؛ لما صنعوا به وهو صغير، لكنه قابلهم بالعفو الحسن والصفح الجميل، وقال لهم: {لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين}.

عجيبه والله أخلاق هذا النبي الكريم، وإحسانه! فمع قدرته على الانتقام، عفا عنهم مباشرة، بل إنه هو الذي يُراعي مشاعرهم، فتأمل قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾ [يوسف: ١٠٠] كأنَّ الذنب والجهل صار من الطرفين، مع العلم أنَّه لا ذنب له ١.

وأيضاً ذكر إحسان الله إليه بإخراجه من السجن: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾ [يوسف: ١٠٠]، ولم يذكر إحسان الله إليه بإخراجه من البئر حين أُلقي بها، مع أنَّه أعظم.

الثاني : إحسان النبي صلى الله عليه وسلم إلى من أساءوا إليه ^١:

١/ انتهز هذه الفرصة لأقول إن إحسان سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم ليس قاصرا على من أساء إليه بل كان صلوات الله عليه محسنا إلى سائر الكائنات واقتصر هنا على بعض ما بينه العلماء مما قدمه عليه الصلاة والسلام للبشرية : يقول : د. عادل بن علي الشدي .

يتساءل البعض من غير المسلمين ولا سيما من الغربيين عن ما قدمه محمد صلى الله عليه وسلم للبشرية في ظل تشويه متعمد في كثير من المصادر الغربية لشخصية هذا النبي الكريم وانطلاقاً من مسئوليات البرنامج العالمي للتعريف بنبي الرحمة صلى الله عليه وسلم فإننا نرى أن من المتعين علينا أن نجيب عن هذا التساؤل دون الدخول في التفاصيل ، وأن نقدم نبذة مختصرة مما قدمه خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم للعالم وذلك في النقاط التالية

- نقل محمد محمد صلى الله عليه وسلم البشر - بوحى الله إليه - من عبودية البشر والخضوع لهم إلى عبودية الله وحده لا شريك له فأصبح الإنسان حراً من عبودية غير الله تعالى وهذا أعظم تكريم للإنسان.
- حرر محمد محمد صلى الله عليه وسلم عقول البشر - بوحى من الله - من الخضوع للخرافات والدجل والارتهاق للأصنام والمعبودات الباطلة أو التصديق بأفكار مناقضة للعقل كالقول بأن لله ابناً من البشر وبأنه ضحى به دون خطيئة أو ذنب منه فداءً للبشر .
- أرسى محمد صلى الله عليه وسلم دعائم التسامح بين البشر - وأوحى الله إليه في القرآن - أن لا إكراه في الدين و بين صلى الله عليه وسلم حقوق غير المسلمين الذين لا يحاربون المسلمين وأن لهم الأمن على أنفسهم، وأبنائهم، وأعراضهم ، وأموالهم ، وفي بلاد المسلمين إلى اليوم رعايا من اليهود والنصارى يعيشون حياة كريمة ، بينما قضت محاكم التفتيش على وجود المسلمين في أسبانيا في تطهير عرقي مخالف للمبادئ المعلنة في الحضارة الغربية .
- كان محمد صلى الله عليه وسلم رحمة من الله للعالمين على اختلاف أديانهم وأعراقهم بل إن في تعاليمه ما يؤكد على الرحمة للطيور والحيوانات وعلى تحريم الإضرار بها دون حق والاعتداء عليها .
- قدّم محمد صلى الله عليه وسلم صورة مشرقة من صور الاحترام والتقدير لجميع الأنبياء الذين سبقوه ومنهم إبراهيم وموسى وعيسى (عليهم الصلاة والسلام)، بل أوحى الله إليه نصاً على أن من كذب أحداً منهم أو انتقصه فإنه ليس بمسلم فالأنبياء جميعاً إخوة يشتركون في دعوة الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له .
- دافع محمد صلى الله عليه وسلم عن حقوق الإنسان ذكراً كان أو أنثى صغيراً كان أو كبيراً وبغض النظر عن مكانته الاجتماعية أو مستواه المعيشي ، وقرر جملة من المبادئ السامية في هذا المجال ومن ذلك نصه في خطبة حجة الوداع التي توفي بعدها بأقل من ثلاثة أشهر على شدة تحريم الاعتداء على الدماء والأموال والأعراض وذلك قبل أن يعرف العالم قانون الشرط الكبير عام ١٢١٥م ووثيقة إعلان الحقوق عام ١٦٢٨م وقانون تحرير الجسد عام ١٦٧٩م وإعلان الاستقلال الأمريكي عام ١٧٧٦م ووثيقة حقوق الإنسان والمواطن عام ١٧٨٩م والإعلان العالمي لحقوق الإنسان عام ١٩٤٨م .

١/ إحسانه صلى الله عليه وسلم الرجل الذي سل السيف وجهه : لقد ذكر ابن سعد في الطبقات أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، في (غزوة غطفان) أصاب رسول الله وأصحابه مطر، فزرع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ثوبيه ونشرهما ليحفا وألقاهما على شجرة واضطجع، فجاء رجل من العدو يقال له دعثور بن الحارث ومعه سيف حتى قام على رأس رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ثم قال: من يمنعك مني اليوم؟ قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: الله! ودفع جبريل في صدره فوقع السيف من يده، فأخذه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وقال له: من يمنعك مني؟ قال: لا أحد! أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله! ثم أتى قومه فجعل يدعوهم إلى الإسلام ونزلت هذه الآية فيه: (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون) سورة المائدة (١١).^١

- رفع محمد صلى الله عليه وسلم من شأن الأخلاق في حياة الإنسان فدعا إلى الأخلاق الكريمة وحماها مثل الصدق والوفاء والعفاف، ودعا إلى توثيق الروابط الاجتماعية مثل بر الوالدين وصلة الأقارب وطبق ذلك عملياً، ونهى عن الأخلاق السيئة وابتعد عنها وحذر منها مثل الكذب والغدر والحسد والزنا وعقوق الوالدين، وعالج المشكلات الناتجة عنها.
- دعا محمد صلى الله عليه وسلم - بوحى من الله تعالى - إلى إعمال العقل واكتشاف الكون واكتساب المعرفة وعد ذلك مما يُثاب عليه الإنسان في حين كان العلماء والمفكرون يعانون في حضارات أخرى من الاضطهاد والاتهام بالتجديف والهرطقة، ويتم إرهابهم بالسجن والتعذيب وربما القتل.
- قدّم محمد صلى الله عليه وسلم للبشرية النموذج المتكامل في الأخوة بين بني البشر وأخبر أنه لا فضل لجنس بشري على جنس آخر فكلهم متساوون في أصل الخلقة والحقوق والواجبات، وإنما يكون التفاضل بمقدار الإيمان والتقوى، وأتاح الفرصة المتساوية بين أصحابه لخدمة الدين والانتماء إليه فكان منهم صهيب الرومي، وبلال الحبشي، وسلمان الفارسي جنباً إلى جنب مع إخوانهم من العرب. نقلا عن مقال : ١٠ إضاءات حول ما قدمه النبي محمد صلى الله عليه وسلم للبشرية - موقع رسول الله - باختصار.

١/ القصة ذكرها ابن سعد في الطبقات ٣٥/٢ وأصل القصة في صحيح البخاري مختصرة باب من علق سيفه بالشجر في السفر عند القائلة. الحديث رقم (٢٩١٠) وفي صحيح مسلم باب توكله صلى الله عليه وسلم وعصمة الله له الحديث رقم (٦٠٩٠)

٢/ إحسان النبي صلى الله عليه وسلم إلى ثمامة بن أثال الحنفي :

قال أبو هريرة -رضي الله تعالى عنه-: "بعث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- خيلاً قبّل نجد، فجاءت برجل من بني حنيفة، يقال له: **ثمامة بن أثال**" سيد أهل اليمامة، فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه النبي -صلى الله عليه وسلم-، فقال: **ما عندك يا ثمامة؟ .**

فقال: عندي خير يا محمد، إن تقتلني تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكرك، وإن كنت تريد المال، فسّل تعط منه ما شئت، وإن كنت تريد المال فسّل تعط منه ما شئت. فتركه رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، حتى كان بعد الغد، فقال: **ما عندك يا ثمامة؟ .**

قال: ما قلت لك: إن تنعم تنعم على شاكرك، وإن تقتل تقتل ذا دم، وإن كنت تريد المال فسّل تعط منه ما شئت.

فتركه رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، حتى كان من الغد، فقال: **ماذا عندك يا ثمامة؟ .** فقال: عندي ما قلت لك: إن تنعم تنعم على شاكرك، وإن تقتل تقتل ذا دم، إن كنت تريد المال فسّل تعط منه ما شئت. فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: **أطلقوا ثمامة .**

فانطلق إلى نخل قريب من المسجد، فاغتسل ثم دخل المسجد، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، يا محمد، والله ما كان على الأرض وجه أبغض إلي من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلي، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها إلي، والله ما كان من دين أبغض إلي من دينك، فأصبح دينك أحب الدين كله إلي، والله ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك، فأصبح بلدك أحب البلاد كلها إلي، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة، فماذا ترى؟

فبشره رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وأمره أن يعتصر، فلما قدم مكة، قال له قائل: "أصبوت؟" في رواية البخاري ومسلم: قال: لا، ولكن أسلمت مع رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة، حتى يأذن فيها رسول الله-صلى الله عليه وسلم-". [رواه البخاري: ٤٣٧٢، ومسلم: ٤٦٨٨، وأحمد: ٩٨٣٢].^١

رابعاً : قصص من حياة السلف في رد السيئة بالحسنة :

لا يخفى على مسلم ما كان عليه السلف رضي الله عنهم من تقديم الدنيا على الآخرة وعدم اكتراثهم بذواتهم بل وإيثارهم الآخر على نفسه عندما تتعارض المصالح الدنيوية ومن هنا كان عفوهم عن أساء إليهم بل ربما كان الإحسان إلى المسيء هو الغالب عليهم، فهذه قطرة من بحر حسن خلقهم .

١/ قصة أبي هريرة رضي الله عنه : سبَّ رجلٌ أبا هريرة، فلمَّا انتهى قال له أبو هريرة رضي الله عنه: "انتهيتَ، قال الرجل: نعم، وإن أردتَ أن أزيدك زِدْتُكَ، فقال أبو هريرة: يا جارية، انتني...، فسكن الرجل، وقال في نفسه: بماذا سيأمرها؟ فقال: أبو هريرة انتني بوضوءٍ، فتوضأ أبو هريرة وتوجَّه إلى القبلة، فقال: اللهم إنَّ عبدك هذا سبَّني،

١/ لماذا ربط ثمامة بن أثال في سارية المسجد: كان النبي -صلى الله عليه وسلم- قد ملئ حكمة، وبُعد نظر، ولذلك أمر: بأن يربط "ثمامة" ليس في خيمة، ولا في بيت مغلق، أو في سجن، وإنما وضع في المسجد، وربط إلى سارية -عمود- من سواري المسجد.

إن ربط "ثمامة" إلى سارية من سواري المسجد، معناها: أنه يرى يومياً كيفية حياة المسلمين في المسجد، وكيف يأتون إلى الصلاة مبكرين، وكيف يصلون، ويجلسون يدعون، ويذكرون الله، يُرفع الأذان يطرق مسامع "ثمامة" خمس مرات في اليوم، وتقام الصلاة، ويسمع قراءة النبي -عليه الصلاة والسلام-، وسماع قراءة النبي -عليه الصلاة والسلام- وحدها في غاية التأثير؛ فجبر بن مطعم يقول: "سَمِعْتُ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- يَفْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ بِالطُّورِ، فَلَمَّا بَلَغَ هَذِهِ الْآيَةَ: أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ * أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَتِ رَبِّكَ أَمْ هُمْ الْمُسْتَطِرُونَ [الطور: ٣٥-٣٧] كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ" [رواه البخاري: ٤٨٥٤]. فسماع قراءة النبي -عليه الصلاة والسلام- وحدها مؤثرة. نقلا عن الموقع الرسمي للشيخ محمد صالح المنجد – مقال: الأسير الذي أسلم .

وقال عتي ما لم أعلمه من نفسي، اللهم إن كان عبدك هذا صادقاً فيما قال عتي، اللهم فاغفر لي، اللهم إن كان عبدك هذا كاذباً فيما قال عتي، اللهم فاغفر له، فانكبت الرجل على رأس أبي هريرة رضي الله عنه يُقبِّلُها".

٢/ معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما : كان لعبد الله بن الزبير رضي الله عنهما أرض وكان له فيها عبيد يعملون فيها، وإلى جانبها أرض لمعاوية بن أبي سفيان، وفيها أيضاً عبيد يعملون فيها، فدخل عبيد معاوية في أرض عبد الله بن الزبير، فكتب عبد الله كتاباً إلى معاوية يقول له فيه: "أما بعد، يا معاوية، إن عبيدك قد دخلوا في أرضي، فانهبهم عن ذلك، وإلا كان لي ولك شأن، والسلام" فلما وقف معاوية على كتابه وقرأه، دفعه إلى ولده يزيد، فلما قرأه قال له معاوية: "يا بني ما ترى؟" قال: "أرى أن تبعث إليه جيشاً يكون أوله عنده وآخره عندك يأتونك برأسه"، فقال: "بل غير ذلك خير منه يا بني"، ثم أخذ ورقة، وكتب فيها جواب كتاب عبد الله بن الزبير، يقول فيه: "أما بعد، فقد وقفت على كتاب ولد حواري رسول الله، وساءني ما ساءه، والدنيا بأسرها هيّنة عندي في جنب رضاه، نزلت عن أرضي لك، فأضفها إلى أرضك بما فيها من العبيد والأموال، والسلام". فلما وقف عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما على كتاب معاوية رضي الله عنه، كتب إليه: "قد وقفت على كتاب أمير المؤمنين أطل الله بقاءه، ولا أعدمه الرأي الذي أحله من قريش هذا المحل، والسلام" فلما وقف معاوية على كتاب عبد الله بن الزبير، وقرأه رمى به إلى ابنه يزيد، فلما قرأه تهلل وجهه، وأسفر، فقال له أبوه: "يا بني من عفا ساد، ومن حلّم عظم، ومن تجاوز استمال إليه القلوب، فإذا ابتليت بشيء من هذه الأدواء، فدأوه بمثل هذا الدواء" (المستطرف للأبشيبي).

٣/ قصة عمر بن عبد العزيز رحمه الله: أسمع رجل عمر بن عبد العزيز كلاماً يكرهه، فقال عمر: "أردت أن يستفزني الشيطان لعزة السلطان، فأنال منك اليوم ما تناله مني غداً (يوم القيامة) انصرف رحمك الله".

ودخل عمر بن عبدالعزيز المسجد في ليلة مظلمة، فمرَّ برجل نائم فعثر به، فرفع الرجل رأسه وقال: أمجنون أنت؟ (وما علم أنه أمير المؤمنين)، فقال عمر: لا، فهم به الحرس، فقال عمر: مه، إنما سألني أمجنون؟ فقلت: لا.

٤/ قصة عبدالله بن المبارك رحمه الله: يقول نوح بن حبيب: "كنتُ عند ابن المبارك فألحوا عليه، فقال: هاتوا كتبكم حتى أقرأ، فجعلوا يرمون إليه الكتب من قريبٍ ومن بعيد، وكان رجلٌ من أهل الريّ يسمع كتاب الاستئذان، فرمى بكتابه فأصاب صلعة ابن المبارك حرفُ كتابه، فانشقَّ وسال الدَّم، فجعل ابن المبارك يعالج الدَّم حتى سكن، ثمَّ قال: سبحان الله! كاد أن يكون قتال، ثمَّ بدأ بكتاب الرَّجل فقرأه"؛ (رواه البيهقي في الشعب: ٨٣٢٠).

٥/ قصة إبراهيم بن أدهم رحمه الله: خرج يوماً يمشي فمرَّ على رجلٍ من اليهود وكان معه كلب، فأراد الرَّجل أن يُغضب إبراهيم، فقال الرجل لإبراهيم: يا إبراهيم، لحيتك هذه أطهر من ذَنبِ كلبِي أم ذَنبُ كلبِي أطهر من لحيتك؟ فإذا إبراهيم يقول: إن كنتُ من أهل الجنَّة فإنَّ لحيتي أطهر من كلبك، وإن كنتُ من أهل النَّار فذَنبُ كلبك أفضل من لحيتي، فقال الرجل: هذه أخلاق النبوة، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

٦/ قصة زين العابدين علي بن الحسين رحمهما الله: يُذكر أنَّ جارية له جعلت تسكب عليه الماء، فتهياً للصلاة فسقط الإبريق من يد الجارية على وجهه فشجَّه، فرفع علي بن الحسين رأسه إليها، فقالت الجارية: إن الله عزَّ وجل يقول: ﴿وَالْكَافِرِينَ الْغَيْظَ﴾، فقال لها: قد كظمتُ غيظي، قالت: ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾، فقال لها: قد عفا الله عنك، قالت: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، قال: اذهبي فأنتِ حرَّةٌ؛ (البيهقي في "الشعب": ٨٣١٧). ولقيه رجلٌ مرَّةً في الطريق فسبَّه، فثارت إليه العبيد فقال: مهلاً، ثمَّ أقبل على الرجل فقال ما ستر عنك من أمرنا أكثر، ألك حاجة نعينك عليها، فاستحيا الرَّجل، فألقى عليه خميصه كانت عليه، وأمر له بألف

درهم، فكان الرَّجُل بعد ذلك يقول: أشهد أنَّك من أولاد الرسول، وصدق ربنا حيث قال: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤].

٧/ وما أجمل شعر أبو الفتح البستي حين قال :

أَحْسِنُ إِلَى النَّاسِ تَسْتَعْبِدُ قُلُوبُهُمْ فطالما استعبد الإنسان إحساناً
وَإِنْ أَسَاءَ مُسِيءٌ فَلْيَكُنْ لَكَ فِي عُروض زَلَّتْهُ صَفْحٌ وَغُفْرَانُ
وَكُنْ عَلَى الدَّهْرِ مَعُونًا لَّذِي أَمَلِ يَرْجُو نَدَاكَ فَإِنَّ الْحُرَّ مَعُونُ
وَاشْدُدْ يَدَيْكَ بِحَبْلِ اللَّهِ مُعْتَصِمًا فَإِنَّهُ الرُّكْنُ إِنْ خَانَتْكَ أَرْكَانُ

خامساً : ما يعين المسلم على مقابلة السوء بالإحسان والمغفرة ما يلي ^١:

- ١- على المسلم أن يتخلق بمقتضى صفات الله وأسمائه، فאלله يتحبب إلى عباده بالبرِّ والإحسان، والمغفرة، وهم يقابلونه بالمعاصي، وعدم شكر النعمة.
- ٢- أن يعلم العبد أنَّ ما يُصيبه من ذلك إنما هو بسبب ذنوبه، فليَتُبَّ وليستغفر، وقد قال بعض الصالحين: "إِنِّي لأعصي الله، فأرى ذلك في خلق دابتي وامرأتي" ^٢.
- ٣- أن يتعوّد المحسن عدمَ انتظار الشُّكر من أحد، فالخلق لا ينفعونه، ولا يضرُّونه، بل الأمر لله وَحْدَهُ، ومن أجملِ النَّصائح في هذا الباب ما ذكره الشيخُ عائض القرنى - حفظه الله - يقول: "خلق الله العباد ليذكروه، ورزق الخليفة ليشكروه، فعبدوا غيره، وشكر الغالب سواه؛ لأنَّ طبيعة الجحود والنكران والجفاء وكفر النعمة غالبية على النفوس، فلا تصطدم إذا وجدت هؤلاء قد كفروا جميلك وأحرقوا

١/ مقال: تكريم المنان فيمن قابل الإساءة بالإحسان - مرشد الحيايى - شبكة الألوكة الشرعية .

٢/ الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي"، لابن القيم - رحمه الله، ص ٦٨، مؤسسة الكتاب والثقافة، بيروت، لبنان، الطبعة ١٤٢٤ - ٢٠٠٣.

إحسانك، ونسوا معروفك، بل ربّما رَمَوْكَ بمنجنيق الحقد الدّفين، بل ربّما ناصبوك العداء، ولا شيء إلا لأنك أحسنت إليهم؛ ﴿وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [التوبة: ٧٤].

اعمل الخير لوجه الله - تعالى - لأنك الفائز على كلّ حال، ثم لا يضر عملك تعظيم من عظمه، ولا جحود من جحده، واحمد الله - تعالى - لأنك المحسن، وهو المسيء، واليد العليا خير من اليد السفلى؛ ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٩]، لا تتفاجأ إذا أهديت بليداً قلماً، فكتب به هجاءك، أو أعطيت جافياً عصا يتوكل عليها ويمش بها على غنمه، فشجّ بها رأسك، هذا هو الأصل عند هذه البشرية المحنطة في كفن الجحود مع بارئها - جلّ في علاه - فكيف بها معي ومعك؟! ^١.

٤- أن يعلم ما للإحسان إلى المسيء من عظيم الثواب والعاقبة الحسنة في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا ما يحصل للمحسن من لذة الإيمان، وسعة الصدر وانسراحه، وسلامة القلب من الأحقاد الشخصية، وحب الانتقام والتشفي، إن ثبت على هذه المعاناة النفسية، مع حفظ الله له، كما أشار النبي الكريم لمن جاءه يشكو من الإساءة، فقال: ((لئن كنت كما قلت، فكأنما تسفهم المَلّ، ولا يزال لك من الله - تعالى - ظهيرٌ عليهم ما دُمت على ذلك))، وانقلاب المعادي المبغض إلى محبٍّ وموَالٍ؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٤ - ٣٥].

وفي العقبى أخبر المولى ما للمحسن من عظيم الأجر والمكرمة؛ فقال: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءً وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٢]؛ أي: يدفعون القبيح

١/ كتاب لا تحزن، للشيخ عايض القرني، ص ١٩ تحت عنوان: "لا تنتظر شكراً من أحد" بتصرف، مكتبة الصّحابة، الإمارات، الشارقة، الطبعة الثالثة، ١٤٢٣ - ٢٠٠٢.

بالحسن، فإذا آذاهم أحد، قابلوه بالجميل صبرًا، واحتمالًا، وعفوا^١، ثم ذكر سبحانه الجزاء، فقال: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣ - ٢٤].

١/ تفسير ابن كثير رحمه الله، (٤٩٢/٢)، المكتبة القيمة للطباعة، سنة ١٤١٤.

البشارة الثانية والعشرون

لأهل التقوى فرقان بين الحق والباطل والحجة والشبهة

عمدة هذه البشارة قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) الأنفال (٢٩) .

ووجه البشارة : أن من اتقى المحرمات مريداً بذلك وجه الله تعالى فتح بصيرته حتى يفرق بين أهل السعادة وأهل الشقاوة ، ويفرق بين الهدى والضلال ، والحق والباطل ، والحلال والحرام ، والخطأ والصواب في أمر دينه ودنيا ، فلا تنطلي عليه شبهة ولا تستفزه شهوة ، ولا يصير على انحراف في الفكر أو خطأ في الفهم أو سوء في الأخلاق .

إن الحق في ذاته لا يخفى على الفطرة البشرية. فهناك وفاقٌ بين الفطرة والحق الذي فُطرت عليه؛ بيد أن الهوى هو الذي يحول بين الحق والفطرة، وهو الذي ينشر الغبش، ويحجب الرؤية، ويُعي المسالك، ويخفي الدروب. والهوى لا تدفعه الحجة، إنما تدفعه التقوى، وتدفعه مخافة الله، ومراقبته في السر والعلن. ومن ثم كان هذا **(الفرقان)** الذي ينير البصيرة، ويرفع اللبس، ويكشف الطريق^١.

ونبه الطاهر ابن عاشور إلى لطيفة مهمة في الآية وهي **(لكم)** فقال رحمه الله تعالى : وقد أشعر قوله: **{لكم}** أن الفرقان شيء نافع لهم، فالظاهر أن المراد منه كل ما فيه مخرج لهم ونجاة من التباس الأحوال، وارتباك الأمور، وانهمام المقاصد، فيؤول إلى استقامة أحوال الحياة، حتى يكونوا مطمئني البال منشرجي خاطر، وذلك يستدعي أن يكونوا منصورين، غالبين، بُصراء بالأمور، كَمَلَة الأخلاق، سائرين في طريق الحق والرشاد، وذلك هو ملاك استقامة الأمم، فاختيار

١/ مقال بعنوان : إن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا - الشبكة الإسلامية .

(الفرقان) هنا؛ لأنه اللفظ الذي لا يؤدي غيره مؤداه في هذا الغرض، وذلك من تمام الفصاحة.

أولاً: ينال التقى الفرقان بين العلوم الحقّة والباطلة وبين الحجج والشبهات :

قال محمد رشيد رضا رحمه الله تعالى : وكلمة " الفرقان " فيها كلمة جامعة ككلمة التقوى في مجيئها هنا مطلقة ، فالتقوى هي الشجرة ، والفرقان هو الثمرة ، وهو صيغة مبالغة من مادة الفرق ، ومعناها في أصل اللغة : الفصل بين الشيئين أو الأشياء ، والمراد بالفرقان هنا العلم الصحيح والحكم الحق فيها ، ولذلك **فسروه بالنور** ، وذلك أن الفصل والتفريق بين الأشياء والأمور في العلم هو الوسيلة للخروج من حيز الإجمال إلى حيز التفصيل ، وإنما العلم الصحيح هو العلم التفصيلي الذي يميز بين الأجناس والأنواع والأصناف والأشخاص .

ثم قال رحمه الله تعالى : فقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا) معناه: إن تتقوا الله في كل ما يجب أن يتقى بمقتضى دينه وشرعه ، وبمقتضى سننه في نظام خلقه ، يجعل لكم بمقتضى هذه التقوى ملكة من العلم والحكمة تفرقون بها بين الحق والباطل ، وتفصلون بين الضار والنافع ، وتميزون بين النور والظلمة ، وتزيلون بين الحجة والشبهة .

ثم قال رحمه الله تعالى : وهذا النور في العلم الذي لا يصل إليه طالبه إلا بالتقوى ، هو الحكمة التي قال الله فيها : يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب فهو كعهد الله في إمامة الناس بالحق لا ينال الظالمين لأنفسهم بالتقليد لغيرهم لاحتقارها في جنب إطرانهم لمقلديهم ، بل هم لا يطلبونه ولا يقصدون الوصول إليه ، لأنهم صدقوا بعض الجاهلين في ادعائهم إقفال بابه ، وكثافة حجابيه ، بل أصحابه هم الأئمة المجتهدون في الشرع والدين والواضعون للعلوم التي تنفع الناس.

ثانياً : ينال التقى الفرقان في الأحوال الظاهرة والباطنة :

قال الرازي رحمه الله تعالى : هذا الفرقان إما أن يعتبر في أحوال الدنيا أو في أحوال الآخرة، أما في أحوال الدنيا فإما أن يعتبر في أحوال القلوب وهي الأحوال الباطنة أو في الأحوال الظاهرة .

أما في أحوال القلوب فأمور :

أحدها : أنه تعالى يخص المؤمنين بالهداية والمعرفة .

وثانيها : أنه يخص قلوبهم وصدورهم بالانشراح كما قال : (أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه) [الزمر : ٢٢] .

وثالثها : أنه يزيل الغل والحقد والحسد عن قلوبهم ويزيل المكر والخداع عن صدورهم ، مع أن المنافق والكافر يكون قلبه مملوءاً من هذه الأحوال الخسيسة والأخلاق الذميمة ، والسبب في حصول هذه الأمور أن القلب إذا صار مشرقاً بطاعة الله تعالى زالت عنه كل هذه الظلمات لأن معرفة الله نور ، وهذه الأخلاق ظلمات ، وإذا ظهر النور فلا بد من زوال الظلمة .

وأما في الأحوال الظاهرة : فإن الله تعالى يخص المسلمين بالعلو والفتح والنصر والظفر ، كما قال : (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) [المنافقون : ٨] وكما قال : (ليظهره على الدين كله) [التوبة : ٣٣] وأمر الفاسق والكافر بالعكس من ذلك . وأما في أحوال الآخرة ، فالثواب والمنافع الدائمة والتعظيم من الله والملائكة وكل هذه الأحوال داخلة في الفرقان .

ثالثاً : كل متق لله في شيء يؤتاه فرقانا فيه :

قال محمد رشيد رضا رحمه الله تعالى : ثمرة التقوى العامة الكاملة هنا حصول ملكة الفرقان التي يفرق صاحبها بنوره بين الأشياء التي تعرض له من علم وحكم

وعمل ، فيفصل فيها بين ما يجب قبوله ، وما يجب رفضه ، وبين ما ينبغي فعله ، وما يجب تركه ، وتنكير الفرقان للتنويع التابع لأنواع التقوى كالفتن في السياسة والرياسة والحلال والحرام والعدل والظلم.

فكل متق لله في شيء يؤتاه فرقانا فيه ، وبذلك كان الخلفاء والحكام من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم من خلفاء العرب أعدل حكام الأمم في الأرض حتى في عهد الفتح .

قال بعض حكماء الإفرنج : ما عرف التاريخ فاتحا أعدل ولا أرحم من العرب ، ولكنهم لم يتقوا فتن السياسة والرياسة لقلة اختبارهم فعوقبوا عليها بتفرقهم فضعفهم فزوال ملكهم ، وكان من بعدهم من أعاجم المسلمين دونهم لجهلهم بكل نوع من أنواع التقوى الواجبة ، وحرمانهم من فرقانها ، فهم يزعمون أنهم يجددون مجدهم مع جهل هذا الفرقان المبين ، وعدم الاعتصام بالتقوى المزكية للنفس ، المؤهلة لها للإصلاح في الأرض ، بل مع انغماسهم في السكر والفواحش ، لظنهم أن الإفرنج قد ترقوا في دنياهم بفساقهم وفجارهم ، وإنما ترقوا بحكمائهم وأبرارهم ، الذين وقفوا حياتهم على العلم والعمل النافع.

رابعاً: ثلاث وقفات مع تكملة الآية الكريمة^١:

هذه الآية من الآيات الإرشادية والتوجيهية التي تنير طريق المسلم في هذه الحياة، وترسم له الموجهات التي يهتدي بهديها، ويستضيء بنورها .

الوقفه الأولى : افتتاح الآية بنداء {الذين آمنوا} له دلالة مهمة، وهي أن المخاطبين خوطبوا بوصف (الإيمان)؛ تذكيراً لهم بعهد الإيمان، وما يقتضيه من الالتزام بطاعة الله، واجتناب معاصيه، وبيان عاقبة هذا الالتزام وهو حصول ما يتم من

١/ مقال بعنوان: إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا - الشبكة الإسلامية .

خلاله التمييز والتفريق بين ما هو حق وبين ما هو باطل. والمراد من هذا الاستهلال حث المؤمنين على المداومة والمثابرة على التقوى، قال ابن عاشور: "ف فعل الشرط {إن تتقوا الله}، مراد به الدوام؛ فإنهم كانوا متقين، ولكنهم لما حذروا من المخالفة والخيانة، ناسب أن تفرض لهم الطاعة في مقابل ذلك".

الوقف الثانية : قوله سبحانه: {ويكفر عنكم سيئاتكم}، قال ابن عاشور: تكفير السيئات يصح أن يكون المراد به تكفير السيئات الفارطة التي تعقبها التقوى . ومفعول {يغفر لكم} ، محذوف وهو ما يستحق الغفران وذلك هو الذنب ، ويتعين أن يحمل على نوع من الذنوب ، وهو الصغائر التي عبر عنها باللمم ، ويجوز العكس بأن يراد بالسيئات الصغائر وبالمغفرة مغفرة الكبائر بالتوبة المعقبة لها . وقيل : التكفير الستر في الدنيا ، والغفران عدم المؤاخذه بها في الآخرة .

الوقف الثالثة : ختم الآية الكريمة بقوله سبحانه: {وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ}.

قال محمد متولي الشعراوي رحمه الله ^١ : فمعنى ذلك أن هناك فضلاً أقل من عظيم، كما أن هناك فضلاً يعلوه تميزاً. نعم، ونعلم أن التفاضل موجود عند البشر؛ هذا يتفضل على هذا بطعام، أو يتفضل عليه بملبس، أو يتفضل عليه بشراب، أو يتفضل عليه بمسكن، أي أن هناك أنواعاً متعددة من الفضل، لكنها لا توصف بالعظمة؛ لأن الفضل العظيم يكون من الله تعالى فقط لأنه سيؤول إليه كل فضل من دونه، فمن أعطى آخر رغيف خبز فلنعلم أن وراءه من أحضر الخبز من المخبز، ووراءه من جاء بالدقيق من المطحن، ووراءه من زرع وحصد.

إذن كل فضل هو من الله ومآله مردود إلى الله عز وجل، وهذا هو الفضل العظيم. وأيضاً نجد أن الذي يتفضل على واحد لا بد أنه يبغي من وراء هذا الفضل شيئاً، مثل كمال الذات، وأنه يود الحمد والثناء، ويبغي راحة نفس إنسانية، ونرى أناساً

١/ تفسير الشعراوي .

يؤدون الفضل لغيرهم ليقبلوا من آلامهم، لا لأنهم يطبقون منهج الله، بل يرغبون في مجرد راحة النفس، مثل الكفار الذين يصنعون أشياء تفيد الناس، فهم يفعلونها وليس في بالهم الله، بل في بالهم راحة النفس وانسجامها.

إذن فالذي يتفضل إنما يريد شيئاً، إما كمال مال أو ثناء وإطراء، وراحة نفس من مناظر الإيلام التي يراها، وهذا دليل على أنه يعاني من نقص ما ويريد أن يكمله. فإذا كان الله عز وجل هو صاحب الفضل، أَلله نقص في كمال؟! لا.

إذن فهذا هو الفضل العظيم ويمنحه لعباده تفضلاً منه دون رغبة في كمال أو ثناء، وأيضاً فكل فضل من دون الله يتضمّن المنّ، لكن فضل الله تعالى ليس فيه منّ وليس فيه ذلة لأحد. وقد يستنكف إنسان أن يأخذ شيئاً من إنسان آخر. لكن من الذي يستنكف على فضل الله؟. لا أحد. لأنّ الحياة كلها هبة منه.

ولذلك يُضرب المثل بالفتاة التي قالت لمعن بن زائدة:

فَعُدْ إِنَّ الْكَرِيمَ لَهُ مَعَاد وَظَنِّي بِابْنِ أَرَوَى أَنْ يَعُودَا

وكانت الفتاة تطالب ابن زائدة أن يعود إلى التفضل عليهم، فنهرا أبوها، فقالت له: يا أباي إن الملوك لا يُسْتَحَى من الطلب منهم.

البشارة الثالثة والعشرون

من لزم التضرع إلى الله تعالى نال المراد وفاق الأنداد

عمدة هذه البشارة قوله تعالى : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

وجه البشارة : بداية معنى الدُّعاء: هو إظهار غاية التذلل والافتقار إلى الله، والاستكانة له^١؛ ثم أقول : إن الله تعالى رغب العباد في الدعاء ووعدهم بالإجابة ، فهو سبحانه الذي فتح باب العطاء للسائلين وقضاء حاجيات المحتاجين وتفريج هم المهمومين وكرب المكروبين ، فأين الذين يلجأون إليه ويرغبون فيما لديه ، ويثقون في عطائه فيُخلصون في السؤال ويطلبون منه حسن النوال .
والدعاء من العلوم التي أفردتها بعض العلماء بالتأليف ولكن سأذكر أهم ما ينبغي للمسلم أن يعلمه ، في النقاط الآتية :

أولاً: أقوال المفسرين في الآية :

قال السعدي رحمه الله تعالى : (وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) هذا من لطفه بعباده، ونعمته العظيمة، حيث دعاهم إلى ما فيه صلاح دينهم ودنياهم، وأمرهم بدعائه، دعاء العباد، ودعاء المسألة، ووعدهم أن يستجيب لهم، وتوعد من استكبر عنها فقال: (إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) أي: ذليلين حقيرين، يجتمع عليهم العذاب والإهانة، جزاء على استكبارهم .

وقال القرطبي رحمه الله تعالى : وكان خالد الربيعي يقول : عجيب لهذه الأمة ، قيل لها : ادعوني أستجب لكم أمرهم بالدعاء ووعدهم الاستجابة ، وليس بينهما شرط . قال له قائل : مثل ماذا ؟ قال : مثل قوله تعالى : **وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيها هنا شرط** ، وقوله : **وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق فليس فيه شرط العمل** ،

^١ / فتح الباري بشرح صحيح البخاري - لابن حجر العسقلاني - (١١ / ٩٨) .

ومثل قوله : فادعوا الله مخلصين له الدين فها هنا شرط ، وقوله تعالى : **ادعوني أستجب لكم** ليس فيه شرط . وكانت الأمة تفرع إلى أنبيائها في حوائجها حتى تسأل الأنبياء لهم ذلك .

ولما كان للدعاء أهميته في حياة المسلم وبينت النصوص فضله وضرورة الالتزام به وكثرة اللجوء إلى رب الأرض والسماوات في جميع الحالات ولا غناء لأحد عن به تعالى كثرة فيه - الدعاء - المؤلفات والمقالات - أحببت أن أشير إلى بعض مباحثه على حسب ما يتحملة الكتاب فأقول ومن الله أرجو السداد والعون والقبول :

إنَّ مجالب الهموم وبواعث الأحزان في هذه الحياة، كثيرةٌ متعدّدة ومتنوعة، وتُصيب كلّ أحد من الأنام، فلا يسلم منها عظيم لعظمه، ولا غني لماله، ولا ذو جاهٍ لجاهه، فضلاً عن البائس المحروم، والضعيف المظلوم، ولكن المؤمن الحق هو الذي يستيقن أنَّ ما أَلَمَّ به من نازلة، أو فاجأه من فاجعة، إنما وقعت بقضاءٍ من الله وقدر: ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [الحديد: ٢٢، ٢٣].

فيتَّجه العبد إلى ربه في سائر آنائه مخلصاً له في تضرعه ودعائه: ﴿ أَنِّي مَسْنِيَ الضُّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٣] ، ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

فإنَّه - سبحانه - سائق كل خير، وكاشف كلِّ ضرر، وقد أخبر عن نفسه أنه يجيب المضطر إذا دعاه، ويكشف السوء، وأنَّ رحمته قريب من المحسنين، فعندما تستحكم حلقاتُ المحن، وتشتد الكروب، وتتتابع الشدائد والخطوب، فليس أمام المسلم إلا أن يلجأ إلى الله - تعالى - ويلوذ بجنابه، ويضرع إليه راجياً تحقيق وعده الذي وعد به عباده المؤمنين في قوله المبين: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ

أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿البقرة: ١٨٦﴾.

فالدعاء وسيلة مشروعة يأخذ بها الصالحون، إلى جانب الوسائل المعنوية والمادية؛ لحفظ النعماء، ودفع البلاء.

ولقد كان رسول الهدى - صَلَّى الله عليه وسلّم - يربي أصحابه على أن تكون حياتهم كلها ذكراً لله - تعالى - وتضرعاً إليه، وذلك له واستكانة بين يديه؛ خاصة عندما تنزل المحن وتشتد الخطوب، وتعظم الرزايا وتتوالى الكروب.

ولقد امتلأت كتب السُّنة بالتوجيهات الكريمة التي تجعل المسلم موصولاً بربه؛ ففي كل مناسبة دعاء، وفي كل يقظة أو نوم، أو حركة أو سكون اتجاه إلى الله، يشدُّ المسلم إلى ربه، ويذكره بفضل ربه عليه، وأن يستغفر لذنبه ويتوب إليه، حتى يحقق الرجاء، ويستجيب الدعاء، ويجود بالخير، ويدفع البلاء^١.

ثانياً: فضل الدعاء في القرآن الكريم : الدُّعاء وصية رب العالمين: حثنا الله تعالى على الدُّعاء في آيات كثيرة من كتابه العزيز^٢:

(١) قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

قال الإمام ابن جرير الطبري - رحمه الله -: وإذا سألك يا محمد عبادي عني: أين أنا؟ فأني قريبٌ منهم، أسمع دعاءهم، وأجيب دعوة الداعي منهم.

(٢) قال سبحانه: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْهَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢].

١/ الدعاء فضيلته وحسن عاقبته - الشيخ عبدالله بن صالح القصير - الألوكة الشرعية .

٢/ مقال: فضائل الدعاء - الشيخ صلاح نجيب الدق الألوكة الشرعية - بتصرف .

قال الإمام ابن كثير - رحمه الله -: يَنْبَغُ تعالى أنه هو المدعو عند الشدائد، المرجو عند النوازل؛ كما قال: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٦٧]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ [النحل: ٥٣].

قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: ٦٢]؛ أي: مَنْ هو الذي لا يلجأ المضطرُّ إلا إليه، والذي لا يكشف ضرَّ المضرورين سواه.

(٣) قال سبحانه: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥، ٥٦].

قال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله : ادعوا أيها الناسُ ربَّكم وحده، فأخلصوا له الدُّعاء دون ما تدعون من دونه من الآلهة والأصنام.

قوله: ﴿تَضَرُّعًا﴾ أي: تذللًا واستكانةً لطاعته، ﴿وَخُفْيَةً﴾ أي: بخشوع قلوبكم، وصحة اليقين منكم بوحدانيته فيما بينكم وبينه، لا جهارًا مرأاةً، وقلوبكم غير موقنة بوحدانيته وربوبيته، فَعَلَّ أهل النفاق والخداع لله ولرسوله.

(٤) **الدُّعاء صلة بينك وبين ربك وبينك وبين المسلمين^١**: قال الله تعالى: {رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [البقرة: ١٢٧-١٢٨].

١/ لا يخفى على مسلم ما جاء في القرآن الكريم من الأدعية التي حثنا الله تعالى على أن ندعوه بها وقد حصرها البعض فزادت على الأربعين ، ومن ذلك :

- {رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ} [المؤمنون: ١٠٩].

- {رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا * إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا} [الفرقان: ٦٥-٦٦].

- {رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا فُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا} [الفرقان: ٧٤].

- {رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} [نوح: ٢٨].

- {رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ} [إبراهيم: ٤٠].

{رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [المتحنة: ٥].

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

قال الإمام القرطبي - رحمه الله -: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ [الحشر: ١٠]: يعني التابعين ومن دخل في الإسلام إلى يوم القيامة.

وقال جل شأنه إخباراً عن إبراهيم صلى الله عليه وسلم: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤١].

وقال سبحانه إخباراً عن نوح صلى الله عليه وسلم: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ [نوح: ٢٨].

ثالثاً: فضل الدعاء في السنة والنبوية الشريفة:

١/ في الحديث القدسي يقول الله تعالى: (يا عبادي، كلكم جائع إلا من أطعمته؛ فاستطعموني أطعمكم. يا عبادي، كلكم عارٍ إلا من كسوته؛ فاستكسوني أكسكم. يا عبادي، كلكم ضالٌّ إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم. يا عبادي، إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعاً، ولا أباي؛ فاستغفروني أغفر لكم) رواه مسلم

٢/ في الحديث الذي رواه أحمد، والترمذي، وغيرهما، يقول صلى الله عليه وسلم: (ليس شيءٌ أكرمَ على الله من الدعاء)، وذلك لما فيه من إظهار الفقر، والعجز، والتذلل، والاعتراف بقوة الله وقدرته، وهو سبحانه يحب تذلل عبده بين يديه، وسؤالهم إيَّاه، وطلبهم حوائجهم منه، وشكواهم إليه، وكلُّ يغضب عند إكثارك سؤاله، إلا الله سبحانه؛ فإنه يغضب إذا لم تسأله، كما قيل:

- {رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ} [النمل: ١٩].

اللَّهُ يَغْضَبُ إِنْ تَرَكْتَ سُؤَالَهُ وَتَرَى ابْنَ آدَمَ حِينَ يُسْأَلُ يَغْضَبُ

٣/ روى مسلمٌ عن صفوان بن عبد الله بن صفوان، وكانت تحته - أي زوجته - الدرداء، قال: قدمت الشام، فأتيت أبا الدرداء في منزله، فلم أجده، ووجدت أم الدرداء، فقالت: أتريد الحج العام؟ فقلت: نعم، قالت: فادع الله لنا بخير؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: (دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه ملكٌ موكلٌ، كلما دعا لأخيه بخير، قال الملك الموكل به: آمين ولك بمثل).

٤/ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءَ مَنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لِاهِ) رواه أحمد والترمذي والحاكم وحسنه الألباني في صحيح الترمذي.

قال في تحفة الأحوذى (٣١٦ / ٩): " قوله: (وأنتم موقنون بالإجابة) أي والحال أنكم موقنون بها، أي كونوا عند الدعاء على حالة تستحقون بها الإجابة، من إتيان المعروف واجتناب المنكر، ورعاية شروط الدعاء، كحضور القلب وترصد الأزمنة الشريفة والأمكنة المنيفة ، واغتنام الأحوال اللطيفة ، كالسجود ، إلى غير ذلك، حتى تكون الإجابة على قلوبكم أغلب من الرد.

أو أراد: وأنتم معتقدون أن الله لا يُخَيِّبُكم؛ لسعة كرمه وكمال قدرته وإحاطة علمه، لتحقق صدق الرجاء ، وخلوص الدعاء؛ لأن الداعي ما لم يكن رجاؤه واثقا لم يكن دعاؤه صادقا" انتهى.

والمؤمن لا يشك في قدرة الله تعالى، لأن الشك في القدرة كفر، لكن قد يظن أن الله لن يجيب دعاءه لكونه لا يستحق الإجابة مثلا، أو لم يستجمع شروط قبول الدعاء.

فينبغي أن يدع هذا الظن، وأن يقبل بقلبه على ربه، وأن يعظم رجاؤه وتفاؤله؛ لأن الله عند ظن عبده به كما جاء في الحديث، مع الاجتهاد في تحقيق شرائط الإجابة^١.

رابعاً: من أسباب إجابة الدعاء^٢:

١/ الدعاء في ثلث الليل الأخير: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (يُنَزَّلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وتعالى كلَّ ليلةٍ إلى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ ، يَقُولُ : مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ) (البخاري: ٦٣٢١).

٢/ الدعاء بين الأذان والإقامة: عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: « لَا يُرَدُّ الدُّعَاءُ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ » (أبو داود: ٥٢١).

٣/ الدعاء بدعوة ذي النون عليه الصلاة والسلام: عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قال: أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا بِهَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ ؛ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ، لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ» صححه الألباني في (صحيح الجامع: ٣٣٨٣).

١/ قال القرطبي في "المفهم": "قيل معنى ظن عبد بي: ظن الإجابة عند الدعاء، وظن القبول عند التوبة، وظن المغفرة عند الاستغفار، وظن المجازاة عند فعل العباداة بشروطها، تمسكا بصادق وعده. قال: ويؤيده قوله في الحديث الآخر: (ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة).

قال: ولذلك ينبغي للمرء أن يجتهد في القيام بما عليه، موقنا بأن الله يقبله ويغفر له؛ لأنه وعد بذلك وهو لا يخلف الميعاد، فإن اعتقد أو ظن أن الله لا يقبلها، وأنها لا تنفعه، فهذا هو اليأس من رحمة الله، وهو من الكبائر، ومن مات على ذلك وكل إلى ما ظن، كما في بعض طرق الحديث المذكور: (فليظن بي عبدي ما شاء).

قال: وأما ظن المغفرة مع الإصرار، فذلك محض الجهل والغرّة [أي: الغفلة] ، وهو يجر إلى مذهب المرجئة" انتهى نقلا من تحفة الأحوذى (٧/ ٥٤).

٢/ موقع الإسلام سؤال وجواب .

٤/ **دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ وَدَعْوَةُ الْمَسَافِرِ وَدَعْوَةُ الْوَالِدِ لَوْلَدِهِ** : عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ يُسْتَجَابُ لِهِنَّ لَا شَكَّ فِيهِنَّ دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ وَدَعْوَةُ الْمَسَافِرِ وَدَعْوَةُ الْوَالِدِ لَوْلَدِهِ» (ابن ماجه: ٣١٢٩).

٥/ **التَّوَسُّلُ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ** : عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: " سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : «**انْطَلِقْ ثَلَاثَةً رَهْطٍ** مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، حَتَّى أَوْوَا الْمَبِيتَ إِلَى غَارٍ فَدَخَلُوهُ ، فَاِنْحَدَرْتُ صَخْرَةً مِّنَ الْجَبَلِ فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الْغَارَ ، فَقَالُوا : إِنَّهُ لَا يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللَّهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ :

فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ : اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ ، وَكُنْتُ لَا أَغْبِقُ قَبْلَهُمَا أَهْلًا وَلَا مَالًا ، فَنَاءَ بِي فِي طَلَبِ شَيْءٍ يَوْمًا ، فَلَمْ أُرْخُ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا ، فَحَلَبْتُ لَهُمَا غَبُوقَهُمَا فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ ، وَكَرِهْتُ أَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلًا أَوْ مَالًا ، فَلَبِثْتُ وَالْقَدَحُ عَلَى يَدَيَّ أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاضَهُمَا حَتَّى بَرَقَ الْفَجْرُ ، فَاسْتَيْقَظَا فَشَرِبَا غَبُوقَهُمَا ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجْهِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ ، فَاِنْفَرَجَتْ شَيْئًا لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ .

قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **وَقَالَ الْآخَرُ : اللَّهُمَّ** كَانَتْ لِي بِنْتُ عَمٍّ كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ ، فَأَرَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا فَامْتَنَعَتْ مِنِّي ، حَتَّى أَلَمْتُ بِهَا سَنَةً مِّنَ السَّنِينَ ، فَجَاءَتْني فَأَعْطَيْتُهَا عَشْرِينَ وَمِائَةً دِينَارٍ عَلَى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا ، فَفَعَلْتُ حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا قَالَتْ : لَا أُحِلَّ لَكَ أَنْ تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ ، فَتَحَرَّجْتُ مِّنَ الْوُقُوعِ عَلَيْهَا ، فَاِنْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أَعْطَيْتُهَا ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجْهِكَ فَافْرِجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ ، فَاِنْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهَا .

قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **وَقَالَ الثَّالِثُ : اللَّهُمَّ** إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أَجْرَاءَ فَأَعْطَيْتُهُمْ أَجْرَهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ تَرَكَ الَّذِي لَهُ وَذَهَبَ ، فَثَمَّرْتُ أَجْرَهُ حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُ الْأَمْوَالُ ،

فجاءني بعد حين ، فقال : يا عبدَ الله اِدِّ إِلَيَّ أَجْرِي ، فقلتُ له : كلُّ ما تَرى من أَجْرِكَ ، من الإبلِ والبقرِ والغنمِ والرقيقِ ، فقال : يا عبدَ الله لا تَسْتَهْزِئْ بي ، فقلتُ : إني لا أَسْتَهْزِئُ بك ، فَأَخَذَهُ كُلَّهُ فاستاقَه فلم يتركْ منه شيئاً ، اللهمَّ فَإِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابتغاءَ وجهِكَ فافْرُجْ عَنَّا ما نحن فيه ، فانفَرَجَتِ الصخرةُ فخرجوا يَمْشُونَ» (البخاري: ٢٢٧٢).

٦/ الدعاء في السجود : عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال النبي صَلَّى الله عليه وسلَّم: «أَقْرَبُ ما يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ ساجِدٌ. فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ» (مسلم: ٤٨٢).

٧/ الدعاء عند المريض : عن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله تعالى عنها قالت: " إذا حضرتم المريض ، أو الميِّتَ ، فقولوا خيراً . فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُؤْمِنُونَ على ما تقولون . قالت : فلمَّا مات أبو سلمة أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فقلتُ : يا رسولَ اللهِ ! إِنَّ أبا سلمة قد مات . قال : «قولي : اللَّهُمَّ ! اغْفِرْ لي وله . . وَأَعْقِبْني مِنْهُ عَقَبَى حَسَنَةً» . قالت : فقلتُ . فَأَعْقِبْني اللهُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ لي مِنْهُ . مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " (مسلم: ٩١٩).

٨/ دعاء الولد الصالح لوالديه : عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال النبي صَلَّى الله عليه وسلَّم: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ : إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ . أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ . أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ» (مسلم: ١٦٣١).

ودعاء المسلم لوالديه من الأمور الهامة للحصول على مورد لبر الوالدين بعد الموت، ونفع الوالدين بما هم في حاجة إليه من رفعة في الدرجات، وهذا الدعاء من علامات الصلاح والفلاح لمن ثابر عليه وأكثر منه.

٩/ الدعاء عند الاستيقاظ من الليل : عن عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه قال: قال النبي صَلَّى الله عليه وسلَّم: «مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ : لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، الْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَسُبْحَانَ

اللَّهُ ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ، ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ، أَوْ دَعَا ، اسْتَجِيبْ لَهُ ، فَإِنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّى قُبِلَتْ صَلَاتُهُ» (البخاري: ١١٥٤).

١٠/ **الدعاء بعد قبض روح الميت** : عن أم المؤمنين أمِّ سلمة رضي الله تعالى عنها قَالَتْ : دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَبِي سَلَمَةَ ، وَقَدْ شَقَّ بَصَرُهُ ، فَأَغْمَضَهُ ، فَصَيَّحَ نَاسٌ مِنْ أَهْلِهِ ، فَقَالَ : «لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَوْمَنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأَبِي سَلَمَةَ وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِّينَ ، وَاخْلُفْهُ فِي عَقِبِهِ فِي الْغَابِرِينَ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ ، اللَّهُمَّ افْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ ، وَنَوِّرْ لَهُ فِيهِ» (أبو داود: ٣١١٨).

١١/ **الدعوة بعد المصيبة** : عن أم المؤمنين أمِّ سلمة رضي الله تعالى عنها قَالَتْ : قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «مَا مِنْ مُسْلِمٍ تَصِيبُهُ مَصِيبَةٌ فَيَقُولُ : مَا أَمْرُهُ اللَّهُ : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ . اللَّهُمَّ ! أَجْرِنِي فِي مَصِيبَتِي وَاخْلُفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا - إِلَّا أَخْلَفَ اللَّهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا» (مسلم: ٩١٨).

١٢/ **عند سماع صياح الديكة** : عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا سَمِعْتُمْ صِيَاحَ الدِّيكَةِ ، فَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ . فَإِنِهَا رَأَتْ مَلَكًا . وَإِذَا سَمِعْتُمْ نَهْيَ الْحِمَارِ ، فَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ . فَإِنِهَا رَأَتْ شَيْطَانًا» (مسلم: ٢٧٢٩).

١٣/ **ساعة الإجابة يوم الجمعة** : عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه- عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ سَاعَةٌ ، لَا يُوَافِقُهَا مُسْلِمٌ ، وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي يَسْأَلُ اللَّهَ خَيْرًا إِلَّا أَعْطَاهُ . وَقَالَ بِيَدِهِ ، قُلْنَا : يُقَلِّلُهَا ، يُزَهِّدُهَا» (البخاري: ٦٤٤٠).

وبشأن تحري ساعة الإجابة يوم الجمعة قال الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى: أرجح الأقوال في ساعة الإجابة يوم الجمعة قولان:

أحدهما: إنها بعد العصر إلى غروب الشمس في حق من جلس ينتظر صلاة المغرب ، سواء كان في المسجد أو في بيته يدعو ربه ، وسواء كان رجلاً أو امرأة ، فهو حري بالإجابة ، لكن ليس للرجل أن يصلي في البيت صلاة المغرب ، ولا غيرها إلا بعذر شرعي كما هو معلوم من الأدلة الشرعية.

والثاني: أنها من حين يجلس الإمام على المنبر للخطبة يوم الجمعة إلى أن تقضي الصلاة ، فالدعاء في هذين الوقتين حري بالإجابة.

وهذان الوقتان هما أخرى ساعات الإجابة يوم الجمعة ، لما ورد فيهما من الأحاديث الصحيحة الدالة على ذلك، وهي كما يلي: عَنْ أَبِي بُرْدَةَ بْنِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ لِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ (رضي الله تعالى عنهما): أَسَمِعْتَ أَبَاكَ يَحْدِثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي شَأْنِ سَاعَةِ الْجُمُعَةِ؟ قَالَ قُلْتُ: نَعَمْ. سَمِعْتُهُ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «هِيَ مَا بَيْنَ أَنْ يَجْلِسَ الْإِمَامُ إِلَى أَنْ تُقْضَى الصَّلَاةُ» (مسلم: ٨٥٣)، والحديث الثاني: عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَوْمُ الْجُمُعَةِ ثِنْتَا عَشْرَةَ سَاعَةً ، مِنْهَا سَاعَةٌ لَا يَوْجَدُ عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللَّهَ فِيهَا شَيْئًا إِلَّا أَتَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ ، فَالْتَمِسُوهَا آخِرَ سَاعَةِ بَعْدَ الْعَصْرِ» صححه الألباني في (صحيح الجامع: ٨١٩٠)، وترجى هذه الساعة في بقية ساعات اليوم ، وفضل الله تعالى واسع سبحانه وتعالى". انتهى^١.

١/ بتصرف من (مجلة البحوث عدد رقم ٣٤ ص ١٤٢). وعلى القول بأنها من جلوس الإمام إلى انقضاء الصلاة ، لا يعني ذلك أن المأموم ينشغل بالدعاء ويعرض عن سماع الخطبة ، بل يستمع للخطبة ، ويؤمن على دعاء إمامه فيها ، ويدعو في صلاته ، وفي سجوده ، وقبل سلامه. ويكون بذلك قد أتى بالدعاء في هذه الساعة العظيمة ، وإن أضاف إلى ذلك الدعاء في آخر ساعة بعد العصر ، فهو أولى وأحسن. رابع عشر: التأمين مع الملائكة عليهم الصلاة والسلام عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه- عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «إِذَا أَمَّنَ الْقَارِئُ فَأَمَّنُوا ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تُؤَمِّنُ ، فَمَنْ وَافَقَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ الْمَلَائِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» (البخاري: ٦٤٠٢)، وهذه السنة النبوية هجرها بعض المسلمين لعدم معرفتهم بفضلها ، فيجب على المسلمين الحرص عليها وعلى تعليمها للغير فلا يسبقوا الإمام ولا يتأخروا عنه كي ينالوا هذا الفضل الكبير ، قال الشيخ ابن عثيمين رحمه

خامساً: آداب الدعاء وهي عشرة^١:

الأول: أن يترصد لدعائه الأوقات الشريفة: كيوم عرفة من السنة، ورمضان من الأشهر، ويوم الجمعة من الأسبوع، ووقت السحر من ساعات الليل. قال تعالى: ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾^٢

وقال صلى الله عليه وسلم: (ينزل الله تعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول عز وجل " مَنْ يدعوني فأستجيب له؟ مَنْ يسألني فأعطيته؟ مَنْ يستغفري فأغفر له؟)^٣.

وقيل إن يعقوب صلى الله عليه وسلم إنما قال: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾^٤ ليدعو في وقت السحر. ف قيل إنه قام في وقت السحر يدعو وأولاده يؤمنون خلفه فأوحى الله عز وجل إني قد غفرت لهم وجعلتهم أنبياء.

الثاني: أن يغتنم الأحوال الشريفة: قال أبو هريرة رضي الله عنه: إن أبواب السماء تفتح عند زحف الصفوف في سبيل الله تعالى، وعند نزول الغيث، وعند إقامة الصلوات المكتوبة فاغتنموا الدعاء فيها. وقد سبق ذكر مزيد منها في البند السابق.

الله تعالى: " يكون تأمين الإمام والمأموم في آن واحد، لقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «إذا قال الإمام ولا الضالين فقولوا آمين» (متفق عليه)" انتهى من (مجموع فتاوى ورسائل العثيمين: ١٣ / ١١٦). والله تعالى أعلم.-
المرجع (موقع الإسلام سؤال وجواب).

١/ شرح حجة الإسلام لأربعين حديثاً من أحاديث سيد الأنام - الحديث الرابع والثلاثون: الدعاء هو العبادة - الكتاب من تأليفي - بتصرف.

٢/ سورة الزاريات الآية (١٨).

٣/ متفق عليه من حديث أبي هريرة.

٤/ سورة يوسف الآية (٩٨).

الثالث : أن يدعو مستقبل القبلة : ويرفع يديه بحيث يرى بياض إبطيه روى جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أتى الموقف بعرفة واستقبل القبلة ولم يزل يدعو حتى غربت الشمس) ١.

وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إِنَّ رَبَّكُمْ حَيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَجِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا). ٢.

وروى أنس أنه صلى الله عليه وسلم : (كان يرفع يديه حتى يرى بياض إبطيه في الدعاء ولا يشير بأصبعيه) ٣.

وروى أبو هريرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم : "مر على إنسان يدعو ويشير بأصبعيه السبابتين فقال صلى الله عليه وسلم أحد أحد" أخرجه النسائي وقال حسن وابن ماجه والحاكم وقال صحيح الإسناد. أي اقتصر على الواحدة. وقال أبو الدرداء رضي الله عنه : ارفعوا هذه الأيدي قبل أن تغل بالأغلال.

قال الغزالي رحمه الله تعالى : فهذه هي هيئات الأيدي ولا يرفع بصره إلى السماء قال صلى الله عليه وسلم : " لينتهين أقوام عن رفع أبصارهم إلى السماء عند الصلاة أو لتخطفن أبصارهم " ٤.

الرابع : خفض الصوت بين المخافتة والجهر : لما روي أن أبا موسى الأشعري قال قدمنا مع رسول الله فلما دنونا من المدينة كبر وكبر الناس ورفعوا أصواتهم، فقال

١/ حديث : جابر : " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى الموقف بعرفة واستقبل القبلة ولم يزل يدعو حتى غربت الشمس ... الحديث " أخرجه مسلم دون قوله " يدعو " فقال مكانها " واقفاً " والنسائي من حديث أسامة بن زيد : " كنت ردفه بعرفات فرفع يديه يدعو " ورجاله ثقات.

٢/ أخرجه أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه والحاكم وقال إسناده صحيح على شرطهما.

٣/ حديث أنس : " كان يرفع يديه حتى يرى بياض إبطيه في الدعاء ولا يشير بأصبعه " أخرجه مسلم دون قوله " ولا يشير بأصبعه . والحديث : متفق عليه لكن مقيد بالاستسقاء ".

٤/ رواه مسلم.

النبي صلى الله عليه وسلم : " يا أيها الناس إن الذي تدعون ليس بأصم ولا غائب
إن الذي تدعون بينكم وبين أعناق ركابكم" ١.

في قوله عز وجل : ﴿ وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا ﴾ ٢. وقالت عائشة ٣ رضي
الله عنها: أي بدعائك، وقد أثنى الله عز وجل على نبيه زكريا عليه السلام حيث قال
: ﴿ إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴾ ٤ ، وقال عز وجل: ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ ٥.

الخامس : أن لا يتكلف السجع في الدعاء : فإن حال الداعي ينبغي أن يكون حال
متضرع والتكلف لا يناسبه. قال صلى الله عليه وسلم : (سيكون قوم يعتدون في
الدعاء) ٦.

وقد قال عز وجل : " ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ ٧

قليل معناه التكلف للأسجاع، والأولى أن لا يجاوز الدعوات المأثورة فإنه قد يعتدى
في دعائه فيسأل ما لا تقتضيه مصلحته فما كل أحد يحسن الدعاء ، ولذلك روي
عن معاذ رضي الله عنه: " إن العلماء يحتاج إليهم في الجنة إذ يقال لأهل الجنة
تمنوا فلا يدرون كيف يتمنون حتى يتعلموا من العلماء ".

١/ حديث أبي موسى الأشعري : " يا أيها الناس إن الذي تدعون ليس بأصم ولا غائب " متفق عليه مع اختلاف،
واللفظ الذي ذكره المصنف لأبي داود.

٢/ سورة الإسراء الآية (١١٠).

٣/ متفق عليه.

٤/ سورة مريم الآية (٣).

٥/ سورة الأعراف الآية (٥٥).

٦/ أخرجه أبو داود وابن ماجه وابن حبان والحاكم من حديث عبد الله بن مغفل.

٧/ سورة الأعراف الآية (٥٥).

عن ابن عباس: " وانظر السجع من الدعاء فاجتنبه فإني عهدت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفعلون إلا ذلك " ١ .

ومرَّ بعض السلف بقاصٍ يدعو بسجع : فقال له: " أعلى الله تبالغ أشهد لقد رأيت حبيباً العجمي يدعو وما يزيد على قوله : اللهم اجعلنا جيدين اللهم لا تفضحنا يوم القيامة اللهم وفقنا للخير والناس يدعون من كل ناحية وراءه وكان يعرف بركة دعائه " وقال بعضهم ادع بلسان الذلة والافتقار لا بلسان الفصاحة والانطلاق. ويقال إن العلماء الأبدال لا يزيدون في الدعاء على سبع كلمات فما دونها ويشهد له آخر سورة البقرة فإن الله تعالى لم يخبر في موضع من أدعية عبادة أكثر من ذلك. واعلم أن المراد بالسجع هو المتكلف من الكلام فإن ذلك لا يلائم الضراعة والذلة وإلا ففي الأدعية الماثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات متوازنة لكنها غير متكلفة .

السادس: التضرع والخشوع والرغبة والرهبة : قال الله تعالى : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ ٢ .
وقال عز وجل: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ ٣ .

السابع : أن يجزم الدعاء ويوقن بالإجابة ويصدق رجاءه فيه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا يقل أحدكم إذا دعا : اللهم اغفر لي إن شئت اللهم ارحمني إن شئت ليعزم المسألة فإنه لا مكره له " ٤ .

١ / رواه البخاري.

٢ / سورة الأنبياء الآية (٥٥) .

٣ / سورة الأعراف الآية (٥٥) .

٤ / متفق عليه.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إذا دعا أحدكم فليعظم الرغبة فإن الله لا يتعاظمه شيء" ١

وقال صلى الله عليه وسلم : " ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة واعلموا أن الله عزوجل لا يستجيب دعاء من قلب غافل " ٢ . وقد سبق شرح هذه الحديث عند ذكر فضل الدعاء من السنة .

وقال سفيان بن عيينة : " لا يمنع أحدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه فإن الله عزوجل أجاب دعاء شر الخلق إبليس لعنه الله إذ قال : ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴾ ٣ .

الثامن : أن يلح في الدعاء ويكرره ثلاثاً : قال ابن مسعود " كان صلى الله عليه وسلم إذا دعا دعا ثلاثاً وإذا سأل سأل ثلاثاً " ٤ .

وينبغي أن لا يستبطئ الإجابة لقوله صلى الله عليه وسلم : " يستجاب لأحدكم ما لم يعجل فيقول قد دعوت فلم يستجب لي فإذا دعوت فاسأل الله كثيراً فإنك تدعوكريماً " ٥ .

وقال بعضهم : إني أسأل الله عزوجل منذ عشرين سنة حاجة وما أجابني وأنا أرجو الإجابة. سألت الله تعالى أن يوفقني لترك ما لا يعني.

التاسع : أن يفتح الدعاء بذكر الله عزوجل فلا يبدأ بالسؤال :

١/ أخرجه ابن حبان في صحيحه.

٢/ أخرجه الترمذي والحاكم وقال مستقيم الإسناد.

٣/ سورة الحجر الآية (٣٦-٧٣) .

٤/ رواه مسلم.

٥/ متفق عليه.

قال سلمة بن الأكوع رضي الله عنه : ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتح الدعاء إلا استفتحه بقول : " **سبحان ربي العلي الأعلى الوهاب** " .^١

قال أبو سليمان الداراني رحمه الله : من أراد أن يسأل الله حاجة فليبدأ بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يسأله حاجته ، ثم يختم بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فإن الله عزوجل يقبل الصلاتين وهو أكرم من أن يدع ما بينهما .

والدليل على ذلك وردعن فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال : سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو في صلاته لم يمجد الله تعالى ولم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " عجل هذا " ثم دعاه فقال له أو لغيره : " **إذا صلى أحدكم فليبدأ بتمجيد ربه جل وعز والثناء عليه ، ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم يدعو بعد بما شاء**) . والحديث صححه الألباني في صحيح أبي داود (١٣١٤) .

وروي عن أبي الدرداء : " **إذا سألتهم الله عزوجل حاجة فابتدئوا بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فإن الله تعالى أكرم من أن يُسئل حاجتين فيقضي إحداهما ويرد الأخرى** " .^٢

العاشر : وهو الأدب الباطن وهو الأصل في الإجابة : التوبة ورد المظالم والإقبال على الله عزوجل بكنه الهمة ، فذلك هو السبب القريب في الإجابة .

يُروى عن كعب الأحبار رحمه الله تعالى أنه قال : أصاب الناس قحط شديد على عهد موسى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج موسى ببني إسرائيل يستسقى بهم فلم يسقوا حتى خرج ثلاث مرات ولم يسقوا ، فأوحى الله عز وجل إلى موسى عليه السلام :

١ أخرجه أحمد والحاكم وقال صحيح الإسناد وقال العراقي فيه عمر بن راشد ضعفه الجمهور والحديث صححه السيوطي في الجامع الصغير (٧٠٤٦) .

٢/ قال العراقي : موقوف على أبي الدرداء - تخريج أحاديث الإحياء (٣٦٥/١) .

إني لا أستجيب لك ولا لمن معك وفيكم نمام، فقال موسى : يا رب ومن هو حتى نخرجه من بيننا فأوحى الله عز وجل إليه يا موسى أنهاكم عن النميمة وأكون نماماً ؟ فقال موسى لبني إسرائيل توبوا إلى ربكم بأجمعكم عن النميمة فتابوا فأرسل الله تعالى عليهم الغيث.

وقال سعيد بن جبير رحمه الله تعالى : قحط الناس في زمن ملك من ملوك بني إسرائيل فاستسقوا فقال الملك لبني إسرائيل ليرسلن الله تعالى علينا السماء أو لنؤذينه قيل له وكيف تقدر أن تؤذيه وهو في السماء ؟ فقال أقتل أوليائه وأهل طاعته فيكون ذلك أذى له، فأرسل الله تعالى عليهم السماء.

سادساً: موانع إجابة الدعاء^١:

الأول : أكل الحرام وشربه ولبسه : من أعظم موانع الدعاء أكل الحرام، شرب الحرام، لبس الحرام، كما ورد في الحديث : «(ذَكَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ، أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابَ لِذَلِكَ) مسلم.

كم ندعو فلا يستجاب، ونلهج فلا يفتح باب، فقد صار الدعاء في حياتنا عادة من العادات، لا عبادة من أشرف العبادات، يتحرك بها اللسان تحركاً آلياً، وترفع الأيدي ارتفاعاً شكلياً، بل إن هذا اللسان الذي يردد الدعاء، طالما أكل لحوم الناس ونهش أعراضهم، طالما اغتاب ونم، وكذب وخدع، وأفسد وآذى، فأنى يستجاب له.

هاتان اليدان المرفوعتان، ملطختان بأحوال المعاصي والسيئات، وملوثتان بأقذر الذنوب والآثام، فعلت من الفواحش، وأتت من المنكرات ما تهتز له الأرض والسموات.

١/ موانع إجابة الدعاء – موقع الكلم الطيب – بتصرف .

الثاني : الاستعجال وترك الدعاء : فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «يستجاب لأحدكم ما لم يعجل، فيقول قد دعوت فلم يستجب لي» [رواه البخاري ومسلم] .

الثالث : ارتكاب المعاصي والمحرمات: قال الشاعر:

نحن ندعو الإله في كل كرب ثم ننساه عند كشف الكروب

كيف نرجو إجابة لدعاء قد سدنا طريقها بالذنوب

الرابع : ترك الواجبات التي أمر الله بها وأوجبها : فعن حذيفة - رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أني يبعث عليكم عقاباً منه، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم» (رواه الترمذي وحسنه أحمد، وهو في صحيح الجامع) .

الخامس : الدعاء بإثم أو قطيعة رحم : عن أبي سعيد - رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «ما من مسلم يدعو الله بدعوة ليس فيها إثم، ولا قطيعة رحم، إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث إما أن تعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها» قالوا : إذا نكث قال : «الله أكثر» (رواه أحمد، وهو في الترمذي عن جابر، وعن عبادة - رضي الله عنهما - وحسنهما الألباني) .

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى : (والأدعية والتعوذات بمنزلة السلاح ، والسلاح بضاربه ، لا يحده فقط ، فمتى كان السلاح سلاحاً تاماً لا آفة به ، والساعد ساعد قوي ، والمانع مفقود ، حصلت به النكاية في العدو . ومتى تخلف واحد من هذه الثلاثة تخلف التأثير) ^١ .

^١ / الدعاء والدواء - ص (٣٥) .

وقال رحمه الله : ومن الآفات التي تمنع أثر الدعاء أن يتعجل العبد ويستبطئ الإجابة فيستحسر ويدع الدعاء، وهو بمنزلة من بذر بذراً أو غرس غرساً فجعل يتعاهده ويسقيه، فلما استبطأ كماله وإدراكه تركه وأهمله .

فيتبين من ذلك أن هناك أحوالاً و آداباً و أحكاماً يجب توفرها في الدعاء و في الداعي ، و أن هناك موانع و حواجب تحجب وصول الدعاء و استجابته يجب انتفاؤها عن الداعي وعن الدعاء ، فمتى تحقق ذلك تحققت الإجابة .

سابعاً : قصص من حياة السلف في إجابة الدعاء^١ :

القصة الأولى : قصة الجندي : قال احد الجند اتفق يوماً أنى رأيت حية داخله إلى جحرها فأمسكت بذنها لأقتلها فوثبت فنهشت يدي فشلت! ومضى زمن طويل على هذا فشلت يدي الأخرى بغير سبب اعرفه ثم جفت رجلاي ثم عميت ثم خرس فكننت على هذه الحال سنة كاملة لم يبق لي جارحة صحيحة إلا سمعي اسمع به ما اكراه و أنا طريح على ظهري لا أقدر على كلام ولا إيماء ولا حركة ؟؟ أسقى و أنا ريان.. و اترك و أنا عطشان..، و اطعم و أنا شبعان ..، و امنع و أنا جائع ؟؟ فلما كان بعد سنة دخلت امرأة على زوجتي، فقالت لها زوجتي : انه لاحى فيرجى ولا ميتا فيسلى !! فأقلقني ذلك وآلم قلبي ألماً شديداً فبكيت وضججت إلى الله تعالى في سرى ،فما أصبحت إلا و أنا سليم معافى.. (كتاب التواوين ابن قدامه ٢٩٢) .

القصة الثانية : والدة الأسير : جاءت امرأة إلى العالم بقى بن مخلد، فقالت :إن ابني في الأسر ولا حيلة لي!! فلو أشرت إلى من يفديه فأننى والهة؟

قال: نعم فانصرفي ! حتى انظر في أمره ثم اطرق (وحرك شفثيه) ثم بعد مده جاءت المرأة بابنها؟! فقال : كنت في يد ملك فبينما إنا في العمل سقط قيدي!! قال: فذكر اليوم والساعة فوافق وقت دعاء الشيخ ؟؟ قال: فصاح على المرسوم بنا ثم نظر

١/ قصص واقعية.. في استجابة الدعاء - فوزية الخليوي - موقع صيد الفوائد . وهدى السلف في الدعاء - موقع طريق الإسلام .

وتحير! ثم احضر الحداد وقيدني فلما فرغ ،ومشيت سقط القيد فبهتوا ودعوا رهبانهم فقالوا: إلك والدة ؟ قلت: نعم! قالوا: وافق دعاءها إجابة !! فزودوني

وبعثوا بى (سیراعلام النبلاء للذهبي ١٣ / ٢٩٠)

القصة الثالثة : دعاء عبد الله بن جحش : عن سعد ابن أبي وقاص حدثني أبي أن عبد الله بن جحش قال يوم أحد ألا تأتي ندعو الله تعالى فخلوا في ناحية فدعا سعد فقال يا رب إذا لقينا العدو غدا فلقني رجلا شديدا بأسه شديداً حرده أقاتله ويقاتلني ثم ارزقني الظفر عليه حتى أقتله وأخذ سلبه !!

فأمّن عبد الله ثم قال: اللهم ارزقني غدا رجلا شديداً بأسه شديداً حرده ، فأقاتله ويقاتلني!! ثم يأخذني فيجدع أنفي وأذني ! فإذا لقيتك غدا قلت لي: يا عبدالله فيم جدع أنفك وأذنك؟؟ فأقول فيك وفي رسولك فتقول : صدقت! قال: سعد كانت دعوته خيرا من دعوتي فلقد رأيته آخر النهار وإن أنفه وأذنه لمعلق في خيط

.(سیراعلام النبلاء للذهبي ١ / ١١٣).

القصة الرابعة : دعاء المحاميد : جمعت الرحلة بين ابن جرير، وابن خزيمة ،ومحمد بن نصر المر وزى ومحمد بن هارون، بمصر فأرملوا ولم يبق عندهم ما يقوتهم وأضرّ بهم الجوع!! فاجتمعوا ليلة في منزل كانوا يأوون إليه فاتفق رأيهم إن يستهموا ويضربوا قرعة فمن خرجت عليه القرعة سأل لأصحابه الطعام فكانت على ابن خزيمة فقال لأصحابه : امهلوني حتى أصلى صلاة الخيرة !!

قال :فاندفع في الصلاة فإذا هم بالشموع وخصي من قبل وإلى مصر يدق الباب ففتحوا فقال : أيكم محمد بن نصر؟ فقليل هو ذا فأخرج صرة فيها خمسون دينارا فدفعها إليه !! وكذلك للبقية ثم قال: إن الأمير كان قائلا بالأمس فرأى في المنام إن المحاميد جياع قد طووا كشحهم فأنفذ إليكم هذه واقسم عليكم إذا نفذت إن

تبعثوا إليه . سیراعلام النبلاء للذهبي ١٤ / ٢٧١

القصة الخامسة: دعوة أحمد بن حنبل : وقال عباس الدوري: حدثنا علي بن أبي فزارة جازنا قال: "كانت أُمِّي مقعدة من نحو عشرين سنة، فقالت لي يوماً: اذهب إلى أحمد بن حنبل فسله أن يدعو لي، فأتيت، فدققت عليه وهو في دهليزه، فقال: من هذا؟ قلت: رجل سألتني أُمِّي وهي مقعدة أن أسألك الدعاء، فسمعت كلامه كلام رجل مغضب فقال: نحن أحوج أن تدعو الله لنا، فوليت منصرفاً، فخرجت عجوز فقالت: قد تركته يدعو لها، فجئت إلى بيتنا ودققت الباب، فخرجت أُمِّي على رجلها تمشي".

القصة السادسة: إجابة دعوة المستسقي للناس في الخفاء :

قال ابن المنكدر رحمه الله تعالى : "إني في البارحة مواجه هذا المنبر، أدعو في جوف الليل، إذا إنسان عند أسطوانة مقنّع رأسه، فأسمعه يقول: أي رب إن القحط قد اشتدّ على عبادك، وإني مقسم عليك يا رب إلا سقيتهم، قال: فما كان إلا ساعة إذا سحابة قد أقبلت، ثم أرسلها الله -وكان عزيزاً على ابن المنكدر أن يخفى عليه أحد من أهل الخير- فقال: هذا بالمدينة ولا أعرفه؟.

فلما سلّم الإمام تقنّع وانصرف فاتّبعته، حتى أتى دار أنس، فدخل موضعاً، ففتح الباب ودخل، ورجعتُ فلما صلّيت الصبح أتيت، فقلت: أأدخل؟ قال: ادخل، فإذا هو يُصلح أقداحاً، فقلت: كيف أصبحت أصلحك الله؟ قال: فاستشهرها وأعظمها مني، فلما رأيت ذلك قلت: إني سمعت إقسامك البارحة على الله، يا أخي! هل لك في نفقة تغنيك عن هذا، وتفرّغك لما تريد من الآخرة؟ قال: لا، ولكن غير ذلك: لا تذكرني لأحد، ولا تذكر هذا لأحد حتى أموت، ولا تأتني يا ابن المنكدر؛ فإنك إن تأتني شهرتني للناس. فقلت: إني أحب أن ألقاك، قال: القني في المسجد. فما ذكر ذلك ابن المنكدر لأحد حتى مات الرجل". **وقد قال ابن وهب رحمه الله تعالى :** "بلغني أنه انتقل من تلك الدار، فلم يُر، ولم يُدر أين ذهب، فقال أهل تلك الدار: الله بيننا وبين ابن المنكدر؛ أخرج عنا الرجل الصالح".

ثامناً : قصص في حياة المعاصرين في إجابة الله تعالى لدعاء الداعين^١ :

القصة الأولى : قال أحدهم : عندما حُرمت من الذرية (٦) سنوات ... وطرقت أبواب المستشفيات ... ولم أجد فائدة ... تذكرت قول زكريا عليه السلام : (رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ) ... فأصبحت أرددُها دائماً ... مع الدعاء ، والاستغفار ، والرقية ... حتى رزقني الله تعالى بطفلين ... ولله الحمد .

القصة الثانية : قال الشيخ المبارك / عبد الكريم الخضير حفظه الله تعالى :

أعرف امرأة مسنة ، آلمتها حصوات في جسمها ، جعلت الطبيب يقرر إجراء عملية لإزالتها ، فرفضت المرأة ، وبعد مدة ... راجعت الطبيب ، فتبين بعد الكشف عليها أن الحصوات زالت ، فسألها الطبيب متعجباً ؟. فقالت : قرأت عليها القرآن ... الذي لو قرئ على جبل لصدعه ، ألا يصدع حصوات صغيرة في جسي ؟!

القصة الثالثة : قال الأخ : ماجد الحوالي وفقه الله في صفحته على الفيس بوك : حدثني ابن عمي بقصة له جميلة ومؤثرة يقول فيها :كنت في طريقي للمنزل بسيارتي وكان في جيبي مائة (١٠٠) ريال فقط !! هي رصيدي كله ، وكنا في منتصف الشهر ، فجعلت أفكر ماذا عساي أن أفعل بالمائة ؟. هل أزود بها وقود سيارتي الذي يؤشر لي بانتهائه والباقي أغسل به ملابسي ؟ ، أو هل اشتري بها عشاء ؟ ، وهل سيسعفني الباقي إلى نهاية الشهر حتى أقبض راتي ؟.

وبينما أن أفكر و أفكر كيف تكفيني هذه المائة إلى نهاية الشهر ؛ وأنا واقف عند إشارة المرور فإذا بعجوز تطرق زجاج سيارتي وتقول : مسكينة ، أعطني حق عيالي الجوعى .فما كان مني إلا أن مددت يدي لها بالمائة !!.

فذهب كل التفكير ، إلا بكرم الله وفضله ، وقلت يارب إن كنت كريماً في هذه الساعة فأنت أكرم مني .فذهبت للبيت وأنا أردد : ربي كريم ، ربي كريم .فدخلت البيت وما إن

^١/ قصص في إجابة الدعاء- موقع الراشدون .

سقطت على فراشي إلا والباب يطرق !!فقلت : من هذا ؟؟ ، ماذا يريد الآن ؟؟ ، ليس لدي ما أضيفه به .فخرجت منزعجا ، وفتحت الباب ، فإذا بصديق لي قديم ، مضى علينا فراق طويل ، فسلم علي ، وقال إني أدعوك لزواجي وهذه بطاقة دعوة لك فأرجو منك الحضور .فدعوته للدخول والضيافة ، فأبى إلا الذهاب والإنصراف ليقضي بعض أشغاله .فذهب ودخلت البيت وبيدي بطاقة فرحه .

فذهبت أستلقي ، فدعاني الفضول إلى فتح البطاقة . ففتحتها فإذا بها بطاقة جميلة ثم رأيت ورقة بيضاء فأخذتها وإذا مكتوب عليها :” أخي الفاضل : أرجو أن تسامحني ، فلقد تأخرت عليك كثيرا ، فهذه ٤٠٠٠ ألف ريال التي اقترضتها منك قديما !!“.

البشارة الرابعة والعشرون

المبشرات بانتصار الإسلام وبيان الطريق الموصّل إليه

عمدة هذه البشارة قوله تعالى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَاَنْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ} [الروم ٤٧]

وجه البشارة من الآية الكريمة: أن الله تعالى بشرنا بأنه سينصر أهل الإيمان وكان خبره بطريق أنه أوجب ذلك على نفسه وجعلنه من جملة الحقوق المتعينة ووعدنا به فلا بد من وقوعه وفي هذا تأكيد البشارة ، لأن كلمة **على** تفيد معنى اللزوم ، يقال على فلان كذا ، ينبئ عن اللزوم ، فإذا قال **حقاً** أكد ذلك المعنى ، وقد ذكرنا أن النصر هو الغلبة التي لا تكون عاقبتها وخيمة ، فإن إحدى الطائفتين إذا انهزمت أولاً ، ثم عادت آخراً لا يكون النصر إلا للمنهزم ، وكذلك موسى وقومه لما انهزموا من فرعون ثم أدركه الغرق لم يكن انهزامهم إلا نصرة ، فالكافر إن هزم المسلم في بعض الأوقات لا يكون ذلك نصرة إذ لا عاقبة له ^١.

والحديث حول هذه البشارة ذو شجون ولذا سأحاول أن أذكر أهم ما ينبغي أن يحيط به المؤمن علماً :

أولاً: انتصار الإسلام عقيدة راسخة وحقيقة ثابتة ^٢:

نصر الله للمؤمنين حقيقة من حقائق الوجود، وسنة باقية من سنن الله، وقد يؤخر النصر لحكمة يريد بها الله، فتظهر بادي الرأي هزيمة، وقد يُهزم الحق في معركة، ويظهر الباطل في مرحلة، وكلّها في منطق القرآن صوراً للنصر، تخفى حكمتها على

١/ تفسير الفخر الرازي والسعدي - بتصرف .

٢/ خطبة بعنوان: ألا إن نصر الله قريب - عبد البارئ بن عوض الثبيتي - موقع طريق الإسلام - بتصرف .

البشر، والمؤمنون غير مطالبين بنتائج، إنما هم مطالبون بالسير على نهج القرآن وأوامره، والنصر بعد ذلك من أمر الله، يصنع به ما يشاء، {فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [الأنفال: ١٧].

قد يبطل النصر لأن بناء الأمة لم ينضج ولم يشتد ساعده، ولأن البيئة لم تتهيأ لاستقباله، ويتأخر النصر لتزيد الأمة صلتها بالله، وهي تعاني وتتألم وتبذل ولا تجد لها سنداً إلا الله. وقد يبطل النصر لتتجرد الأمة في كفاحها وبذلها وتضحياتها لله ولدعوته.

أما الباطل فمهما استعلى فهو طارئ وزاهق، ولا بد من هزيمته أمام الحق، قال تعالى: {وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا} [الإسراء: ٨١]، ولكن حكمة الله اقتضت أن يوجد الباطل لاختبار أوليائه، {وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا} [سورة الأنفال: ١٧]، وإلا لو شاء الله لم يكن هناك كفر ولا باطل، قال تعالى: {ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ} [محمد: ٤].

إن الأمة لا تعلم متى وكيف يتحقق النصر، فجنود الله التي ينصر بها أوليائه كثيرون : ففي غزوة بني النضير كان الرعب جندياً من جنود الله، وفي غزوة بدر كانت الملائكة والنعاس والمطر والحصى من جنود الله، وكانت الريح يوم الحزاب والعنكبوت يوم الهجرة وغير ذلك من جنود الله، وصدق الله: {وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ} [المدثر: ٣١].

١/ قصة نسج العنكبوت على الغار مروية من طرق، وقد ضعفها بعض المحدثين وحسنها بعضهم، وممن ضعفها الألباني رحمه الله، وممن حسنها الحافظان ابن كثير وابن حجر رحمهما الله.

قال الحافظ ابن حجر في الفتح: وذكر أحمد من حديث ابن عباسٍ بإسنادٍ حسنٍ في قوله تعالى: وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا الْآيَةَ. قَالَ تَشَاوَرْتُ فُرَيْشَ لَيْلَةَ بِمَكَّةَ فَقَالَ بَعْضُهُمْ إِذَا أَصْبَحَ فَأَتَيْتُوهُ بِالْوَثَاقِ يُرِيدُونَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ بَلِ افْتُلُوهُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ بَلِ أَخْرِجُوهُ. فَأَطَاعَ اللَّهُ نَبِيَّهُ عَلَى ذَلِكَ فَبَاتَ عَلِيٌّ عَلَى

روى مسلم في صحيحه عن إبراهيم التيمي عن أبيه قال: كنا عند حذيفة فقال رجل: "لو أدركت رسول الله قاتلت معه وأبليت"، وكأنه يستقلّ بلاء الصحابة وجهادهم مع رسول الله ، فقال حذيفة: "أنت كنت تفعل ذلك؟!، لقد رأيتنا مع رسول الله ليلة الأحزاب غزوة الخندق، وأخذتنا ريحٌ شديدة وقرٌّ، فقال رسول الله : «ألا رجل يأتينا بخبر القوم، جعله الله معي يوم القيامة»، فسكتنا فلم يجبه أحد، ثم قال: «ألا رجل يأتينا بخبر القوم، جعله الله معي يوم القيامة»، فسكتنا فلم يجبه منا أحد، فقال: «قم يا حذيفة، فأنتي بخبر القوم»، فلم أجد بُدًّا إذ دعاني باسمي أن أقوم.

لقد كان تردُّدُ القوم بسبب ما كانوا عليه من برد وجوع وخوف، فقد كان الحصار الذي استمرَّ نحو شهر قد أوهن القوى، وأنهك الأحشاء، وكانت الظلمة في تلك الليلة مطبقة، والريح شديدة باردة، والخوف أخذ بتلابيب القوم، {إِذْ جَاؤُوكُمْ مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (١٠) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا} [الأحزاب: ١٠-١١].

فِرَاشِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ وَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى لَحِقَ بِالْغَارِ وَبَاتَ الْمُشْرِكُونَ يَحْرُسُونَ عَلِيًّا يَحْسِبُونَهُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْنِي يَنْتَظِرُونَهُ حَتَّى يَقُومُوا فَيَفْعَلُونَ بِهِ مَا اتَّفَقُوا عَلَيْهِ فَلَمَّا أَصْبَحُوا وَرَأَوْا عَلِيًّا رَدَّ اللَّهُ مَكْرَهُمْ فَقَالُوا أَيْنَ صَاحِبُكَ هَذَا؟ قَالَ: لَا أَدْرِي فَاقْتَصَوْا أَثَرَهُ. فَلَمَّا بَلَغُوا الْجَبَلَ اخْتَلَطَ عَلَيْهِمْ فَصَعِدُوا الْجَبَلَ فَمَرُّوا بِالْغَارِ فَرَأَوْا عَلَى بَابِهِ نَسْجَ الْعَنْكَبُوتِ فَقَالُوا لَوْ دَخَلَ هَا هُنَا لَمْ يَكُنْ نَسْجُ الْعَنْكَبُوتِ عَلَى بَابِهِ. فَمَكَثَ فِيهِ ثَلَاثَ لَيَالٍ وَذَكَرَ نَحْوَ ذَلِكَ مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ مَكَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ الْحَجِّ بَقِيَّةَ ذِي الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمِ وَصَفَرَ، ثُمَّ إِنَّ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ اجْتَمَعُوا فَذَكَرَ الْحَدِيثَ وَفِيهِ وَبَاتَ عَلِيٌّ عَلَى فِرَاشِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُورِي عَنْهُ وَبَاتَتْ قُرَيْشٌ يَخْتَلِفُونَ وَيَأْتِمِرُونَ أَهْلُهُمْ يَهْجُمُ عَلَى صَاحِبِ الْفِرَاشِ فَيُوثِقُهُ. فَلَمَّا أَصْبَحُوا إِذَا هُمْ بِعَلِيٍّ وَقَالَ فِي آخِرِهِ فَخَرَجُوا فِي كُلِّ وَجْهِ يَطْلُبُونَهُ وَفِي مُسْنَدِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ لِأَبِي بَكْرٍ بْنِ عَلِيٍّ الْمَرْزُوقِيِّ شَيْخِ النَّسَائِيِّ مِنْ مُّرْسَلِ الْحَسَنِ فِي قِصَّةِ نَسْجِ الْعَنْكَبُوتِ نَحْوَهُ. وَذَكَرَ الْوَاقِدِيُّ أَنَّ قُرَيْشًا بَعَثُوا فِي أَثَرِهِمَا قَائِقَيْنِ أَحَدُهُمَا كُرْزُ بْنُ عُلْقَمَةَ فَرَأَى كُرْزُ بْنُ عُلْقَمَةَ عَلَى الْغَارِ نَسْجَ الْعَنْكَبُوتِ فَقَالَ هَا هُنَا انْقَطَعَ الْأَثَرُ. انتهى كلام الحافظ رحمه الله.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله عقب إيراد الحديث في قصة نسج العنكبوت من مسند أحمد وتقديم ذكره في كلام ابن حجر ما عبارته: وَهَذَا إِسْنَادٌ حَسَنٌ، وَهُوَ مِنْ أَجْوَدِ مَا رُوِيَ فِي قِصَّةِ نَسْجِ الْعَنْكَبُوتِ عَلَى فِمْ الْغَارِ، وَذَلِكَ مِنْ حِمَايَةِ اللَّهِ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.. انتهى. (نقلًا عن موقع إسلام ويب - إجابة على فتوى: هل نسج العنكبوت على الغار وهل تروى تلك القصة - رقم الفتوى: ١٤٦٩١٥)

في هذه الأجواء المشحونة والأحوال المدلهمة ينصر الله جنده في لحظات من حيث لم يحتسبوا، ويُرسِل الله ريحاً تفرِّق جمع الأحزاب، وتغيّر موازين المعركة، {وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا} [الأحزاب: ٢٥].

قد يتوهم بعض المسلمين أن الله سينصرهم ما داموا مسلمين، مهما يكن حالهم، ومهما تكن حقيقة أعمالهم، والله تعالى يقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ} [محمد: ٧]، ولم يقل: ما دُمتُم مؤمنين فسأنصركم وأثبتت أقدامكم، مهما تكن أحوالكم وأوضاعكم وأعمالكم. لقد هُزم المؤمنون وفيهم رسول الله في معركة أحد حين عصوا أمر الرسول، وهُزم أغلبيهم يوم حنين وفيهم رسول الله حين أعجبته كثرتهم وقال بعضهم: "لن نُغلب اليوم من قلة"، فكيف ينصر الله من لا ينصره لمجرد دعواه أنه مؤمن؟! .

كيف ينصر الله من يعصيه ولا يقوم بواجبه؟!، يقول عمر رضي الله عنه: "إنا لا نتنصر على عدونا بعدد ولا عدة، وإنما نتنصر بطاعتنا لله ومعصيته له، فإن عصينا الله فقد استويناه وإياهم في المعصية، وكان لهم الفضل علينا". عباد الله، لله تعالى سنن لا تتغيّر يحكم بها الكون والحياة والإنسان، منها متطلبات النصر ومسببات الهزيمة. والحكمة من وراء هذه السنن أن تظهر خبايا النفوس، وتبرز معادن الناس من خلال واقع منظور لا من خلال أقوال وأمنيات، فتتميّز الصفوف، وتتمحص النفوس، ويُعلم المؤمنون الصابرون فينصرهم الله، ذلك أن النصر شرف، ولن يتنزّل على قلوب قاسية غافلة، ونفوس مريضة، وأحوال مغشوشة، في أمة تشعبت بها السبل، وتجارت بها الأهواء، وتعمقت في أخوتها الخلافات، وتلوّثت بسوء الظن.

ثانياً: من أهم أسباب النصر:

١/ **ترسيخ العقيدة وغرس الإيمان؛** لأن الإيمان الصادق . عباد الله . يزي النفوس، ويظهر القلوب، فتصلح الحال، ويكتب الله النصر والتمكين للمؤمنين؛ لأن أسباب

النصر داخلية في القلوب والنفوس، قال تعالى: {إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ} [غافر: ٥١]. والتاريخ . عباد الله . يحكي لنا أحوال أقوام من أهل الإيمان جياح حفاة قلة، صدقوا مع الله، وتخلصوا من حظوظ أنفسهم، فنصرهم الله ومكن لهم، قال تعالى: {وَمَا لَنَنْصُرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ} [آل عمران: ١٢٦].

٢/ الإخلاص : فالمخلص مؤيد من الله، مكفي به سبحانه: {أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ} [الزمر: ٣٦]، وعلى قدر إخلاص المرء لربه وتجرده له يكون مدد الله وعونه وكفايته وولايته.

٣/ نصره دين الله والقيام به قولاً وعملاً، اعتقاداً ودعوة، مع إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: {وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ} [الحج: ٤٠-٤١].

٤/ النصر التجل بالصبـر : هذا ما نستفيدة من قول الرسول عليه الصلاة والسلام: «يا أبا جندل، اصبر واحتسب، فإن الله جاعلٌ لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً» [أخرجه أحمد]، وفي حديثه لابن عمه عبد الله بن عباس قال: «وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ» ، وفي ختام عدد من السور المكية أوصى الله رسوله بالصبر: {وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ} [يونس: ١٠٩].

٥/ الاعتماد على القوي الذي لا يغلب : يفوض إليه أمره، يثق في وعده، فلا يخاف من أعداء الله، ذلك أن النصر من عند الله، والعزة كلها من الله، ومن أراد النصر فليطلبه من الله، ومن أراد العزة فليعتز بالله، ففي غزوة حنين رأى المؤمنون أنفسهم في كثرة فقال بعضهم: لن نُغلب اليوم من قلة، وكأنما ألهمهم كثرتهم عن حقيقة القوة والنصر، فوكلهم الله إلى كثرتهم التي أعجبتهم فلم تغن عنهم شيئاً، {لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ

فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ { [التوبة: ٢٥].

الدعاء أهم أسلحة النصر، لما صنع نوح السفينة لجأ إلى الله، واحتوى بحماه، ولم يركن إلى الأسباب وحدها، توجه إلى الله بالدعاء، لعلمه أن الدعاء يستمطر سحاب النصر، سجل لنا القرآن الكريم صيغ الدعاء التي دعا بها نوح ربه، وكيف أن الله استجاب له على الفور: {قَدَعَا قَدَعًا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرُ (١٠) فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّثَمَرٍ (١١) وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (١٢) وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ (١٣) تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءَ لِّمَن كَانَ كُفِرًا [القمر: ١٠-١٤].

٦/ إكرام ورعاية الضعفاء: فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن النبي قال له: «هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم؟؟» [أخرجه البخاري] ، وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله يقول: «**ابغوني ضعفاءكم، فإنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم**»^١، وفي الحديث: «**إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها، بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم**» [أخرجه النسائي].

٧/ الثبات وكثرة ذكر الله والاتحاد والاجتماع وعدم التنازع والاختلاف: قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [الأنفال: ٤٥].

٦/ إعداد القوة المادية والمعنوية: قال تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِّن قُوَّةٍ وَمِنْ رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ} [الأنفال: ٦٠].

إن الإمداد على قدر الاستعداد، إمدادُ الله بالنصر والتأييد والتوفيق والتسديد على حسب ما في القلوب من تجريد النية وصفاء الطوية، قال تعالى: {لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ

١/ أخرجه أحمد (١٩٨/٥)، وأبو داود في الجهاد (٢٥٩٤)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٧٧٩).

الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ
وَأَثْبَتَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا} [الفتح: ١٨].

ثالثاً: الأحاديث التي تبشر بانتصار الإسلام:

في الأجواء القاتمة في تاريخ الأمة تحتاج إلى وميض من نور وبشارة أمل، تبشر بمستقبل مشرق، وهذا منهج القرآن، فحين كان يعاني رسول الله قلة العدد وضعف الشأن وخذلان العشيرة قص الله على رسوله قصة يوسف، نزلت هذه السورة في جو مكة الثقيل ليُبشِّرَ رسول الله بمستقبله العظيم المشرق الزاهر، فكأن قصة يوسف قصته. لذا فمن أسباب النصر زرع الأمل بالتبشير بالوعد الحق، وهو نصر المؤمنين وتمكينهم، كي لا يتسرب اليأس إلى النفوس، فقد كان النبي يبشِّرُ العصابة المؤمنة بالنصر والتمكين وهم تحت وطأة التعذيب ويقول: «**إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها**» [أخرجه مسلم من حديث ثوبان رضي الله عنه] [٧]، بشرهم بأن المستقبل لهذا الدين، وأن هذا الإسلام ستفتح له البيوت كلها فقال: «**ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدبر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين، بعز عزيز أو بذل ذليل، عزنا يعز الله به الإسلام، ودلا يذل الله به الكفر**» [أخرجه أحمد من حديث تميم الداري رضي الله عنه].

إخوة الإسلام، دين الله سيعلو ونوره سيملاً الآفاق، {يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْئِهِمْ وَاللَّهُ مَتَمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ} [الصف: ٨]، فمن ذا يقدر أن يطفى نور الله؟!، ومن يستطيع أن يحارب الله؟! بالمقاييس المادية يظن الناظر إلى أحوال المسلمين أنها سوداء قاتمة، وفي موازين الإيمان مبشرة مطمئنة، فكما اشتدت المحن قرب انبلاج الفجر وتحقق المنح. لا يدري المسلم متى النصر، إلا أننا نعلم أن الأصل في الإسلام العلو والسيادة والتمكين، فلا نستئس من ضعف المسلمين حيناً من الدهر، فقد قال رسول الله: «**الإسلام يعلو ولا يُعلى**» [أخرجه أحمد].

وأخبر باستمرار ديانة الإسلام فقال: «ولا يزال الإسلام يزيد، وينقص الشرك وأهله، حتى تسير المرأتان لا تخشيان إلا جوراً، والذي نفسي بيده، لا تذهب الأيام والليالي حتى يبلغ هذا الدين مبلغَ هذا النجم»^١.

إنها بُشريات تذيب كل يأس، وتدفع كل قنوط، وتثبت كل صاحب محنة، وتريح قلب كل فاقِد للأمل من أبناء هذا الدين، قال: «بُشِّر هذه الأمة بالسَّناء والرفعة والدين والنصر والتمكين في الأرض» [أخرجه أحمد من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه]^٢.

هذا وعد الله، ووعد الله لا يُخلف، لكنها مسألة التوقيت المقدور والأجل المحدود، ولئن مرّت الأمة بفترات ضعف فلا ننسى أنها تقادير الله الذي يَقدر على إعادة عزّ ضاع، واسترجاع سيادة مضت.

رابعاً: جانب آخر من جوانب المبشرات^٣:

لقد جاءت آيات القرآن الكريم تحارب في نفوس المسلمين اليأس والقنوط، وتغرس في قلوبهم بذور الأمل والرجاء، فالإسلام حرم اليأس وأوجد البديل وهو الأمل، وحرم التشاؤم وأوجد البديل وهو التفاؤل^٤، لذلك فإننا نرى صاحب الأمل الكبير، عالي

١/ أخرجه الطبراني في الكبير (١٤٥/٨)، وأبو نعيم في الحلية (١٠٧/٦) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه، قال الهيثمي في المجمع (٦٠/١٠): "رواه الطبراني وفيه عبد الله بن هانئ المتأخر إلى زمن أبي حاتم، وهو متهم بالكذب"، وجاء بعضه من طرق أخرى، انظر السلسلة الصحيحة (٣٥).

٢/ أخرجه أحمد (١٣٤/٥)، وأبو نعيم في الحلية (٢٥٥/١)، والبيهقي في الشعب (٩٨٣٣، ١٠٣٣٥)، وصححه ابن حبان (٤٠٥)، والحاكم (٤٤٨، ٣٤٦/٤)، والضياء في المختارة (١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤)، وقال الهيثمي في المجمع (٢٢٠/١٠): "رجال أحمد رجال الصحيح"، وصححه الألباني في أحكام الجنائز (٥٢).

٣/ مقال للشيخ الدكتور يوسف جمعة سلامة (خطيب المسجد الأقصى المبارك) جريدة الاتحاد ٢٧ يناير ٢٠١١.

٤/ التطير والتشاؤم من عادات الجاهلية التي جاء الإسلام بهدمها والتحذير منها، فعن أنس بن مالك -رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لَا عُدْوَى وَلَا طَيْرَةٌ، وَبُعْجِيئِي الْقَالُ، قَالُوا: وَمَا الْقَالُ؟ قَالَ: كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ» متفق عليه. وعن قبيصة بن المخارق قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «الْعِيَافَةُ، وَالطَّيْرَةُ، وَالطَّرْقُ مِنَ الْجَبْتِ» رواه أبو داود بإسناد حسن، وعن بريدة -رضي الله عنه- «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ لَا يَتَطَيَّرُ» رواه أبو داود بسند صحيح.

الهمة، دؤوب العمل، كثير البذل، سريع التضحية، بعكس الآخرين العاجزين، ومن المعلوم أنه بقدر تفاوت الناس في آمالهم وأعمالهم، تتفاوت عزائم الرجال كما قال الشاعر:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم

وتعظم في عين الصغير صغيورها وتصغر في عين العظيم العظائم

وعند دراستنا للسيرة النبوية الشريفة، نلاحظ أن الرسول- صلى الله عليه وسلم- قد واجه المشاق والمتاعب عندما بدأ بتبليغ الرسالة، كما واجه المقاطعة، وجميع أشكال الأذى والتعذيب، ومع ذلك صبر، وسلّم الأمر لصاحب الأمر، فما هي إلا فترة وجيزة، وإذا بالضيق ينقلب فرجاً والعسر يسرا، ودخل الناس في دين الله أفواجاً.

ومن خلال دراسة التاريخ الإسلامي من مصادره الموثوقة، نلاحظ أن الخط البياني للتاريخ الإسلامي مُتَعَرِّج، ينخفض انخفاضاً شديداً، ويرتفع ارتفاعاً شديداً، ويعلو ويهبط وفق القانون الإلهي الذي يقول {وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ} سورة آل عمران (١٤٠).

وعن عروة بن عامر رضي الله عنه قال: «ذُكِرَتِ الطَّيْرَةُ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: أَحْسَنُهَا الْقَالُ، وَلَا تَرُدُّ مُسْلِمًا فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ وَلَا يَذْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ وَلَا حَوْلَ وَفُورَ إِلَّا بِكَ» رواه أبو داود بسند صحيح، ونحو ذلك من الأحاديث، وذلك إذا اعتقد شيئاً مما تشاءم منه موجب لما ظنه ولم يضيف التدبير إلى الله سبحانه وتعالى؛ لأن التشاؤم سوء ظن بالله سبحانه وتعالى، وربما وقع به ذلك المكروه الذي اعتقده بعينه عقوبة له على اعتقاده الفاسد، ولا تنافي بين هذا وبين حديث عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لَا عَدْوَى وَلَا طَيْرَةَ، إِنَّمَا الشُّؤْمُ فِي ثَلَاثٍ: فِي الْفَرَسِ وَالْمَرْأَةِ وَالْدَّارِ» متفق عليه؛ لأن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يشير في هذا الحديث ونحوه إلى تخصيص الشؤم بمن تحصل منه العداوة والفتنة لا كما يفهم بعض الناس خطأ من التشاؤم بهذه الأشياء أو أن لها تأثيراً، كما فسرته الرواية الأخرى عند الحاكم في المستدرک من حديث سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ثَلَاثٌ مِنَ السَّعَادَةِ: الْمَرْأَةُ تَرَاهَا تُعْجِبُكَ، وَتَغِيْبُ عَنْهَا فَتَأْمَنُهَا عَلَى نَفْسِهَا وَمَالِهَا، وَالِدَابَّةُ تَكُونُ وَطِينَةً فَتُلْجِفُكَ بِأَصْحَابِكَ، وَالِدَارُ تَكُونُ وَاسِعَةً كَثِيرَةَ الْمَرَافِقِ، وَثَلَاثٌ مِنَ الشَّقَاءِ: الْمَرْأَةُ تَرَاهَا فَتَسُوْؤُكَ وَتَحْمِلُ لِسَانَهَا عَلَيْكَ وَإِنْ غِيْبَتْ لَمْ تَأْمَنُهَا عَلَى نَفْسِهَا وَمَالِهَا، وَالِدَابَّةُ تَكُونُ قَطُوفًا فَإِنْ ضَرَبَتْهَا اتَّبَعَتْكَ وَإِنْ تَرَكْتَهَا لَمْ تُلْجِفْكَ بِأَصْحَابِكَ، وَالِدَارُ تَكُونُ ضَيِّقَةً قَلِيلَةَ الْمَرَافِقِ» ما حكم الشرع في التطير والتشاؤم؟ - موقع مصرراوي .

نعم قد يعلو أمر المسلمين، وقد يهبط، هبط في قرون مضت حتى اغتُصب «الحجر الأسود»، أخذه «القرامطة» قسراً، وظل عندهم نحو ربع قرن، فما عاد إلا بعد لأي!، كما وهبط مستوى التاريخ الإسلامي إلى الحضيض يوم دخل «التتار» بغداد وقتلوا الخليفة وأذلوا الأمة الإسلامية أشد الذل.

ولكن هذا التاريخ الذي هبط سرعان ما علا، فما مضى قرن حتى كان المسلمين يدقون أسوار «فيينا» - عاصمة النمسا- ثم قبل ذلك وصلوا مخترقين «الأندلس» إلى «جنوب فرنسا». هذا التاريخ الذي يتأرجح بين «مَدٍّ وجزرٍ» حقيقة لا بد من الاعتراف بها.

وعلى الرغم من الجراح المؤلمة والظروف القاسية التي تعصف بالأمميتين العربية والإسلامية، إلا أن ثقتنا في الله كبيرة، فالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة فيها ما يطمئن القلوب؟ ويبعث الأمل في النفوس ويبشر الأمة بأن المستقبل لهذا الدين إن شاء الله، فالحمد لله سبحانه وتعالى يقول: {فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا* إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا} (سورة الشرح الآية ٥-٦) فالعسر جاء معروفاً، والمعرفة إذا كررت كانت عين الأولى، واليسر جاء منكراً والنكرة إذا كررت كانت غير الأولى، فلن يغلب عسر يسرين، كما وورد أن الرسول- صلى الله عليه وسلم- قال: (بشروا ولا تنفروا) أخرجه البخاري.

فالليل مهما طال فلا بد من بزوغ الفجر، وإن الفجر آتٍ بإذن الله، فالخير لا يزال باقياً في هذه الأمة إن شاء الله إلى يوم القيامة، لن تهزه عواصف هوجاء ولا رياح عاتية، وستبقى أمتنا قادرة إن شاء الله على تجاوز المحن والشدائد مهما اشتد الظلام، وسوف تتوحد الأمة وتكون صفواً واحداً، كما كانت دائماً إن شاء الله.

البشارة الخامسة والعشرون

دخول الجنة لمن آمن وعمل صالحاً^١

عمدة البشارة قوله تعالى : ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراًً مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعَمَ الثَّوَابِ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقاً﴾ الكهف (٣١) . وما شاكلتها من آيات تصف الجنة وما فيها من نعيم ، وستأتي بإذن الله تعالى .

اعلم أخي القارئ الكريم أن الله تعالى من رحمته وصف لعباده الجنة وبين ما فيها من النعيم المقيم والخيرة والسرور، وما ذلك إلا ليرغبوا في دخولها وليعملوا العمل الصالح الذي يؤهلهم لدخولها، جعلنا الله وإياكم من أهلها.

كما أن النبي صلى الله عليه وسلم وصف الجنة لامته وأطنب في ذكرها وتفنن في بيان نعيمها وذلك لشدة حرصه على الأمة أن يكونوا جميعاً من أهلها كما قال عليه الصلاة والسلام ((كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبي)) قيل ومن أبي يا رسول الله قال: ((من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبي)) وقد قال الله تعالى في صفة نبيه صلى الله عليه وسلم ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾^٢.

فلما كانت الآيات والأحاديث كثيرة جداً في وصف الجنة وجميع ما يتعلق بها أحببت أن أنقل ها هنا ما ذكره ابن القيم في وصف الجنة في كتابه الرائع ((حادي الأرواح)) وسأذكر هنا بعضاً من النصوص بحسب مقتضى الحال.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : كيف بقدر قدر دار غرسها الله بيده، وجعلها مقراً لأحبابه وملاًها من رحمته وكرامته ورضوانه ووصف نعيمها بالفوز العظيم كما في

١/ خاتمة حسنة لعباد الرحمن جزاء عباد الرحمن ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَاماً، خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً﴾ نقلاً من كتابي منح الكريم المنان بشرح صفات عباد الرحمن - باختصار .

٢/ الآية (١٢٨) من سورة التوبة .

قوله تعالى ((ذلك هو الفوز العظيم)) ووصف ملكها بالملك الكبير كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾^١ وأودعها الخير بحذافيه وطهرها من كل عيب ونقص .

تربة الجنة : فإذا سألت عن أرضها وتربتها فهي المسك والزعفران كما ثبت في الصحيحين عن أبي ذر في حديث المعراج قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**أدخلت الجنة فإذا فيها جنادل اللؤلؤ وترايبها المسك**)) وفيهما أيضا (**وتربتها الزعفران**).

بناء الجنة : وإذا سألت عن ملاطها فهو المسك الأذفر، وإذا سألت عن حصائها فهو اللؤلؤ والجواهر، وإذا سألت عن بنائها فلبنة من ذهب ولبنة من فضة، كما صح ذلك في سنن الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قلنا : يا رسول الله الجنة ما بناؤها ؟ قال ((**لبنة من فضة ولبنة من ذهب، وملاطها المسك الأذفر، وحصائها اللؤلؤ والياقوت، وتربتها الزعفران، من دخلها ينعم لا يبأس، ويخلد ولا يموت، لا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم**)) .

وإذا سألت عن أشجارها فما فيها شجرة واحدة إلا ساقها من ذهب وفضة، إلا الحطب والخشب، وإذا سألت عن ثمارها فأمثال القلال – جمع قلة- ألين من الزبد وأحلى من العسل، وإذا سألت عن ورقها فأحسن من رقائق الحلل. ويدل على كل هذه الأوصاف أحاديث منها :

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ((**ما في الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب**))^٢ .

وعن مالك بن صعصعة في حديث المعراج أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (**ورفعت لي سدرة المنتهي فإذا نبقها كأنه قلال هجر ورقها كأنه أذان الفيل**)^١ متفق عليه.

١ - الآية (٢٠) من سورة الإنسان.

٢ - أخرجه الترمذي .

وقد وصف الله أشجار الجنة وثمارها في عدد من آيات القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾^٢، وقوله تعالى: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾^٣ إلي غير ذلك الآيات.

أنهار الجنة: وإذا سألت عن أنهار الجنة فإنها من لبن لم يتغير طعمه، وأنها من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى كما قال تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّنْ مَّاءٍ﴾^٤.

مقام أهل الجنة وشرابهم: وإذا سألت عن طعامهم ففاكهة مما يتخيرون، ولحم طير مما يشتهون، وإذا سألت عن شرابهم فالتسنيم والزنجبيل والكافور، وإذا سألت عن أنبتهم فأنية الذهب والفضة في صفاء القوارير، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْأُبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا، عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾^٥ إلي قوله تعالى: ﴿سَلْسَبِيلًا﴾^٦. وقال تعالى: ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾^٦ **والرحيق:** هو الخمر العتيقة البيضاء الصافية من الغش، وقوله (مختوم) أي إذا شربوا هذا الرحيق فضي ما في الكأس الختم بخاتم المسك، فوصف شراب أهل الجنة بأن رائحة آخره رائحة المسك، **والتسنيم:** شراب ينصب عليهم من علو وهو أشرف شراب في الجنة، واصل التسنيم في اللغة: الارتفاع. سنام الجمل. فهي عين ماء تجرى من علو إلي سفلى.

١ - متفق عليه.

٢ - الآية (١٤) من سورة الإنسان .

٣ - الآيات ٢٢، ٢٤ من سورة الحاقة.

٤ - الآية (١٥) من سورة محمد .

٥ - الآيتان (٦٥) من سورة الإنسان .

٦ - المطففين (٢٥-٢٨)

غرف الجنة وقصورها وخيامها : وإذا سألت عن ظل الجنة ففيها شجرة واحدة يسير في ملكه وسرره وقصوره وبساتينه مسيرة ألف عام، وإذا سألت عن خياما وقيابها : فالخيمة الواحدة من درة مجوفة طولها ستون ميلاً من جملة الخيام، وإذا سألت عن قصورها وغرفها فهي غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الأنهار قال تعالى: ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِّنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾^١.

وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم غرف الجنة فقال ((**إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها، وباطنُها من ظاهرها، أعدّها الله تعالى لمن أطعم الطعام، وألان الكلام وتاب الصيام، وصلى بالليل والناس نيام**))^٢.

وروى مسلم عن عبد الله بن قيس عن النبي صلى الله عليه وسلم ((**إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ميلاً، للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضاً**))^٣.

لباس أهل الجنة وفراشهم : وإذا سألت عن لباس أهلها وهو الحرير والذهب، وإذا سألت عن فرشها فبطائنها من إستبرق مفروشة في أعلى الرتب، وأن سألت عن أرائكهم فهي الأسرة عليها الحجال مزّرة بأزرار الذهب، فمالها من خروج ولا خلال.

وقد وصف الله تعالى لباس أهل الجنة في غير ما آية من القرآن، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾^٤ وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾^٥.

١ - [الزمر/٢٠].

٢ - أخرجه أحمد وأبو حبان في صحيحه.

٣ - الآية (١٢) من سورة الإنسان .

٤ - الآية (٣١) من سورة الكهف.

وروى البخاري في صحيحه عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: أتى الرسول صلى الله عليه وسلم بثوب من حرير فجعلوا يتعجبون من حسنه ولينه فقال الرسول صلى الله عليه وسلم (**لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أفضل من هذا**).

وقد وصف الله تعالى الفرش في الجنة فقال: ﴿مُتَكِّينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ ((قال العلماء : وصف جل وعلا الفرش بكونها مبطنة بالإستبرق، وهذا يدل على أمرين .

١/ أن ظاهرها أعلى وأحسن من بطائنها، لأن بطائنها للأرض وظاهرها للجمال والزينة، فإذا كانت البطائن من إستبرق فما بالك أخي بظاهرها .

والإستبرق : هو أحسن من الحرير وأفخره، فكيف بظواهرها التي يباشرون.

٢/ يدل على إنها فرش عالية لها سمك وحشو بين البطانة والحجارة والظهارة، وهذه الفرش قد أحيطت بالنمارق المصفوفة على هيئة تسر الخواطر وتبهج الأنفس، قال تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ وَزَرَائِبُ مَبْثُوثَةٌ﴾^١ ، **فالنمارق** : هي الوسائد والسائد والمخار. **والزرايب** : هي البسط والحسان، ومبثوثة أي مملوءة بها مجالسهم فوصف جل وعلا النمارق بكونها مصفوفة أشار إلي إراحتهم من صفها أو صناعتها بل هي مصنوعة ومصفوفة فهي مجهزة لهم أحسن تجهيز وأكملة .

أعمار أهل الجنة : وإن سألت عن أسنانهم - أعمارهم - فأبناء ثلاثة وثلاثين على صورة آدم عليه السلام أبي البشر، وإن سألت عن وجوههم وحسنهم فهم على صورة القمر ليلة البدر.

وروى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**أن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر** الذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة ؛ بل لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون، ولا

١ - الآيات (١٣ . ١٦) من سورة الغاشية.

يتمخضون، أمشاطهم الذهب، ورشحهم المسك ومجامرهم الألوة، وأزواجهم الحورالعين، على خلقٍ رجل واحد، على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء).

واخرج احمد والترمذي عن معاذ بن جبل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (يدخل أهل الجنة الجنة جرّداً مردّاً مكحلين أبناء ثلاثين أو ثلاث وثلاثين سنة).

صفة الحورية من الحورالعين : تجرى الشمس في محاسن ووجهاها إذا برزت، ويعنى البرق من بين ثناياها إذا تبسمت. إذا قابلت وجهها فقل ما شئت في تقابل النيرين، وإذا حادثته فما ظنك بمحادثة الحبيبين، إن ضمها فما ظنك بتعانق الغصنين، يرى وجهه كما يرى في المرأة التي جلاها صقيلاها، ويرى مخ ساقها من وراء اللحم ولا يستره جلدها ولا عظمها ولا حللها.

لو اطلعت على الدنيا لمألت ما بين الأرض والسماء ريحا، ولاستنطقت أفواه الخلائق تهليلا وتكبيرا وتسبيحا، ولتزخرف لها ما بين الخافقين، ولأغمضت عن غيرها كل عين، ولطمست ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم، ولا من على وجهها بالله الحي القيوم .

ونصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها، ووصاله ((**المؤمن**)) أشهى إليه من جميع أمانها، لا تزداد على تطاول الأحقاب إلا حسنا وجمالا ولا يزداد لها على طول المدى إلا محبة ووصالا.

مبرأة من الحمل والولادة والحيض والنفاس، مطهرة من المخاط والبول والغائط وسائر الأدناس، لا يفني شبابها ولا تبلي ثيابها، ولا يخلق ثوب جمالها، ولا يمل طيب وصالها، قد قصرت طرفها على زوجها، فلا لأحد سواه، وقصر طرفه عليها فهي غاية أمنيته وهواه إن نظر إليها سرته، وإن أمرها أطاعته، وأن غاب عنها حفظته، فهو معها في غاية الأمان والأمان، هذا ولم يطمئنها إنس ولا جان.

كلما نظر إليها ملأت قلبه سرورا، وكلما حدثته أذنه لؤلؤاً منظوماً ومنثوراً وإذا برزت ملأت القصر والغرفة نورا.

وإذا سألت عن حسن الخلق فهن الخيرات الحسان، والأتي جمع لهن بين الحسن والإحسان، فأعطيت جمال الباطن والظاهر، فهن أفراح النفوس، وقرة النواظر .

وإذا سألت حسن العشرة ولذة ما هناك فهن القرب المحببات إلي الأزواج بلطافة التبعل التي تمتزج بالزوج أي امتزاج .

فما ظنك بامرأة إذا ضحكت في وجه زوجها أضاءت الجنة من ضحكها، وإذا انتقلت من قصر إلى قصر، قلت : هذه الشمس منتقلة في بروج فلکها، وإذا حاضرت زوجها فيا حسن المحاضرة ، وإن خاصرته فيا لذة تلك المعانقة والمخاصرة.

وقال بن القيم رحمه الله في نونيته :

وتري محاسنها به بعيان	فيرى محاسن وجهه في وجهها
سود العيون فواتر الأجفان	حمر الخدود تغورهن لآلى
فيضئ سقف القصر بالجدران	والبرق يبدو حين يبسم ثغرها
يبدو فيسأل عنه من بجنان	ولقد روينا أن برقاً ساطعاً
في الجنة العليا كما تريان	فيقال هذا برق ثغرضاحك

قال عطاء السلمي لمالك بن دينار رحمهما الله : يا أبا يحي شوقنا ؟ فقال : (يا عطاء في الجنة حوراء يتباهى أهل الجنة بحسنها، لولا أن الله كتب علي أهل الجنة أن لا يموتوا لماتوا من حسنها) فلم يزل عطاء كمدأ من قول مالك أربعين يوماً.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : في الجنة حوراء يقال لها اللعبة، كل حور الجنة يعجبن بها، يضربن بأيديهن على كتفها ويقلن (**طوبى لك يا لعبة، لو يعلم الطالبون لك لجدوا**) بين عينيها مكتوب : من كان يبتغي أن يكون له مثلى فليعمل برضى ربي .

وروى الأمام أحمد في مسنده - بإسناد حسن - عن أبي سعيد الخدرى رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**إن الرجل في الجنة لتأتيه امرأة تضرب**

على منكبه فينظروجه في خدها أصفي من المرأة، وأن أدنى لؤلؤة عليها تضي ما بين المشرق والمغرب، فتسلم عليه فيرد عليها السلام، ويسألها من أنت ؟ فتقول أنا من المزيد، وإنه ليكون عليها سبعون ثوباً أدناه مثل النعمان فينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك، وإن عليهم التيجان، وإن أدنى لؤلؤة لتضي ما بين المشرق والمغرب).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ((للرجل من أهل الجنة زوجتان من الحورالعين، على كل واحدة سبعون حلة يرى مخ ساقها من وراء الثياب)) أخرجه مسلم وأحمد.

وعن سعيد بن عامر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ((لو أن امرأة من نساء أهل الجنة أشرقت لمألت الأرض ريح مسك، لأذهبت ضوء الشمس والقمر)) وروى موقوفاً عن ابن مسعود عن الترمذي وأما لمرفوع فهو عن ابن حبان وابن أبي الدنيا.

رؤية أهل الجنة لوجه الله الكريم جل جلاله: وأن سألت عن يوم المزيد، وزيارة العزيز الحميد، ورؤية وجهه المنزه عن التشبيه والتمثيل ؛ كما ترى الشمس في الظهيرة، والقمر ليلة البدر، كما تواتر عن الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم، والنقل فيه موجود في الصحاح والسنن والمساني من رواية عدد من الصحابة رضي الله عنهم ((يوم ينادى المنادى : يا أهل الجنة إن ربكم يستزيركم – أي يطلب منكم زيارته – فحي على زيارته، فيقولون سمعاً وطاعة، وينهضون إلي الزيارة مبادرين، فإذا بالنجائب قد أعدت لهم، فيستوون على ظهرها مسرعين، حتى إذا انتهوا إلي الوادي الأفيح الذي جعل لهم موعداً، وجمعوا هناك.

فلم يغادر الداعي منهم أحداً، أمر الرب تبارك وتعالى بكرسيه فنصب هناك، ثم نصبت لهم منابر من فضة، وجلس أدناهم - وليس فيهم دني - على كئبان المسك، ما يرون أن أصحاب الكراسي فوقهم في العطايا، حتى إذا استقرت بهم مجالسهم،

واطمأنت بهم أماكنهم، نادى المنادي : يا أهل الجنة، أن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه، فيقولون : ما هو؟ ألم يبيض وجوهنا، ويثقل موازيننا ويدخلنا الجنة، ويزحزحنا عن النار، بينما هم كذلك إذ سطع لهم نوراً شرقت له الجنة، فإذا الجبار جل جلاله، وتقدست أسماؤه، قد أشرف عليهم من فوقهم، وقال : يا أهل الجنة، سلام عليكم، فلا ترد هذه التحية بأحسن من قولهم : اللهم أنت السلام، ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام، فيتجلى لهم الرب تبارك وتعالى يضحك إليهم ويقول يا أهل الجنة.

فيكون أول ما يسمعون منه تعالى : أين عبادي الذين أطاعوني بالغيب ولم يروني وأتبعوا رسلي وأتبعوا أمري، فسلوني هذا يوم المزيد، فيجتمعون على كلمة واحدة : رب رضينا عنك فارض عنا، فيقول لهم : يا أهل الجنة، أني لو لم أرض عنكم لما أسكنتكم جنتي فسلوني فهذا يوم المزيد، فيجتمعون على كلمة واحدة : رب أرنا وجهك ننظر إليه، فيكشف الله جل جلاله الحجب، ويتجلى لهم فيغشاهم من نوره شيء لولا أن الله قضى عليهم لا يحترقوا لا احترقوا مما غشاهم من نوره .

بيان ارتفاع درجات الجنة : قبل بيان ارتفاع تلك الدرجات أقول : أن غالب ما ورد عن أهل التفسير وشرح الحديث أن تلك الدرجات إنما هي درجات حسبته كما سبق في الحديث ((كما بين السماء والأرض)) أو ((مسيرة مائة عام)) كما في أحاديث أخرى.

وأشار ابن حجر رحمه الله في شرح حديث (ذهب أهل الدثور بالأجور والدرجات العلي من الجنة) إلي أن هذا قد يراد به علو القدر عن الله تعالى فيكون بهذا رفع معنوي، كما قلت : ومن أستحق الرفع المعنوي فهو أهل لأن يرفع في درجات الجنة الحسية والله تعالى أعلم .

وقد وردت الأحاديث الكثيرة في بيان ارتفاع درجات الجنة، من ذلك :

١/ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((أن أهل الدرجات العلي يراهم من هو أسفل منهم كما ترون الكواكب الطالع في أفق السماء، أن أبا بكر وعمر وأنعم))^١.

٢/ عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ((إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم)) قالوا: يا رسول الله، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم ؟ قال بلي والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين))^٢.

وردت أحاديث أخرى في بيان ما بين الدرجتين من درجات الجنة منها ما تقدم في حديث ((إن في الجنة مائة درجة)) ومن ذلك ما رواه الإمام أحمد عن كعب مرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((ارموا أهل صنع أي صناعة السيوف من بلغ العدو بسهم رفعه الله به درجة)) فقال عبد الرحمن بن أبي الزحام : يا رسول الله، ما الدرجة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((أما إنها ليست بعتبة أمك ولكنها بين الدرجتين مائة عام))، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مسيرة خمسمائة عام))^٣.

ولعل القارئ الكريم يظن أن هناك اختلاف بين الأحاديث التي تبين بعد ما بين الدرجتين بمائة عام وبين غيرها، وأجاب ابن عبد الله ذلك بأن هذا يحمل على بطء السير وسرعته، وكذا قال ابن القيم رحمه الله .

١ - رواه أحمد والترمذي .

٢ - متفق عليه

٣ - رواه الطبراني والمنذرى في الترغيب والترهيب

عدد درجات الجنة : جاء في حديث أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **(في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مائة عام)**^١.

وجاء في حديث أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال **(يقال لصاحب القرآن، إذا دخل الجنة : اقرأ واصعد، فيقرأ ويصعد بكل آية درجة حتى يقرأ آخر شيء معه)**^٢، وفي رواية **((يقال لقارئ القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلتك عند آخر آية تقرؤها))**^٣.

قال القرطبي رحمه الله : قال علماؤنا رحمة الله عليهم : حملة القرآن وقراؤه هم العالمون بأحكامه وبحلاله وحرامه، والعالمين بما فيه .

قال مالك رحمه الله : قد يقرأ القرآن من لا خير فيه، وقد تقدم أن في الجنة مائة درجة أعدّها الله للمجاهدين في سبيله، فالجهاد يحصل مائة درجة، وقراءة القرآن تحصل جميع درجات الجنة، والله المستعان على ذلك والإخلاص فيه بمنه وفضله).

وقال المناوي رحمه الله في شرح **(في الجنة مائة درجة)** سبق أنه لا تعارض بينه وبين الأخبار الدالة على زيادة درجاتها على المائة أخبر أن قارئ القرآن يصعد بكل آية معه درجة حتى يقرأ آخر شيء معه، لأن تلك المائة درجات كبار، وكل درجة منها تتضمن درجات صغار)) آه.

وقد ورد عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت **(أن عدد درج الجنة بعدد أي القرآن، فمن دخل الجنة من قرأ القرآن فليس فوقه أحد)**^٤.

١ - رواه الترمذي

٢ - رواه احمد والترمذي وأبن حبان والحاكم وصححه وأقره الذهبي

٣ - رواه الترمذي

٤ - رواه احمد والحاكم وقال : هذا إسناد صحيح، رواه البيهقي في شعب الإيمان.

أعلى أهل الجنة درجة ومنزلة: ما من شك أن أعلى أهل الجنة درجة ومنزلة هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ويدل على ذلك ما رواه مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علىّ، فان من صلى علىّ صلى الله عليه بها عشراً ثم سلوا الله تعالى لي الوسيلة، فان من سأل الله لي الوسيلة حلت له الشفاعة) قالوا : وما الوسيلة يا رسول الله ؟ قال (أعلى درجة في الجنة لا ينالها إلا رجل واحد وأرجو أن أكون أنا هو).

وفي رواية أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((**أن الوسيلة درجة عند الله ليس فوقها درجة فسلوا الله أن يؤتيها على الخلق يوم القيامة**))^١.

قال ابن القيم رحمه الله (وسميت درجة النبي صلى الله عليه وسلم الوسيلة لأنها أقرب الدرجات إلى عرش الرحمن تبارك وتعالى، وهي أقرب الدرجات إلى الله، وأصل اشتقاق الوسيلة من القرب، وهي فصيلة : ومن وسل إليه، إذا تقرب إليه، قال لبيد: بلى كل ذ رأي إلى الله واسل ومعنى الوسيلة : من الوصلة، ولهذا كانت أفضل الجنة وأشرفها وأعظمها نوراً .

قال الكلبي : واطلبوا إليه القرب بالأعمال الصالحة، وقد كشف سبحانه عن هذا المعنى كل الكشف بقوله : ﴿ **أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ** ﴾^٢ . فقلوه : **أَيُّهُمْ أَقْرَبُ تفسير للوسيلة.**

ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم الخلق عبودية لربه، وأعلمهم به، وأشدهم له خشية أعظمهم له محبة، كانت منزلته أقرب المنازل إلى الله، وهي أعلى

^١ / رواه أحمد وأبو مردويه

^٢ / الآية (٥٧) من سورة الإسراء .

درجة في الجنة، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم أمته أن يسألوها له لينالوا بهذا الدعاء الزلفى ممن الله، وزيادة الإيمان .

ويلي النبي صلى الله عليه وسلم في علو الدرجة وشرف المنزلة ورفعته المقام بقية أولوا العزم من الرسل عليهم صلوات الله تعالى وهم إبراهيم وموسى ونوح وعيسى ثم يليهم بقية الرسل ثم بقية الأنبياء ثم يلي هؤلاء من ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه مسلم أن موسى عليه السلام سأل ربه عن أعلى أهل الجنة منزلة فقال تعالى (أولئك الذين أوردت غرست كرامتهم بيدي، وختمت عليها فلم ترعين ولم تسمع أذن، ولم يخطر على قلب بشر) قال صلى الله عليه وسلم ومصادقه في كتاب الله جل وعلا ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءِ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾^١.

وأعلى الجنان هي جنة الفردوس كما جاء في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال: (إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس، فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنة، ومنه تفجر أنهار الجنة، وفوقه عرش الرحمن) فإذا كانت الفردوس أعلى الجنة فيكون أهلها هم أصحاب الدرجات العلى... جعلنا الله منهم بمنه وكرمه آمين.

أدنى أهل الجنة درجة ومنزله :

روى مسلم في صحيحه عن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (سأل موسى ربه : ما أدنى أهل الجنة منزلة ؟ قال : هو رجل يجئ بعد ما أدخل أهل الجنة، فيقال له : أدخل الجنة، فيقول : أي رب، كيف وقد أخذ الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم ؟ فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل 'ملك ملك من ملوك الدنيا؟ فيقول : رضيت رب، فيقول: لك ذلك ومثله ومثله ومثله، فقال في الخامسة رضيت رب، فيقول : لك هذا وعشرة أمثاله، ولك ما اشتئت

١ / الآية (١٧) من سورة السجدة . .

نفسك ولذت عينك، فيقول :رضيت رب، قال – موسى : رب ؛ فأعلاهم، قال أولئك الذين أردت) إلى آخره وقد تقدم قريباً.

وهذا البيان الوارد في هذا الحديث القدسي جاء موضحاً مفصلاً في حديث آخر أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال .في حديث طويل (ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار وهو آخر أهل الجنة وقولاً الجنة فيقول : أي رب، أصرف وجهي عن النار، فإنه قد فشيتني ريحها وأحرقني ذكاؤها، فيدعوا له ما شاء أن يدعوه، ثم يقول الله تبارك وتعالى : هل حسبت إن فعلت ذلك أن تسأل غيره ؟ فيقول : لا أسألك غيره، فيعطى ربه من عهود ومواثيق ما شاء، فيصرف الله وجهه عن النار؟ فإذا أقبل على الجنة ورآها سكت ما شاء الله أن يسكت، ثم يقول : أي رب قدمني إلي باب الجنة، فيقول الله : أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك لا تسألني غير الذي أعطيتك؟ ويلك يا ابن آدم ما أغدرك فيقول ، أي رب، فيدعوا الله، حتى يقول له : فهل إن أعطيتك أن تسأل غيره ؟ فيقول : لا وعزتك، فيعطي ربه من عهود ومواثيق فيقدمه إلي باب الجنة.

فإذا قام على باب الجنة انفتحت له الجنة فرأى فيها من الخير والسرور، فسكت ما شاء الله أن يسكت، ثم يقول : أي رب أدخلني الجنة، فيقول الله تبارك وتعالى له: أليس قد أعطيتك عهودك ومواثيقك أن لا تسأل غير ما أعطيت، ويلك يا ابن آدم ما أغدرك !! فيقول أي رب، لا أكون أشقى خلقك ، فلا يزال يدعو حتى يضحك الله منه، فإذا ضحك الله منه أدخل الجنة، فإذا دخلها قال الله له: تَمَن، فيسأل ربه وينتهي حتى أن الله ليذكره، فيقول : تمن كذا وكذا، حتى إذا انقطعت به الأماني، قال الله عز وجل لك ذلك ومثله معه) الحديث في الصحيحين من رواية أبي هريرة رضي الله عنه،

وفي رواية أبي سعيد الخدري رضي الله عنه (ذلك لك وعشرة أمثاله).

ذكر النووي رحمه الله تعالى أن وجه الجمع بين (**ولك مثله**) ورواية (**ذلك لك وعشرة أمثاله**) أن النبي صلى الله عليه وسلم أعلم ما في حديث أبي هريرة، ثم تكرم الله تعالى فزاد ما في رواية أبي سعيد فأخبر به النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسمعه أبو هريرة
اهـ.

الخاتمة

لك الحمد ربى على أن هديتني للإسلام وحبّبت إليّ النظر في القرآن والتأمل في سنة خير الأنام سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام.

مما يجدر ذكره في هذا الختام هو تلخيص لبعض الفوائد التي ذكرت في هذه المبشرات ، وذلك في النقاط الآتية :

١/ مما لا شك فيه أنّ كل مسلم يفرح بمنة الله تعالى عليه وبشارته له بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأقل واجباته تجاهه أن يتعرف عليه ، ومما يقوي المعرفة به صلى الله عليه وسلم الاطلاع على فضائله الواردة في القرآن الكريم وفي سنته الشريفة وسيرته العطرة .

٢/ إنّ شرف الذّكر ومنزلته يدعوانك لتكون من الذاكرين لله تعالى .. وها هي طريق الذاكرين أرسمها إليك؛ عسى الله أن يجعلك من أهلها..

إنّ مما ينبغي لك أن تعرفه أن تعلم أنّ على المسلم أن يُكثر من ذكر الله تعالى ، ولا يفرط في ذلك؛ حتى لا يدخل في زمرة أهل الغفلة.

وقال يحيى بن معاذ رحمه الله: «يا غفول يا جهول! لو سمعت صرير الأقلام في اللوح المحفوظ وهي تكتب اسمك عند ذكرك لمولاك؛ لمتّ شوقاً إلى مولاك».

وكما قيل : ذكر الله تعالى غاية الصالحين ومنتهى أمل الصادقين، من لزمه فهو في أنس دائم وخير عميم! إذا نزلت بهم النوازل فهو حصنهم، وإذا أحاطت بهم المصائب فهو كهفهم.

٣/ ما منا من أحد إلا وهو يرجو من الله ألا يوقعه في همٍّ أو غم أو مصيبة، وإن أوقعه فيها ألا تطول، بل يرجو الله تعالى أن يرزقه من اليقين والرضا ما يجعلها على قلبه بردا وسلاما ، فبشر الله تعالى كل تقي بتفريج الكرب وزوال الهم عن

قريب ، بل وبشره تعالى أيضا بسعة الرزق بعد الضيق من حيث لا يتوقع ، كل هذه
الشارات في قوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا
يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ
قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٢] .

٤/ إن إحساس المسلم واستشعاره لمعية الله تعالى يجعله يعيش في راحة
وطمأنينة وسكينة، فهو لا يخاف إلا الله ولا يرجو إلا الله ولا يتوكل إلا على الله ولا
يسأل غير الله ، لأن الله هو القوي فمن كان الله معه فمعه القوة التي لا تقهر،
والفئة التي لا تغلب ولا تهزم، والحارس الذي لا ينام، والهادي الذي لا يضل ، نجد
هذه المعاني عندما نقرأ قوله تعالى: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾
[البقرة(١٩٤)] .

٥/ إن الإنسان الايجابي في هذه الحياة هو ذلك الذي يملك موهبة أو مهارة أو حتى
سمعة حسنة يشتهر بها في دنيا الناس . هو من يفعل هذه المواهب والقدرات في
المحيط الذي يعيش فيه . ينفع بها ويصلح فيه . هو الذي له دور في هذه الحياة .
وهو الذي يشارك في صنع الأحداث من حوله . هو من لا يكتفي بالوقوف متفرجا
على هذه الأحداث وهي تمر أمامه . مما يدفعه لذلك قوله تعالى : {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا
فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ } [العنكبوت (٦٩)] .

٦/ إن أعظم ما يناله العبد من ربه تعالى في هذه الدنيا : أن يملأ قلبه هدى ومحبة
للسير على الصراط المستقيم، لأن الذي يسير إلى الله تعالى بالحب تسهل عليه
الأعمال الصالحات بخلاف من يسير بالمجاهدة ، فبشر الله تعالى كلَّ مَنْ يَنْيِبُ إِلَيْهِ
تعالى بتلك الهداية ، وإذا أردت معرفة عظم ذلك ، فانظر : لِمَ فرض الله تعالى قراءة
الفاتحة في كل الصلوات فرضها ونفلها لكي نسأله متضرعين (اهْدِنَا الصِّرَاطَ
الْمُسْتَقِيمَ) الفاتحة(٦) .

٧/ إن لله تعالى بشارة لمن عمل صالحا - وهو العمل المتابع لكتاب الله تعالى وسنة نبيه من ذكر أو أنثى من بني آدم ، وقلبه مؤمن بالله ورسوله ، وإن هذا العمل المأمور به مشروع من عند الله - بأن يحييه الله حياة طيبة في الدنيا وأن يجزيه بأحسن ما عمله في الدار الآخرة .والحياة الطيبة تشمل وجوه الراحة من أي جهة كانت ، نجد ذلك في قوله تعالى : ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ سورة النحل (٩٧) .

٨/ إن الله تعالى يحدثنا عن الحب في قوله تعالى : (يحبهم ويحبون) هذا الحب المتبادل بينه سبحانه وتعالى وبين عباده، هذه الرابطة القوية والعاطفة الجياشة التي تلهب القلوب شغفاً وحباً وشوقاً إلى ذات الله تعالى، لقد علم الله سبحانه وتعالى أن هذه العاطفة هي التي ستقود المسلم المحبَّ لربه إلى كل ما يُرضيه جل وعلا، وهي التي ستدفعه إلى البحث عن أوامر الله تعالى، فيبادر بتنفيذها فَرِحًا مسرورًا.

٩/ إن أهم ما يُهمُّ العبد المؤمن في هذه الدنيا أن يوفقه الله تعالى للقيام بالعمل الصالح وأن يتقبَّله الله تعالى منه وقد بَشَّرَ الله تعالى كل من كان تقيا بأن يوفقه لذلك وسمى هذا التوفيق بالفوز العظيم، لعل هذا المعنى يظهر جليا في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) الأحزاب (٧٠-٧١) .

١٠/ حينما تشكر الله تعالى فإنك تحقِّق الهدف من وجودك؛ لأن وجودك هو أساسا نعمة منه سبحانه و فضل ، ويمكن توضيح ذلك بمثال واقعي : أحيانا الإنسان يشتري بيتاً يدفع ثمنه فصاحب البيت - البائع - لا يستطيع أن يقول له كلمة أنا تفضلت عليك لأنه أخذ ثمنه عدأً ونقداً ولم يتسامح معي ولا بدرهم . و أما إذا إنسان قدم لك البيت كهدية والبيت ثمين جداً اختلف الأمر.

١١/ أن الله تعالى بشر المحسن من عباده - في العبادة ويمد يد الإحسان إلى خلقه - بأن يجازيه على إحسانه بالإحسان ، مع أن العبد لا يتمكن من الإحسان إلا بتوفيق سابق من الله تعالى له ، فكان إحسان الله تعالى للعبد مقابل إحسانه هو في الحقيقة إحسان آخر ، قال تعالى : (هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ) .

١٢/ إن المسلم الطائع لله تعالى المستقيم على أمره لا بد أن يستشعر عزته بالله تعالى لأن في الآية إشارة إلى أن طالب العزة لن ينالها إلا بالله تعالى وذلك لا يكون إلا بطاعته كما قال تعالى ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ فمن كان لله وبالله فلن يهون بل يمشي مرفوع الرأس عالي الجبين إذ انتسابه لله للعزیز القوي يجعله يرى نفسه عزيزا دون وإنما الذلة لمن عصى ربه سبحانه وخالف أمره . وسيزداد المعنى وضوحا عندما نذكر كلام المفسرين لهذه الآية الكريمة .

هذه العزة في نفس المسلم، هذه العزة، والاعتزاز بالدين؛ عندما يكون رضيت بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد نبيا.

١٣/ إن المسلم يسمع كثيرا من الخطب والمواعظ خلال الأسبوع الواحد فإلله يرشده إلى أن هذا الاستماع إنما يكون نافعا حين يجتهد للعمل ولا ينفعه مجرد الاستماع من هذا العالم أو ذاك الداعية كما لا يكفي التأثر ، ثم بشرته الآية بأربعة هو في أمس الحاجة إليها ، وهي : أن يعطى خيرا في الدنيا والآخرة، ويثبت على دينه ويعظم أجره على أعماله الصالحة ، ويزيده الله هداية في الصراط المستقيم . قال تعالى (وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اخْرَجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا * وَإِذَا لَأَتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا * وَلَهْدَيْنَاهُم صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا) النساء (٦٦ - ٦٨) .

١٤/ ما من أحد من البشر إلا ويعاني من أمراض إن لم تكن حسية فمعنوية كالحسد والكبر والعجب والرياء وحب الدنيا ونحوها ، وربما يعاني البعض

أمراض فكرية أعني وجود شبهات في الأحكام العقدية أو الشرعية ، فوجه البشارة : أن الله تعالى وصف القرآن بأنه شفاء وقد تكرر هذا الوصف في عدد من الآيات مطلقا كما في آية الإسراء ومقيدا كما في آية يونس ، وهذا يعني أنه شفاء لكل مرض قلبي أو عقلي أو نفسي أو عضوي .

١٥/ إن الأتقياء وهم في سيرهم إلى الله تعالى قد يعترهم ما يعترى البشر من الملل والكسل ، أو يأتي الشيطان لأحدهم فيشككه في قبول العمل ، أو تميل نفسه إلى شئ من الشهوات فيميل إليها ويغفل عن بعض العمل ، وحينها يريه الله تعالى رؤيا صالحة تنفض عنه الغبار وتنشطه لمواصلة سيره إلى العزيز الغفار .

ولقد شبه بعضهم الرؤيا الصالحة بالاستراحات التي تكون في الطريق البري أو باللافتات الإرشادية حيث يطمئن المسافر إلى أنه لا يزال يمشي في الطريق الصحيح فهو يجد استراحة بين الحين والآخر أو يجد لافتة تبين له أنه بقي كذا كيلو متر ، ومتى ما فقد هذه الأشياء شك في طريقه ، وفي نفس الوقت إذا نزل في استراحة على الطريق لا يطيل المقام فيها بل يواصل سيره، وهكذا المؤمن إذا رأى رؤيا صالحة فإنه تطمئنه ولكن لا يقف عندها ويظن أنه قد وصل إلى مبتغاه ، والله أعلم

١٦/ أن المؤمن إذا صبر على مر القضاء مما يخالف الطبيعة البشرية فإن الله تعالى بشره بأن يكافئه على صبره بثلاثة أمور هي أحب إليه من الدنيا وما فيها لأنها عطية إلهية ومنحة ربانية :

الأول : (عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ) : الصلاة من الله عز وجل الغفران والثناء الحسن .

الثاني : (وَرَحْمَةً) عظيمة، ومن رحمته إياهم، أن وفقهم للصبر الذي ينالون به كمال الأجر . وقيل : أراد بالرحمة كشف الكربة وقضاء الحاجة .

الثالث : (وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ) : أي أنهم المهتدون لهذه الطريقة الموصلة بصاحبها إلى كل خير ، وقيل : الذين عرفوا الحق وهو في هذا الموضع علمهم بأنهم لله وأنهم إليه راجعون وعملوا به وهو هنا صبرهم لله.

١٧/ إن العبد المستغفر لربه الخائف من ذنبه ينال بعض بركات الاستغفار في الدنيا وهي ما أشارت إليها الآيات الكريمة ، فقد قال أهل التفسير في قوله تعالى: {وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى}، سورة هود : الآية (٣) هذه الآية الكريمة تدل على أن الاستغفار والتوبة إلى الله تعالى من الذنوب سبب لأن يمتّع الله من فعل ذلك متاعاً حسناً إلى أجل مسمى؛ لأنه رتب ذلك على الاستغفار والتوبة ترتيب الجزاء على شرطه.

لكن فرق كبير جدا بين أن تستغفر لتنال تلك البشارات وبين أن تستغفر متذللاً لله تعالى طالبا منه أن يغفر لك ذنوبك نادما عليها - وترجوه أن يعافيك منها - وبين أن تستغفر وقلبك ملتفت إلى الدنيا وليس في نيتك التوبة ولا الرجوع إلى الله تعالى ، فهل مع فساد نيتك تتوقع بشارات الاستغفار وثمراته .. بل ربما تستحق العقوبة على استغفار ليس فيه رائحة التوبة ولا الندم على ما فرط منك .

١٨/ معلوم أن قلوب العباد بيد الله تعالى ورضا الناس عنك أو غضبهم عليك لا يكون إلا بتقليب الله تعالى لقلوبهم ولهذا قال الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم في شأن التآلف الذي تم بين المهاجرين والأنصار (وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) سورة الأنفال (٦٣).

ومن هنا يمكننا القول : ربما بذلت الآلاف من الأموال لتنال رضا بعض الناس وهم لا يزدادون إلا بعداً عنك وسُخْطاً عليك ، وربما أحبك بعض الناس بدون سبب ظاهر منك ، فالآية تشير إلى سبب ظاهر وهو الإحسان إلى المسمى - كما سيأتي تفصيله - فمن استعمله مع الأعداء تحولوا إلى أعز الأصدقاء ، وتلك هي البشارة ،

لأن العداوات هي أعظم الأسباب الموصلة إلى نقص دين المؤمن ودنياه بل هي المؤدية إلى تضييع العمر وهورأس مال الإنسان وعليه المعول .

١٩/ إن الله تعالى رغب العباد في الدعاء ووعدهم بالإجابة ، فهو سبحانه الذي فتح باب العطاء للسائلين وقضاء حاجيات المحتاجين وتفريج هم المهمومين وكرب المكروبين ، فأين الذين يلجأون إليه ويرغبون فيما لديه ، ويثقون في عطائه فيُخلصون في السؤال ويطلبون منه حسن النوال . فقال تعالى : (وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ)

ولقد امتلأت كتب السُّنة بالتوجيهات الكريمة التي تجعل المسلم موصولاً برَبِّه؛ ففي كل مناسبة دعاء، وفي كل يقظة أو نوم، أو حركة أو سكون اتجاه إلى الله، يشدُّ المسلم إلى ربه، ويذكره بفضل ربه عليه، وأن يستغفر لذنبه ويتوب إليه، حتى يحقق الرجاء، ويستجيب الدعاء، ويجود بالخير، ويدفع البلاء .

٢٠/ إن من اتقى المحرمات مريداً بذلك وجه الله تعالى فتح بصيرته حتى يفرق الهدى والضلال، والحق والباطل، والحلال والحرام، وأهل السعادة من أهل الشقاوة.

إن الحق في ذاته لا يخفى على الفطرة البشرية. فهناك وفاقٌ بين الفطرة والحق الذي فُطرت عليه؛ بيد أن الهوى هو الذي يحول بين الحق والفطرة، وهو الذي ينشر الغبش، ويحجب الرؤية، ويُعمي المسالك، ويخفي الدروب. والهوى لا تدفعه الحجة، إنما تدفعه التقوى، وتدفعه مخافة الله، ومراقبته في السر والعلن. ومن ثم كان هذا (الفرقان) الذي ينير البصيرة، ويرفع اللبس، ويكشف الطريق ، قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) الأنفال (٢٩) .

٢١/ إن الله تعالى بشرنا بأنه سينصر أهل الإيمان وكان خبره بطريق أنه أوجب ذلك على نفسه وجعله من جملة الحقوق المتعينة ووعدنا به فقال تعالى: {وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ} [الروم ٤٧] فلا بد من وقوعه وفي هذا تأكيد البشارة ، لأن كلمة (على) في قوله (عَلَيْنَا) تفيد معنى اللزوم ، يقال على فلان كذا ، ينبئ عن اللزوم ، فإذا قال حقا أكد ذلك المعنى .

٢٢/ في الختام اعلم أخي القارئ الكريم أن الله تعالى من رحمته وصف لعباده الجنة وبين ما فيها من النعيم المقيم والخيرة والسرور، وما ذلك إلا ليرغبوا في دخولها وليعملوا العمل الصالح الذي يؤهلهم لدخولها، جعلنا الله وإياكم من أهلها.

كما أن النبي صلى الله عليه وسلم وصف الجنة لامته وأطنب في ذكرها وتفنن في بيان نعيمها وذلك لشدة حرصه على الأمة أن يكونوا جميعا من أهلها كما قال عليه الصلاة والسلام ((كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى)) قيل ومن أبى يا رسول الله قال: ((من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى)) وقد قال الله تعالى في صفة نبيه صلى الله عليه وسلم ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ .

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبيه الكريم وصحابته إجمعين صلاة نجد بركتها في الدنيا والآخرة ... آمين .

ما زلت أعرفُ بالإساءة دائماً ويكون منك العفو والغفرانُ

لم تنتقصني إن أسأتُ وزدتنِي حتى كأنَّ إساءتي إحسانُ

منك التفضلُ والتَّكْرُمُ والرِّضَا أنت الإلهُ المنعمُ المَنَّانُ

أهم المراجع

كتب التفسير :

- ١ - الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) للعلامة محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي .
- ٢ - جامع البيان في تأويل القرآن المعروف بـ "تفسير الطبري" للإمام محمد بن جرير أبي جعفر الطبري .
- ٣ - تفسير القرآن العظيم المشهور بـ "تفسير ابن كثير"، للإمام عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي .
- ٤ - التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب هو كتاب تفسير للقرآن - للإمام فخر الدين الرازي .
- ٥ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان – للعلامة عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي التميمي .

كتب عامة :

- ١ - الفوائد – للعلامة ابن القيم .
 - ٢ - تهذيب مدارج السالكين - لابن القيم - هذبه عبد المنعم صالح العلي .
 - ٣ - مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين – للعلامة ابن القيم.
- مواقع الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) :

- ١ - موقع الشبكة الإسلامية - ركن المقالات .
- ٢ - موقع الكلم الطيب .
- ٣ - موقع شبكة الألوكة الشرعية .
- ٤ - موقع ملتقى الشفاء الإسلامي .
- ٥ - الموقع الرسمي للشيخ محمد صالح المنجد .
- ٦ - موقع صيد الفوائد .
- ٧ - موقع موسوعة النابلسي الإسلامية .
- ٨ - موقع طريق الإسلام .
- ٩ - موقع أسرار الإعجاز العلمي وهو موقع مخصص لأبحاث ومقالات عبد الدائم الكحيل .

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	ص
١	المقدمة	٤
٢	تمهيد: مفهوم المبشرات وعلاقتها بالسنن الألهية .	١٢
٣	المقال الأول : بشارات رب العالمين لعباده المؤمنين إجمالاً .	١٨
٤	تبشير الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم للمؤمنين .	١٨
٥	أصناف المُبشِّرِينَ في كتاب الله تعالى .	١٩
٦	أنواع البشارات في القرآن والسنة .	٢٢
٧	المقال الثاني : بشارات رب العالمين لعباده المتقين إجمالاً .	٢٧
٨	خمسة وعشرون بشارة لعباد الله المتقين .	٢٨
٩	البشارة الأولى : سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أعظم بشارات الله تعالى لنا .	٣٤
١٠	أولاً : هذه المنة غيرت حال الناس مما كانوا عليه قبل بعثته الشريفة .	٣٥
١١	ثانياً : بشّر الله تعالى بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قبل بعثته	٣٥
١٢	ثالثاً : لا بد من شئ من التعريف بمنة الله اللطيف (صلى الله عليه وسلم)	٣٨
١٣	رابعاً: مظاهر هذه المنة والفضل ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم .	٤٣
١٤	خامساً : مظاهر الشكر على نعمة النبي صلى الله عليه وسلم .	٤٥

٤٨	البشارة الثانية : الشَّرَفُ والوَافِرُ والعِزُّ الظاهر لمن كان لله تعالى ذاكراً .	١٥
٤٩	أولاً : من الدلائل على عِظَم مكانة هذه العبادة - الذكر - وشرف منزلتها .	١٦
٥١	ثانياً : من أجمع وأجمل ما ورد في تفسير هذه الآية (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ) .	١٧
٥٢	ثالثاً : أنواع الذكر .	١٨
٥٤	رابعاً : من ثمار الذكر في الدنيا .	١٩
٥٧	خامساً : كيف تكون من الذاكرين .	٢٠
٦٠	البشارة الثالثة : البُشْرَى لكل تقي بالخروج من الغمِّ إن أصابه .	٢١
٦٠	أقوال أهل التفسير في قوله تعالى : (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا) .	٢٢
٦١	أقوال أهل التفسير في قوله تعالى : (وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ) .	٢٣
٦١	جواب عن قول القائل : إننا نري من يتقي وهو محروم ؟	٢٤
٦٤	ثلاث قصص واقعية في مَنْ اتقى الله فجعل له مخرجاً ورزقه من حيث لا يحتسب .	٢٥
٦٨	البشارة الرابعة : البُشْرَى لكل تقي بالعون والنُّصرة والتأييد الإلهي .	٢٦
٦٩	أولاً : معية الله تعالى لخلقه ثابتة بالكتاب والسنة، وإجماع السلف .	٢٧
٧٠	ثانياً : أنواع المعية : معية الله لخلقه تكون على معنيين .	٢٨
٧١	ثالثاً : المعية الإلهية بالعون والنصر من ثواب المتقين في الدنيا .	٢٩
٧٢	رابعاً : قصص في بيان معية الله تعالى لأنبيائه عليهم الصلاة والسلام .	٣٠
٧٦	خامساً : قصص في معية الله لأوليائه .	٣١
٧٩	البشارة الخامسة : بالإحسان ينال العبد الضعيف معية ربه الرحمن .	٣٢

٣٣	الأمر الأول : يقول تعالى: (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ).	٧٩
٣٤	الأمر الثاني : لا بد من معرفة فن استجلاب معية الله .	٨٠
٣٥	الأمر الثالث : المعية الإلهية لأصحاب المنهج الإسلامي في الدنيا والاخرة .	٨٤
٣٦	الأمر الرابع : من شأن المؤمن استشعار معية الله والطمأنينة إليه .	٨٧
٣٧	البشارة السادسة : هداية العبد المنيب إلى الصراط المستقيم .	٩١
٣٨	أولاً: جواب عن شبهة فيمن أضلهم الله عن هداه .	٩١
٣٩	ثانياً: تفسير الشعراوي لقوله تعالى : (قُلْ إِنَّ اللَّهَ يَضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ).	٩٢
٤٠	ثالثاً: هداية التوفيق والإلهام والمعونة .	٩٣
٤١	رابعاً: الضلال والهداية بيد الله عزوجل .	٩٤
٤٢	خامساً: الهداية تجر إلى مزيد من الهداية والضلال يجر إلى مزيد من الضلال.	٩٥
٤٣	سادساً: قصة هداية شاب وشفائه بعد ما أناب .	٩٧
٤٤	البشارة السابعة : تيسير الأمور لمن يتقي الرب الغفور.	٩٩
٤٥	أولاً: قانون التيسير والتعسير مؤصل في آية قرآنية .	١٠٠
٤٦	ثانياً: تفسير قوله تعالى : ﴿ أَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴾ .	١٠١
٤٧	ثالثاً: التيسير له ثمن والتعسير له سبب .	١٠٢
٤٨	رابعاً: قصة الفني الذي تعسر أمره ثم يسره الله له .	١٠٣
٤٩	البشارة الثامنة : الحياة الطيبة لكل من آمن وعمل صالحاً .	١٠٤

١٠٤	٥٠	أولاً: أقول المفسرين في مفهوم الحياة الطيبة .
١٠٥	٥١	ثانياً : المستقيمون لهم حياة طيبة .
١٠٧	٥٢	ثالثاً : الإنسان مفطور على حبِّ السعادة (الحياة الطيبة) .
١٠٧	٥٣	لهذا نتساءل نتساءل وجد السعادة ؟
١٠٨	٥٤	رابعاً : ليس المحسنُ عند الله كالمتسبيء .
١١١	٥٥	البشارة التاسعة : مَنْ اتقى الله أحبه الله تعالى وحبَّبه إلى خلقه .
١١٢	٥٦	مدخل هام .
١١٣	٥٧	أولاً : مفهوم محبة العبد لله تعالى .
١١٣	٥٨	ثانياً : ثمرات المحبة عند ابن القيم رحمه الله تعالى .
١١٥	٥٩	ثالثاً : الأسباب الجالبة للمحبة عند ابن القيم رحمه الله تعالى .
١١٧	٦٠	رابعاً : المحب لله كثير الذكر لمحبوبه وكلام محبوبه .
١١٨	٦١	خامساً : موانع تمنع المحبة وتضعفها .
١١٨	٦٢	سادساً : علامات محبة الله تعالى للعبد .
١٢٣	٦٣	البشارة العاشرة : التوفيق للقيام بالعمل الصالح وقبول الله تعالى لك .
١٢٣	٦٤	أولاً : تفسير قوله تعالى (يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ) .
١٢٤	٦٥	ثانياً : ما معنى التوفيق ؟
١٢٦	٦٦	ثالثاً : ما هي الأسباب التي نستنزل بها توفيق الله –تعالى-؟
١٢٧	٦٧	رابعاً : من علامات توفيق الله للعبد (١٢ علامة).

٦٨	خامساً : مجالات التوفيق .	١٣٢
٦٩	سادساً : في بيان أسباب غلق باب التوفيق (٩ أسباب) .	١٣٣
٧٠	البشارة الحادية عشرة : الإخلاص في طلب الآخرة يجلب المزيد من العطاء الإلهي في الدنيا .	١٣٧
٧١	أولاً : تفسير موضع الشاهد : ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾ .	١٣٧
٧٢	ثانياً : سؤال وجهه أحدهم للجنة الفتوى في الشبكة الإسلامية .	١٣٩
٧٣	ثالثاً : الأعمال التي يعملها العبد ويستحضر فيها ثواب الدنيا على قسمين .	١٤٠
٧٤	رابعاً : خمس مسائل حول الحصول على أجري الدنيا والآخرة بإخلاص النية .	١٤١
٧٥	خامساً : ضوابط التوفيق بين العمل الدنيوي والعمل الأخروي .	١٤٦
٧٦	البشارة الثانية عشرة : شكر الله تعالى على النعمة يتسبب في المزيد .	١٥٠
٧٧	أولاً : تسخير الكون للإنسان تسخير تعريف وتسخير تكميم .	١٥١
٧٨	ثانياً : حينما تشكر الله تعالى تحقق الهدف من وجودك .	١٥٢
٧٩	ثالثاً : معرفة الله عز وجل هو الشيء الذي يرجح بين المؤمنين .	١٥٢
٨٠	رابعاً : حجم الإنسان عند الله بحجم عمله الصالح شاكرًا لله تعالى .	١٥٣
٨١	خامساً : مراتب الشكر .	١٥٥
٨٢	سادساً : إن الشكر سبب لزيادة النعم، ودفع النقم، واستجلاب البركات	١٥٧
٨٣	سابعاً : الغزالي يتحدث عن الشكر	١٥٩
٨٤	ثامناً : الوسائل المعينة على شكر النعم (٩ وسائل) .	١٦٠
٨٥	تاسعاً : من أسباب وقوع العذاب، وحلول النعمة والعقوبة على الأفراد	١٦٢

	والمجتمعات .	
١٦٤	البشارة الثالثة عشرة : إحسان الله تعالى لمن يحسن في عبادته ويحسن إلى خلقه .	٨٦
١٦٤	أولاً : ما جاء في تفسير قوله تعالى (هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ) .	٨٧
١٦٥	ثلاث لطائف ذكرها الرازي عند قوله تعالى (هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ) .	٨٨
١٦٦	ثانياً : كيف يبلغ المسلم مرتبة الإحسان ؟	٨٩
١٦٧	ثالثاً : مجالات الإحسان .	٩٠
١٦٨	رابعاً : من المعاني التي يشملها الإحسان .	٩١
١٦٩	خامساً : من أخلاق الأنبياء مقابلة الإساءة بالإحسان .	٩٢
١٧١	سادساً : جزاء الإحسان في الدنيا والآخرة	٩٣
١٧٣	البشارة الرابعة عشرة : مَنْ كَانَ يَرِيدُ الْعِزَّةَ وَالْكَرَامَةَ فَعَلَيْهِ بِالْإِسْتِقَامَةِ .	٩٤
١٧٣	أولاً : أقوال المفسرين في قوله تعالى (مَنْ كَانَ يَرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا) .	٩٥
١٧٥	ثانياً : الطَّرِيقُ الذي به تحصل العِزَّةُ .	٩٦
١٧٦	ثالثاً : قانون العِزَّةِ والدِّلَّةِ .	٩٧
١٧٧	رابعاً : العِزَّةُ منها المحمودة ، ومنها المذمومة .	٩٨
١٧٨	خامساً : بعض مواقف العِزَّةِ من حياة الصحابة والتابعين .	٩٩
١٨١	سادساً : بعض مواقف العِزَّةِ من حياة بعض الأئمة المشهورين .	١٠٠
١٨٣	سابعاً : بعض مواقف العِزَّةِ من حياة بعض العلماء والمصلحين المتأخرين .	١٠١
١٨٦	البشارة الخامسة عشرة : وَعَدَ إِلَهِي بِمَزِيدٍ مِنَ الْهِدَايَةِ وَالثَّبَاتِ لِمَنْ اتَّعَظَ بِالْآيَاتِ .	١٠٢
١٨٦	أولاً : فوائد من كلام المفسرين .	١٠٣

١٠٤	ثانياً : عشرة وسائل تعين على الثبات على دين الله تعالى.	١٨٨
١٠٥	البشارة السادسة عشرة : مَنْ أَحْسَنَ صَحْبَةَ الْقُرْآنِ نَالَ طَهَارَةَ الْقَلْبِ وَرَاحَةَ النَّفْسِ وَعَافِيَةَ الْبَدَنِ .	١٩٥
١٠٦	أولاً : كلام المفسرين في قوله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ) .	١٩٥
١٠٧	تفصيل رائع للرازي في الاستشفاء بالقرآن .	١٩٦
١٠٨	ثانياً : كيفية الاستشفاء بالاستماع إلى القرآن .	١٩٧
١٠٩	ثالثاً : كيفية الاستشفاء بالاستماع إلى القرآن .	١٩٩
١١٠	رابعاً : التأثير المذهل لسماع القرآن على سبيل العموم .	٢٠٠
١١١	خامساً : حالات مرضية شُفيت ببركة الاستشفاء بالقرآن (٧ حالات) .	٢٠٢
١١٢	البشارة السابعة عشرة : أولياء الله تعالى يرون الرؤى المبشرة لهم بخيري الدنيا والآخرة .	٢٠٦
١١٣	أولاً : ما جاء في تفسير الآية الكريمة : (لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) .	٢٠٦
١١٤	ثانياً : أهمية الرؤيا الصالحة في الإسلام .	٢٠٨
١١٥	ثالثاً : أنواع الرؤى والاحلام .	٢١٠
١١٦	رابعاً : من أعظم المبشرات رؤية سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في المنام	٢١١
١١٧	خامساً : آداب الرؤيا : وللرؤيا آداب نبوية لخصها ابن حجر العسقلاني .	٢١٢
١١٨	سادساً : تنبيهات مهمة .	٢١٣
١١٩	البشارة الثامنة عشرة : إحسان الظن بالله تعالى يورث الإطمئنان والأمان في الدنيا والآخرة .	٢١٤
١٢٠	أولاً : ما قيل في تفسير الآية الكريمة : (وَضَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ) .	٢١٤
١٢١	ثانياً : حديث في معنى الآية وشرحه .	٢١٥
١٢٢	ثالثاً : ثمرات حسن الظن بالله تعالى (١٠ ثمار طيبة) .	٢١٦

٢٢٢	رابعاً:الدوافع التي تدفع إلى حسن الظن بالله تعالى .	١٢٣
٢٢٤	خامساً : بعض مواطن حسن الظن بالله .	١٢٤
٢٢٦	سادساً : علامات حسن الظن بالله .	١٢٥
٢٢٩	البشارة التاسعة عشرة : صلوات ورحمات رب العالمين لعباده الصابرين .	١٢٦
٢٣٠	أولاً : الابتلاء سنة من سنن الله في عباده المؤمنين .	١٢٧
٢٣١	ثانياً : مفهوم المصيبة والاسترجاع في الآية .	١٢٨
٢٣٢	ثالثاً : بيان معنى الصبر وأنواعه ومراتبه .	١٢٩
٢٣٤	رابعاً : لماذا هذه البشارة لهؤلاء الصابرين ؟	١٣٠
٢٣٦	خامساً : عشرة أسباب تعين على الصبر على البلاء.	١٣١
٢٣٩	سادساً : قصص الصابرين والصابرات على البلاء .	١٣٢
٢٤٣	البشارة العشرون : بالاستغفار ينال العبد الخير والبركة والنجاة من شر الأشرار.	١٣٣
٢٤٤	مدخل هام في بيان الاستغفار الذي به تحصل البشارات .	١٣٤
٢٤٦	أولاً : مفهوم الاستغفار والكيفية المطلوبة من العبد .	١٣٥
٢٤٧	ثانياً : أهمية الاستغفار وفوائده من القرآن الكريم .	١٣٦
٢٥١	ثالثاً : أهمية الاستغفار وفوائده من السنة النبوية .	١٣٧
٢٥٤	رابعاً : درجات الاستغفار .	١٣٨
٢٥٥	خامساً : صيغ الاستغفار.	١٣٩
٢٥٧	سادساً : الاستغفار هو المخرج للأمة كلها من أزماتها المتتالية .	١٤٠
٢٥٩	سابعاً : قصص معاصرة في تفريج الهموم ببركة الاستغفار .	١٤١
٢٦٥	البشارة الحادية والعشرون : ذو الحظ العظيم يحول العدو إلى ولي حميم .	١٤٢
٢٦٦	أولاً : ما جاء في تفسير : (وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) .	١٤٣
٢٦٧	ثانياً : من أجمل الأخلاق المبادرة بالإحسان دون حصول الإساءة من أحد .	١٤٤
٢٦٩	ثالثاً : نموذجان في حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في رد السيئة بالحسنة .	١٤٥

٢٧٤	رابعاً : قصص من حياة السلف في رد السيئة بالحسنة .	١٤٦
٢٧٧	خامساً : ما يعين المسلم على مقابلة سوء بالإحسان والمغفرة .	١٤٧
٢٨٠	البشارة الثانية العشرون : لأهل التقوى فرقان بين الحق والباطل والحجة والشبهة .	١٤٨
٢٨١	أولاً : ينال التقي الفرقان بين العلوم الحقّة والباطلة وبين الحجج والشبهات .	١٤٩
٢٨٢	ينال العبد التقي الفرقان في الأحوال الظاهرة والباطنة .	١٥٠
٢٨٢	ثالثاً : كل متق لله في شيء يؤثّه فرقانا فيه .	١٥١
٢٨٣	رابعاً : ثلاث وقفات مع تكملة الآية الكريمة .	١٥٢
٢٨٦	البشارة الثالثة والعشرون : من لزم التضرع إلى الله تعالى نال المراد وفاق الأنداد .	١٥٣
٢٨٦	أولاً : أقوال المفسرين في قوله تعالى (وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) .	١٥٤
٢٨٨	ثانياً : فضل الدعاء في القرآن الكريم .	١٥٥
٢٩٠	ثالثاً : فضل الدعاء في السنة والنبوية الشريفة .	١٥٦
٢٩٢	رابعاً : من أسباب إجابة الدعاء (١٣ سبباً) .	١٥٧
٢٩٦	خامساً : آداب الدعاء وهي عشرة .	١٥٨
٣٠٣	سادساً : موانع إجابة الدعاء .	١٥٩
٣٠٥	سابعاً : قصص من حياة السلف في إجابة الدعاء .	١٦٠
٣٠٨	ثامناً : قصص في حياة المعاصرين في إجابة الله تعالى لدعاء الداعين .	١٦١
٣١٠	البشارة الرابعة والعشرون : المبشرات بانتصار الإسلام وبيان الطريق الموصل إليه .	١٦٢
٣١٠	أولاً : انتصار الإسلام عقيدة راسخة وحقيقة ثابتة .	١٦٣
٣١٣	ثانياً : من أهم أسباب النصر .	١٦٤
٣١٦	ثالثاً : الأحاديث التي تبشر بانتصار الإسلام .	١٦٥

٣١٧	رابعاً: جانب آخر من جوانب المبشرات .	١٦٦
٣٢٠	البشارة الخامسة والعشرون : دخول الجنة لمن آمن وعمل صالحاً .	١٦٧
٣٣٥	الخاتمة .	١٦٨
٣٤٣	أهم المراجع .	١٦٩
٣٤٥	الفهارس .	١٧٠